مايو سنة ١٩٣٣
محرم سنة ١٣٥٢

المعرفة

الجزء الأول
السنة الثالثة

مجلة — شهرية — جامعة

[مقررة فى وزارة المعارف العمومية]

لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسلامبولى

المجلد | شعارها : اعرف نفسك بنفسك | الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

المعرفة فى سنتها الثالثة

باسمك اللهم نفتتح السنة الثالثة ، ونصلى ونسلم على نبيك الكريم القائل : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

وبعد . . . فها هى ذى « المعرفة » تطالع قراءها بهذا الجزء ، مغتبطة جد الاغتباط ، فخورة كل الفخر بهذه الخطوة الجديدة التى تخطوها إلى عامها الثالث ، وهى أكثر قوة ، وأشد حزماً ، وأقوى عزماً ، عن ذى قبل ، مملوءة ثقة بالله ، مؤمنة بتقدير العلماء والأدباء والمفكرين ، مطمئنة إلى ما يصدر لها أو عليها من حكم قرائها المثقفين ، مقدرة فى الوقت نفسه أن البقاء للأصلح « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

وأخيراً ... فليس لدى « المعرفة » من جديد تعاهد قراءها عليه ، بعد ما عرفوا عنها من مضاء فى العزيمة ، وتعلق بالحق ، ونصرة للمبدأ القويم .

فالله نسأل التوفيق فيما أخذنا أنفسنا بسبيله ؟

عبد العزيز الاسلامبولى

فؤاد الأول

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشرى

من محاضرة أذاعها فى يوم ٢٦ مارس سنة ١٩٣٣ من محطة راديو الأمير فاروق، بمناسبة عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم.

فى هذا اليوم الأغر تحتفل البلاد بذكرى ميلاد مولانا المعظم، الملك فؤاد الأول، أدامه الله. وإن ذكرى ميلاد مولانا المليك، لحقيقة من كل وطنى ووطنية بالاحتفال، لا بالاقتصار على تزيين الدور، وإعلان مظاهر السرور، وبعث أسباب الجزل فى الأهل والولد فحسب، بل بالاحتفال أيضاً فى أعماق الضمائر وأطواء القلوب.

وبهذا نؤدى لله تعالى حق الشكر على ما أولانا من جلائل النعم. وبهذا نضرب للأملاء جميعاً أعلى مثل الوطنية الفخمة، التى تلهمنا كلنا نحن المصريين - على اختلاف منازعنا، وتفرق أهوائنا - تلهم قلوبنا أخلص الولاء وأصدق الحب لقائدنا الأعظم، رمز آمالنا جميعاً، وملتقى أمانينا جميعاً.

***

إن من الغرور وشدة الذهاب بالنفس، أن أزعم أو يزعم غيرى أنه مستطيع فى كلمات أو فى خطبة، مهما أسبغها وأضفاها، أن يلم بمناقب صاحب الجلالة وآثاره الضخام، فى نهضاتنا الضخام، فذلك ما ينبغى أن تحتفل به الكتب، ويرتصد لنظمه التاريخ الطويل، على أن المقام مقام اغتباط وسرور ومراح، ومثل هذا المقام، لا يحسن فيه إطالة الكلام.

وبحسبى أن أذكر حضراتكم بأن عرش مصر شغر فى أعقاب سنة ١٩٠٧، والسيوف ما زالت تقطر بالدماء، والمنايا تطلع على الناس من جوف الماء، وتسقط عليهم من جو السماء، ولموبقات الحرب إرعاد وإبراق، وبلاء يحيق بالعالم من جميع الآفاق، وللمدافع عزيف يصم الآذان، وهزيم يؤذن فى الأرض بألا سلام اليوم ولا أمان، والسفينة هنا فى معترك اللج حيرى مولهة، تنظر إلى هذا العالم بعينى فتاة مذعورة، تصلصل بها الريح فتلوذ بكنف الموجة، وسرعان ما تنفضها هذه عن كتفها فتكاد تهوى إلى القرار السحيق، وما تبرح فى ترجحها المخيف، بين نوازى اللج العنيف، والريح من حولها بين جذب وشد، والماء من تحتها بين

جزر ومد ، إذ قلبها فى الصعود والهبوط ، هواء من الرجاء ملىء باليأس والقنوط !

***

وهنا تستشرف إلى الأمير أحمد فؤاد أرواح محمد علىّ وإبراهيم وإسماعيل ، وتهيب به أن قم إلى السفينة فقدها إلى شاطىء السلام ، فليس لها اليوم سواك . ويأبى على الأمير حفاظه لمجد آبائه العظام ، وحرصه على ماخلفوا فى هـذه البلاد من آثار جسام ، إلا أن يثب إلى السفينة غير خائف ولا متخاذل ، ويقودها وسط هذه الزعازع قيادة الربان القوى العظيم . ويظل ، وبين يديه ملاحوه الشجعان الأكفاء ، يدافع الأنواء ، والأنواء تدافعه ، ويصارع الأمواج ، والأمواج تصارعه ، حتى تكل مناكب البحر فيستحيل فى لينه غديراً ، وتنخذل سواعد الريح فتصبح فى لطفها نسيما ، وقد كانت صرصرا وكانت دبورا . فما يزال بالسفينة وبسم الله مجريها ، حتى يستوى بها على شاطىء الأمن والسلام .

وما يكاد ينبثق فجر سنة ١٩٢٢ حتى تعلن انجلترا الظافرة المنتصرة فى الحرب العالمية انتهاء حمايتها على مصر ، والتخلية بينها وبين حكم نفسها . وحتى يعلن جلالة الملك فؤاد الأول فى العالم كله ، أن مصر أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة . وإذا كانت هناك مسائل ما برحت معلقة بين مصر وبين انجلترا ، فالآمال معقودة ، بعد الله ، بحكمة مولانا المليك ، وبعد همته ، وصدق عزمته ، فى تحقيق ما تصبو إليه البلاد من السيادة الكاملة والاستقلال التام .

***

أما فيما يتصل بفنون الإصلاح الداخلية ، فبحسب المرء أن يجيل طرفه فى أرجاء البلاد ليرى أنى وقع النظر ، موضع نهضة ، ومكان إصلاح : هذه نهضة قوية فى العلم ، وهذه أخرى فى الأدب ، وثالثة فى الفنون ، وسواها لا تقصر عنها فى الزراعة وفى الصناعة وفى التجارة وفى سائر أسباب الحياة ، أنى جال طرفك فلن يرتد إليك إلا بوثبات متداركة متلاحقة ، ونهضات متبارية متسابقة ، ذلك بأن الملك فؤاداً يأبى عزمه إلا أن يتم ما أسسه جده محمد على وما شيده أبوه إسماعيل ، حتى تصبح مصر جديرة بتاريخها القديم ومطمحها الحديث .

***

ليس من العدل ولا من الصدق أن يضيف التاريخ كل هذا الفضل إلى عصر الملك فؤاد فحسب ، بل إن الصدق والعدل ليقضيان بأن يضاف هذا إلى شخصه العظيم أيضاً . فهو - أدامه الله - لم يتخذ الصولجان حلية ولهواً وزينة ، بل لقد اتخذه كما يلبس الكمى فى يوم الروع سلاحه ، فهو ما يزال جاهداً فى التفكير فى الدقيق والجليل من أسباب الحياة فى هذه البلاد . وكلما

استوى لفكره الخصب القوى رأى فى منفعة البلاد ، أشار به ، ودفع إليه ، وأذكى الهمم للنهوض به . وما يبرح يتفقده بشخصه ، ويتعهده بحكمته حتى ينضج ويؤتى أشهى الثمار من أكله . فما من فضل فى هذا الخير العظيم إلا له أوائله وأواخره ، وإليه موارده وعنه مصادره .

ولست هنا بصدد تسجيل آثار المليك ، فهى ماثلة للأعيان ، قائمة فى كل مكان ، ثابتة على وجه الزمان .

***

ليس يذهب عنكم أن هنا لكم عناصر كثيرة تظاهرت كلها على تشويه سمعة مصر فى الخارج : حتى تمثلت لنا ولبلادنا عند كثير من الأمم أقبح الصور ، وحتى أضافوا إلينا من الخلق ومن الأخلاق والعادات مايضحك ومايبكى .

وهاهو ذا جلالة مولانا المليك المعظم يشد الرحال ، الحين بعد الحين ، إلى بلاد الغرب ومعه صدر من بطانته وظهارته ، فيرى القوم أى رجل هو المصرى ، وأى ملك هو فؤاد الأول .

يرى ملوك الغرب وأمراؤه وساسته وعلماؤه ملكا قد اجتمع له ، إلى شدة العقل ووثاقة الحلم : ذكاء الجنان وحدة الرأى وسعة العلم . يشهد آثار القوم ومصانعهم ومعاهدهم ومعاقد تاريخهم : فيتحدث عن كل مايشهد حديث الهوذعى العالم ، المحيط بالدقيق وبالجليل .

لامعنى بكل شىء ولا كل عجيب فى عينه بعجيب

يرون ملكا جمع إلى أعلى الثقافات العالمية جلال الشرق ووقار الاسلام .

وإنه ليستزير الملوك والأمراء ، ويغشى بلاده أقطاب العلماء وكبار الرحالات من آفاق الأرض فيشهدون فيها آثار العظمة والمجد ، ويطالعون فى جميع مرافق الحياة نهضة أمة يأبى عليها تاريخها وتأبى عليها عزتها إلا أن تحتل مكانها اللائق بها تحت الشمس .

وهذه بعض آثار شبل إسماعيل وحفيد محمد على العظيم .

***

وأختم هذه الكلمة بالابتهال إلى الله جل مجده أن يحفظ لمصر مناط أملها وذخرها ، ومثابة عزها وفخرها ، وحارس ثغرها ، وجماع أمرها ، مولانا المليك المعظم فؤاد الأول حفظه الله ، وحرس بعنايته سمو مولانا الأمير فاروق ، وأبقاه قرة عين له ولشعبه . وإنى لأتمثل فى الدعاء لجلالة مولانا بقول الشاعر :

بقيت بقاء الدهر يا كهف (شعبه) وهـذا دعاء للبرية شامل

لتحى مصر ، يعيش جلالة الملك ، يحيا سمو الأمير فاروق .

عبد العزيز البشرى

البوصـــيرى

بقلم الأستاذ على الجارم

مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف العمومية

هل لنا شعر مصرى نعتز به ؟ وهل كان لنا شعراء مصريون جديرون بالتقدير ؟ ذان سؤالان يدور حولهما فى هذه الأيام نقاش وحوار محتدمان ، فما هو وجه الصواب فى الأمر ؟

ذلك ما ندع الجواب عنه للأستاذ الجارم ، الذى سيتولى نشر خلاصة دراساته الخاصة فى هذا الموضوع الجليل ، مبتدئاً بدراسة « البوصيرى » الشاعر المصرى المعروف .

المحرر

مولده

ولد سنة ٦٠٨ﻫ فى دلاص ، وهى قرية من قرى بنى سويف ، وكان أحد أبويه من بوصير ، والآخر من دلاص ، فركبت له نسبة من البلدتين ، فقيل الدلاصيرى ، ثم اشتهر بالبوصيرى .

ونحن نجهل كثيراً جداً من حياة البوصيرى ، وكلما لجأنا إلى كتاب نراه يشكو غموض سيرته ، وقلة ما يمكن أن يقال حول حياته ؛ فلسنا نعرف عن أبيه شيئاً ، ولسنا نعرف من نشأته الأولى شيئاً ، ولكننا نستطيع أن ندعى أنه انتقل إلى القاهرة فى أول شبابه لتلقى العلم ، لأنها أقرب مراكز العلم إلى بلدته ، فتلقى علوم العربية والأدب ، ووصل فيهما إلى غاية محمودة ، حتى ليخبرنا ابن حجر الهيثمى الذى شرح الهمزية : أن من تلاميذه الإمام أبا حيان الذى ولد سنة ٦٥٤ ، ومات سنة ٧٤٥ ، وكان إماماً فى النحو والتصريف والحديث ، ومنهم الإمام اليعمرى فتح الدين بن سيد الناس ، وكان من كبار المحدثين ، ولد سنة ٦٦١ ومات سنة ٧٣٤ .

وكان مولد البوصيرى فى أيام الملك العادل ، سيف الدين أبى بكر ، وهو الرابع من ملوك بنى أيوب ؛ وكانت القاهرة — فى الوقت الذى يظن أن البوصيرى وفد عليها فيه — كثيرة المعاهد والمدارس ، تموج بعلماء العربية والفقه والحديث والتفسير ورجال الشعر والأدب .

ولسنا نعرف متى بدأ البوصيرى قول الشعر ، فإننا لا نجد فى الديوان الذى بأيدينا شيئاً قاله فى أيام الدولة الأيوبية ، وقد زالت وهو فى سن الأربعين ، وما صرمن شعرائها عدداً غير قليل ، منهم ابن النبيه المتوفى سنة ٦٢١ ، وراجح بن اسماعيل الحلى المتوفى سنة ٦٢٧ ، وعمر بن

الفارض المتوفى سنة ٦٣٢ ، وابن مطروح المتوفى سنة ٦٥٤ ،والبها زهير المتوفى سنة ٦٥٦ ؛ ولعله قال شعراً قليلا أو كثيراً فى الدولة الأيوبية لم يحفل الناس بجمعه .

شعره

ونستطيع أن نقسم شعر البوصيرى أقساماً ثلاثة :

القسم الأول: ماقاله فى مدح الوزراء والكبراء ، والثانى: ماقاله فى شئونه الخاصة ، وفيه كثير من الشكاية المرة أحياناً ،والفكاهة العذبة أحياناً أخرى، والثالث: ماقاله فى المدائح النبوية؛ وهذا القسم خير شعره وأجوده حقاً ؛ فإن البون شاسع ، والمدى بعيد ، والفارق كما بين القطبين ، بين شعره فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشعره فى شئونه الأخرى، فهناك اللفظ الجزل والمعنى الشريف والأسلوب البديع والرنين الأخاذ والافتنان والسمو والإجادة، ولا نظفر بشىء من ذلك فى شعره الدنيوى إلا كما يظفر الضارب فى الصحراء القفر بموارد الماء ومنابت العشب بين حين وحين . والذى يقرأ مدائح البوصيرى فى الذات النبوية يشعر بقوة الإمام البوصيرى وروحانيته وتأثره الشديد بجلال ممدوحه ومقامه المحمود . ويحس أن الكلام ينبع من قلب الرجل ، ويخرج من نفس فنيت فى ممدوحها العظيم ،وحلقت فى جو كله صفاء ونور ، وسنفرد للكلام فى مدائحه هذه فصلا مسهباً .

القسم الأول:

يبدأ الإمام البوصيرى القصيدة بأبيات سهلة ، يقدمها بين يدى غرضه ؛ قد يكون بها شىء من الغزل الصوفى أحياناً ، كقوله :

عرج براقمتها إنها لمرامى وبحيرة فيها على كرام
نزلوا العقيق فأدمعى شوقاً إلى تلك الربى مثل العقيق دوام
ماللديار وللمحب كأنما هزجت حمائمه له بحمام
عهدى بها وكأن منهل الحيا دمعى وما اصفر البهـا ومقام

ثم يسير على هذا الطراز حتى يتخلص إلى المديح تخلصاً سهلا خالياً من المهارة الفنية .

ويقول فى مطلع قصيدة يمدح بها القاضى فخر الدين لقمان ،وكان من المتصلين به :

أريح الصبا هبت على زهر الربى فأصبح منها كل قطر مطيبا؟
أم الراح أهدت للرياح خمورها فأسكر مسراها الوجوه وطيبا؟
ألم ترنى هز التصابى معاطفى وراجعنى ماراق من رونق الصبا
فمن مخبرى ماذا السرور الذى سرى فلا بد حتما أن يكون له نبا
فقالوا أعاد الله للناس فخرهم لقمان ولياً إلى كل القلوب محببا
فقلت : أفخر الدين! قال لى: بلى قل له أهلا وسهلا ومرحبا

والمحاورة هنا جميلة فى قوله « فمن مخبرى ماذا السرور الذى سرى ... الخ » وهى إن دلت على شىء ، فإنما تدل على سهولة فى التخيل ، وقوة فى تصوير عاطفة طبيعية بعيدة عن التكلف ؛ وكثيراً مايستطرد البوصيرى وينتقل من المديح إلى ذم كتاب الدواوين فى أيامه وتنقصهم ورميهم بالظلم والعسف ، ثم يعطف إلى إغراء الممدوح بهم ، ودعوته إلى القضاء عليهم وكف شرهم عن الرعية البائسة ؛ وهذه ظاهرة بارزة فى شعره فلا تخلو له قصيدة من النيل من هؤلاء الكتاب فى لغة جارحة ، وطعن مؤلم تمتزج فيهما مرارة الغيظ بشىء من الفكاهة القارصة .

استمع إلى قوله فى قصيدة يمدح بها أحد كبار المماليك :

برئت من المستخدمين فخيرهم ... لصاحبه أعدى وأنكى وأنكر
فلا تدن منهم واحداً منك ساعة ... ولو فاح من برديه مسك وعنبر
ورد فؤادى بانتقامك منهم ... فقد كاد قلبى منهم يتفطر
منعت بهم حظى شهوراً ولم أصل ... إلى حظهم حتى مضت لى أشهر

ثم يقول :

أما فيهم لا بارك الله فيهم ... أخو قلم إلا يخون ويغدر ؟

ويظهر أن هؤلاء المستخدمين كانوا يماطلون ويسوفون فى إعطائه راتبه ، ولعل ذلك من أسباب ضغنه عليهم ، ألسنا نراه يقول فى قصيدة أخرى :

من لم يقم لى منهم بوظيفتى ... جرسته بعلامتى تجريسا ؟

وله قصيدة نونية طويلة فى هذا الموضوع كلها هجاء مؤلم ونقد لاذع .

وقد يستطرد فى قصائده إلى ذم الشعراء فى عصره ذماً قبيحاً فى جرأة وتحد كقوله:

ومهما رآنى شاعر متأسد ... تذاءب منى خيفة وتثعلبا
أراقب من عاشرت منهم كأننى ... أراقب كلباً أو أقارب عقربا
كأنى إذ أهديهم من ضلالهم ... أبصر أعمى أو أقوم أحدبا

وكثيراً مايكون البوصيرى ظريفاً جداً حينما يخرج من المدح إلى قص قصة أو سرد حكاية فى صورة تدل على التبسط مع ممدوحه ، وذلك كقوله فى غضون قصيدة :

عجيب لأمر آل بالشيخ مخلص ... إلى أن يعرى كاللصوص ويضربا
بكيت له لما كشفت ثيابه ... وأبصرت جسما بالدماء مخضبا
وحلفته بالله ما كان ذنبه ؟ ... فأقسم لى بالله ما كان مذنبا
ولكن حبيب راح فى مصدقاً ... كلام عدو مايزال مكذبا
فقلت : ومن كان الأمير حبيبه ... فلا بد أن يرضى عليه ويغضبا
فصبراً جميلا فالمقدر كائن ... فقد كان أمراً لم تجد منه مهربا
فإبليس لما كان ضداً لآدم ... تحيل فى عصيانه وتسببا
وقد كانت العقبى لآدم دونه ... فتاب الله عليه من بعد واجتبا

ومن قبل ذا قد كنت إن كنت ذاكراً نهيت أن تلقى الأمير مقطبا
دعاك إلى أمر مهم تجيئه كأنك في عرس أتيت مهيبا
فلا تنس فينا للأمير قضية فتفتح باباً للعتاب مجربا
وإياك أن تبطي على براتبي فيبقى عليك اللوم منه مرتبا

فانظر إلى سهولة البوصيري في قص القصة، وكيف حكى لنا ما أصاب خادم الممدوح الخاص من الضرب الشديد، وأن الذي ضربه هو الممدوح نفسه بوشاية واش كذوب، ثم انظر إليه وهو يؤنب الخادم لأنه استغل حظوته عند الأمير، فهو مرة يدخل عليه عابساً مقطباً، ومرة في حال تدل على زوال الكلفة وقلة الاهتمام، كأنه يقابل عروساً هو بها مغرم هائم، ثم انظر إليه كيف يجعل هذه الحادثة سلماً لمطالبه عند الأمير، حتى إنه ليدخل في روع الخادم أنه إذا أهمل تذكيره براتبه جر عليه ذلك سخط الأمير نفسه. والبوصيري كثيراً ما يخوض في الشئون العامة، وكثيراً ما يدعو إلى الإصلاح، وكثيراً ما ينصب نفسه لنصرة المستضعفين، وقد سقنا إليك طرفاً من ذلك في مهاجمته المستخدمين وغيرهم، فاستمع إليه الآن وهو يهجو الأعراب ويهزأ بهم، وقد كانوا يغيرون على البلاد ويعيثون فيها فساداً:

سعت إليه أناس لا خلاق لهم الغدر شيمتهم واللؤم والقذر
تلثموا ثم قالوا إننا عرب فقلت لا عرب أنتم ولا حضر
ولا عهود لكم ترعى ولا ذمم ولا بيوتكم شعر ولا وبر
وأي بزية فيها بيوتكم وهل هي الشعر قولوا لي أو المدر
وليس ينجي امرءاً راموا أذيته منهم فرار فقل كلا ولا وزر

ثم يقول للممدوح:

لما علمت بأن الرفق أبطرهم والمفسدون إذا أكرمتهم بطروا
زجرتهم بعقوبات منوعة وفي العقوبات للطاغين مزدجر
كأنهم أقسموا بالله أنهم لا يتركون الأذى إلا إذا قهروا

ثم يعدد لنا أنواع العقوبات في زمنه فيقول:

فمعشر ركبوا الأوتاد فانقطعت أمعاؤهم فتمنوا أنهم قبروا
ومعشر قطعت أوصالهم قطعاً فما يلفقها خيط ولا إبر
ومعشر بالظبي طالت رءوسهم عن الجسوم فقلنا إنها أكر
ومعشر وسط مثل الدلاء ولم تربط حبال بها يوماً ولا بكر
ومعشر سمروا خلف الجياد وقد شدت جسومهم الألواح والدسر

وآخرون فدوا بالمال أنفسهم   وقالت الناس خيراً من حمى عود
وجنات سوء تلقوها بما صنعوا   ومن وراه تلقيهم لها سقر

وترى البوصيري بعد ذلك لا يترك الكلام في السياسة الخارجية للمملكة ، ولا يهمل التنويه بما يرفع شأن مصر، ولا يغفل الإشادة بانتصارها في ميادين القتال، فهو يذكر في إعجاب وزهو انتصار الجيوش المصرية بالشام وأخذهم الرقاب، في قصيدة يمدح بها أحد كبراء الدولة في عهد الملك المنصور سيف الدين قلاوون الذي تولى حكم مصر سنة ٦٧٨:

يغزون خيل المسلمين يمدها   من العدو في أرض العدو جسور
أما زلزلت بالعاديات وجاءها   من الترك جم لا يعد غفير؟
أتوا بجلوات من الجرد إن سرت   ورجل لهم مثل الجراد تمور
فلم يرقبوا من صرح هامان مرقباً   بهامته برد السحاب يكور
وصبوا عليه عارضاً من حجارة   ونبلا وكل بالعذاب مطير
وساموه خسفاً من نقوب كأنها   أفاعي لها تلك البروج قبور
فباتوا به من الحصار فأصبحوا   لهم ذلك الحصن الحصين حصير
وماذا يرد السور عنهم وخلفه   من الخيل سور والصوارم سور
وليس لهم إلا إلى الأسر ملجأ   وإلا إلى ضرب الرقاب مصير
فلما أحسوا بأس أغلب همه   غدوا إليهم بالردى وبكور
دعوه وحبل النصر منهم مخرق   أماناً وجلباب الحياة قصير
فلا تذكروا ما كان بالأمس منهم   فذلك لأحقاد الصدور مثير
ولو شاء مد النيل سيل دمائهم   وزادت بحور ماده وصدور
ولكنه من حلمه واقتداره   عفو عن الذنب العظيم غفور
ولم يبقهم إلا خيراً أتاها   مليك مصيب الرأي وهو خبير
يرى الرأي مثل الراح يروي عتيقه   ويكرم منه الحلو وهو مرير
فولوا وسوء الظن يلوي وجوههم   فتحسبها سوراً وما هي سور
فلله سلطان البسيطة إنه   مليك يصير النصر حيث يسير

وهذه القطعة رائعة حقاً وهي وصف واف يصور تلك الموقعة تصويراً صادقاً ، ولا بد من استيفاء الحديث في هذه القصيدة في عدد آخر، فإنها من قصائده الجامعة.

علي الجارم

تفكيرنا وكيف ننظمه؟

بقلم الأستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

تمهيد

يحار الباحث فى تتبع كلمتى « الفكر » و « التفكير » واستقصاء المعانى المتعددة التى ذهبت إليها قواميس اللغة فيها ، والوصول إلى مدى إساءة استعمال العامة لهما من ناحية ، واختلاف وجهات نظر العلوم الفلسفية فى أمرهما من ناحية أخرى ، رغم أنهما ومترادفاتهما من أكثر كلمات اللغة وروداً على ألسنتنا ؛ والعملية العقلية التى تمثلها هى أرقى العمليات التى تميز الانسان من غيره من الحيوان.

فالناس عامة تطلق كلمة التفكير – من غير قيد أو تحديد – على كل عملية يقوم بها العقل سواء أكانت مجرد تذكر حادثة قديمة ، أم تصور شىء معروف ، أو التأمل فى أمر يتمناه الانسان ويشتهيه أو يكرهه ، ويشعر نحوه شعوراً سيئاً ، من غير أدنى تفرقة بين ماهو حاضر أمامه يدركه بحواسه ، وبين ماهو غائب عنه يعرفه من صورته أو ذكراه ، وهذا المعنى الواسع يتضمن كل سانحة شاردة ، وكل ذكرى تافهة ، وحلم من أحلام النهار واليقظة ، وكل مايترى فى الذهن من حلقات متناثرة متنافرة غير منسجمة ولا متصلة .

هذا كله ليس بتفكير ولا تأمل ، لأنه لايتعين عند التفكير الصحيح أن تترى الأشياء وعناصر الأشياء أو حلقات سلسلة الأمور التى يفكر فيها العقل وتتعاقب وراء بعضها فحسب ، بل لابد أن ترتبط ارتباطا محكما بحيث تستند كل خطوة إلى سابقتها وتحدد التى تأتى بعدها فتكون حلقة متصلة فى سلسلة الأفكار . أما التفكير بمعناه العلمى المحدود فى علم النفس الحديث فهو « العملية العقلية التى يقوم بها العقل عند شعوره بأنه يواجه موقفاً معقداً غير مألوف لديه ، يتطلب منه أن ينصرف تصرفاً خاصاً مقيداً بالظروف والعلاقات القائمة فعلا ، أو التى يستنبطها العقل بين أجزاء هذا الموقف أو بين هذا الموقف وموقف آخر يتصل به أو يماثله وبين العقل ذاته والموضوع الذى يفكر فيه » .

فكل موقف يقفه الإنسان ويشعر فيه بضرورة التصرف للوصول إلى غرض معين تعترضه إليه صعوبات مستعيناً عليه بما يستكشفه من علاقات بين عناصر الموقف ، فهو موقف يستدعى

التفكير، ويخطىء الكثير من المدرسين فى تصور أن كل عملية استنتاجية تتطلب شيئاً من التفكير. فيقول مدرس الحساب مثلا: إنه يعطى مسائل عقلية كثيرة لتقوية التفكير، وهى قد تكون فى الحقيقة تطبيقاً لقواعد أخذها التلميذ ودرسها وعرفها، ولذلك غالباً ما يتذكرها ويقول جواباً للسؤال عن كيفية حلها بغير أدنى تردد « نطرح أو نقسم يافندى»، لأن هذا العمل مألوف لديه، فلا يحتاج لشىء من التفكير؛ فيصح إذن أن يقوم العقل بعمليات عقلية كثيرة مرتبطة بموقف معين، ولكنها لاتسمى تفكيراً إلا إذا توفر فيها هذان الركنان :

١ — إدراك العلاقات بين أجزاء الموقف وبعضها — ٢ — الشعور بضرورة التصرف .

فالأصل فى التفكير وجود مشكلة، تستوقف الذهن قليلا، لها حل واحد أو جملة حلول، ويعترض سبيل الوصول إلى هذه الحلول ارتباك أو شك يدفع العقل إلى محاولة إيجاد مخرج منها، أو الوصول إلى نظرية أو رأى أو مشروع تحل به، وهذه المشكلة تبدو مشكلة كلية فى أول الأمر، وترى تشعباتها عند ما يأخذ الانسان فى أسباب حلها، وهى كما يقول «ديوى» الفيلسوف الأمريكى « حالة حيرة وشك وتردد تتطلب بحثاً أو عملا يجرى لاستكشاف الحقائق التى تساعد على الوصول إلى الحل » .

ولكن العناصر الموجودة بالفعل، لاتوحى بالحل لأول وهلة، وإنما هى قد تساعد على إخراجه من بطون التجارب الماضية والمعلومات السابقة، أو استنباطه من جديد بعد تقليب الأمر على كافة وجوهه، والبحث عن المعلومات الضرورية لكشف الغامض أو إثباته، إن كان قضية، أو بيان بطلانه وسخافته إن كان زعماً. أما التريث فى الحكم عند الشعور بنقص المعلومات؛ فالشك والتحقيق المنظم هما أساس التفكير الصحيح .

ونستطيع أن نقول إجمالا إن عناصر التفكير هى:

١ — الشعور بضرورة التصرف فى المشكلة القائمة — ٢ — تقدير القيم النسبية للموقف وأجزائه وإدراك ما بينهما من علاقات، وتعليل الموقف لاستخلاص نتيجة معينة.

٣ — الحكم على الموقف أو الموضوع بالصحة أو البطلان .

وينتقل المفكر من التساؤل عن إمكان حل المشكلة إلى اختيار نوع التصرف الذى يراه موصلا للحل المطلوب إلى التصرف بالفعل ؛ فبقدر ما يدرك العقل من قيمة بقدر ما يكون نزوعه للحل.

فمثل من يعالج مشكلة عقلية مثل الغريب يسلك سبيلا لا يعرفها، ثم يجد نفسه وحيداً فى مفترق الطرق، يقف ويتردد ... فى أى طريق يمشى وأى النواحى يأخذ؟ فيضرب على غير هدى ويسير يمنة أو يسرة، أو يستمر فى طريقه ، أو يسأل عن الطريق، أو يعتلى شجرة عساه يجد دليلا يهديه إلى ما يريد .

والانسان فى كل يوم من أيام حياته، بل فى كل سؤال يلقى عليه، وفى كل موضوع يقرؤه، وفى كل حادثة يشاهدها، وبالجملة فى كل ما يتضمن شيئاً خفياً يراد كشفه، ينتقل من إدراك الموقف وتحديده إلى تلمس الحل وفرض الفروض واستخدام معلوماته السابقة إلى تعليل الفروض لبيان صحتها أو بطلانها، وأخيراً إلى الحكم أو نتيجة الحل.

خذ مثلا هذه المشكلة: حجرة لها باب واحد ونافذة واحدة، فعند الظهر يدخل شعاع الشمس من نافذة الحائط الذى يكون إلى يسار الداخل، ويقع على الحائط الأيمن. ففى أى اتجاه تنظر لو وقفت وظهرك للحائط المقابل للباب؟

خطوات العقل فى حل المشكلة

عند معالجة المسألة الماضية أو ما يماثلها من المشاكل العقلية يتبع العقل خطوات وينتقل من أقسام سنحللها ونحددها فيما بعد.

وفى المثال السابق تشعر أنك أمام مشكلة غامضة، تتمثل فى الجواب المطلوب للباب، فتبدأ بتحديد الموقف وتحليله إلى كل عناصره، وهى فى هذه الحالة شكل الحجرة وتركيبها وتحديد الاتجاهات المعلومة من رأس السؤال، ثم تصور كل هذا أو ترسمه كروكياً، فتفرض أن الاتجاه يكون شمالا مثلا، وتعمل على التحقق من صحة الحل بناء على العلاقات القائمة بين أجزاء السؤال ومعلوماتك، أو تستنتج الحل خطوة خطوة، فأنت تعلم أن الشمس تشرق فى الشرق وتكون عند الظهر فى الجنوب، فالنافذة التى تدخل فيها الشمس قبل الظهر لابد أن تكون قبلية، أى أن الحائط الذى إلى يسار الداخل قبلى، فالباب يكون حتما فى الشرق، وأنت إذا وقفت وظهرك للحائط المقابل للباب تتجه بالضرورة نحوه، إذاً أنت تتجه شرقاً، فغرضك الأول غير صحيح، أما الصحيح فهو الشرق، ولذلك تراجع الحل على اعتبار أنه الصحيح حتى تنتهى إلى رأس السؤال وتكون قد حققت المسألة طرداً وعكساً. وسنفصل الآن هذه الخطوات لما لدراستها من أهمية عظمى فى التربية والتعليم وتنظيم التفكير والمباحث الجنائية وحل المعضلات.

(الخطوة الاولى — الشعور بوجود مشكلة تتطلب الحل)

ويصح أن تكون المشكلة قديمة مرت على الانسان من قبل كثيراً ولم يعن بحلها، أولم يكن الحل فى مقدوره وقتئذ عند ما واجهها أول مرة، ويجوز أن تكون موقفاً جديداً بسيطاً فى حد ذاته، ولكنه يتطلب التفكير لمجرد أنه أمر جديد، وتحمل جدته العقل على التفكير فيه، وعلى كل حال كلما حدثت أزمة تفكير، يشعر العقل فيها بأن طرق التفكير العادية لا تنفع فيها، أوليس فى استطاعته أن يكيف نفسه بالطرق المألوفة لديه، فليس من الضرورى إذن أن تكون المشكلة صعبة عويصة، بل أى موقف يتطلب حلا وتصرفاً نسميه مشكلة، وإذا وجدت نفسك فى

موقف جديد معين يتطلب التفكير، وفكرت فى حل له ، ثم عرض لك هذا الموقف مرة أخرى فحللته بنفس الحل ، تكون العملية هنا عملية تذكر واستعراض ، ولا تكون تفكيرية إلا إذا حللته بحل آخر جديد .

والكثير من الأسئلة التى يلقيها المدرسون، وهم يعتقدون أنها باعثة على التفكير، إذا حللتها وجدتها تتضمن إما اختيار شيء من عدة أشياء ، أو استعراض شيء قديم من غير أدنى تفكير.

(الخطوة الثانية ـ تحديد المشكلة وتحليلها إلى عناصرها)

ذلك لمعرفة الغرض منها ، والنتيجة التى سيوصل إليها التفكير فيها ، ليكون نصب عين العقل طول عملية التفكير.

فشعور العقل بالمشكلة التى تواجهه، يحمله على التفكير فى معالجتها وحلها وتحديدها و.. الخ، فيبدأ لذلك بحلل المشكلة إلى عناصرها ، ويرتب هذه العناصر ترتيباً خاصاً ، ويناقشها ويدرس كلا منها على حدة، ويستخلص منها ما يرى أنه يفيده فى حلها ويستبقيه ويحذف النقط التى يجد أنها غير ماسة بالموضوع ، كأن تكون عرضية ويستبعدها محتفظاً بها تحت الطلب.

فالمرء حين حل المشكلة لا يستخدم جميع عناصرها ، بل يستخدم بعضها، ويرجىء بعضها الآخر ، وقد يعدل رأيه فيستخدم بعض العناصر التى لم يكن يفكر فى استخدامها. وتمرين الهندسة حين يعرض عليك لأول مرة هو نموذج كامل للمشكلة.

وللتمثيل لذلك نقول إنه عند الكلام فى درس جغرافيا عن إنشاء خزان فى نقطة ما ، يستعرض العقل كل العناصر الموجودة أو التى تمت للموضوع بصلة ، فعناصر هذه المشكلة هى طبيعة الأرض التى يقام عليها الخزان طبيعة الميكروبات التى فى هذه المنطقة ، ومقدار الماء المطلوب حجزه وتصريفه، والأرض التى تتلف من الإنشاء ومصاريف البناء والفوائد التى تعود على الأهالى الخ الخ ، كل هذه عناصر للموضوع أنت تستعرضها ، وتستخلص منها ما ينحصر فيه بحثك ، وتحذف البعض الآخر الذى لا فائدة فيه متبعاً قانون « الاقتصاد العقلى » الذى يذهب إلى « أن العقل يتوخى دائماً وفى كل عملياته الاقتصاد ، فيعمل بأقل عدد ممكن من العناصر، ويتبع أقل الطرق صعوبة ومقاومة ، حتى يصل إلى الحل فى أقصر وقت ، ومن أقرب طريق »

وتحوى هذه الخطوة التبويب والتصنيف والتركيب ، ومن ناحية أخرى جميع المعلومات اللازمة وعمل الإحصائيات والمقارنات ومتابعة المراجع والمصادر، والرجوع إلى مختلف الآراء والاستناد إلى شتى الحجج واستقصاء مشهور الأقوال. وبالجملة استخدام كل ما يمكن استخدامه فى حل هذه المشكلة العقلية ، لذلك تجد هذه الخطوة ألزم ما يكون فى كل بحث علمى ، وتكاد تكون الأساس الذى يترتب على متانته نجاح البحوث .

(الخطوة الثالثة ــ افتراض الحلول الممكنة)

لما كانت العناصر الموجودة بالفعل ، لاتعطى حلا للمسألة القائمة ــ وإلا لما كانت هناك مشكلة أصلا ــ كان طبيعياً أن يتلمس العقل منها عنصراً غير موجود يوصله للحل، ويقلبها على وجوهها المتعددة، ويستخدمها للبحث عن معلومات أخرى غير موجودة تساعده على كشف الغامض نوعا، أو بيان سخفه وبطلانه أو رصانته أو صحته . فالعناصر الموجودة لاتعطى الحل وإنما تساعد على افتراضه ، والخطوة الأولى الحقيقية الفعالة فى حل المشاكل ، هى فرض الفروض؛ وسنفرد لها مكانا نتكلم فيه عنها بما يتناسب وخطورتها فى الأبحاث العلمية ، ويكفى أن نقول هنا إن الفرض هو الفكرة التى يرى الانسان بادىء ذى بدء، أنها الموصلة إلى الحل أو التى يتوقف عليها ــ على الأقل ــ نوع التصرف الذى يختاره ويراه صالحاً لحل المشكلة؛ وعند مجرد تكوين الفرض يعمل العقل على تحقيقه باثبات صحته والتمسك به أو بطلانه، وافتراض فروض أخرى واختبار كل منها بدوره حتى يستقر على واحد منها كما سيجىء فى الخطوات التالية.

(الخطوة الرابعة ــ تجربة كل الاحتمالات الممكنة)

ذلك أنه اذا كان للمسألة عدة وجوه تقبل أكثر من فرض واحد، فيجب أن تجرب هذه الفروض الواحد بعد الآخر، وعند الوصول إلى حل صحيح ، لا يصح الاقتصار عليه، كلاعب الشطرنج يجرب كل الردود الممكنة التى تعد بمثابة حلول للمشاكل التى وضعه فيها خصمه اللاعب الآخر، قبل أن ينقل القطعة من موضعها ، ويكون حله نهائياً ، ويستمر يجرب حتى يصل إلى نظرية عامة، إن تحققت كان الفرض صحيحاً ، ويتبع قاعدة من النوع المنطقى المعروف: إن كان كذا كان كذا ، فيناقش العقل كل عنصر على حدة ثم كل عنصرين تربطهما علاقة معاً، ثم كل ثلاثة وهكذا إلى أن يصل إلى الحلول الممكنة سواء أكانت حلا واحداً أم عدة حلول، وبعبارة أخرى يكون إظهار صحة الفرض عن طريق التعليل الاستقرائى فى هذه الخطوة، والقياس يكون فى الخطوة التالية .

ومن أعظم العوامل قيمة فى التفكير الصحيح وكسب العادات العقلية المنظمة، التمسك بحالة الشك والتردد هذه، والاستمرار فى البحث وتعليق الحكم والتريث فيه انتظاراً لعناصر جديدة تتمم الموقف، فتؤيد أو تهدم الفروض التى تقدمت، لأن الشك والتحقيق هما الأساس .

(الخطوة الخامسة ــ تحقيق الحل أو الحلول التى انتهى إليها العقل)

وبعبارة أخرى العمل لاثبات الفروض عن طريق التجريب والتحليل والتركيب، وعن طريق تجارب جديدة أو ملاحظات تنتهى بقبول الحل أو رفضه، ومن ثم الاعتقاد وعدمه سلباً أو إيجابا ، ومن ناحية أخرى ترمى هذه الخطوة إلى التأكد من صحة الحل أو الحكم الذى وصلنا إليه ، باعادة كل التجارب عليه وحده باعتباره الحل الذى انتهت إليه كل الحلول وتطبيق

النظرية العامة التى استنبطها من الاستقراء فى الخطوة السابقة ، وقياس حالات أخرى خاصة بهذه الحالة العامة ؛ ولذلك تسمى خطوة التحقيق .

فنستطيع الآن أن ننظر إلى عملية التفكير بخطواتها الخمس على اعتبار أنها خطوات تحليلية ، تترتب على بعضها ، ولكن ليس معنى هذا أن كل المواقف لا بد أن تشتمل على هذه الأقسام الخمسة .

ففى بعض الحالات تنتهى عملية التفكير عند الخطوة الثانية، لأنه بمجرد التحليل يرى الحل ظاهراً ، ويكون إجراء الخطوات الأخيرة كمالياً ، مثال ذلك مدرستان : الأولى أهلية والثانية أميرية ، كانت نتيجة الأولى فى الامتحانات ١٠ فى المائة ، والثانية ٢٥ فى المائة ، ويراد معرفة السبب ، فأول مايفعله العقل هو البحث عن العوامل التى تؤثر فى سير المدرسة على الاطلاق ، وتحديد وجودها كمعهد علمى ، وهى إجمالا وسط المدرسة : (ا) بناؤها (ب) وحالة التلاميذ (حـ) ثم المدرسون (م) الناظر (ن) وغير ذلك وتقدر القيمة النسبية لكل عنصر على حدة ، ونستعرض الحلول المحتملة وهى أن يكون السبب فى التفوق عاملا واحداً أو أكثر ، ونقارن العوامل المتشابهة فى كل من المدرستين حتى نصل إلى الناظر ، فنجدها كلها متساوية ماعدا شخصية الناظر ؛ فهى فى الثانية أقوى منها فى الأولى ، فالأرجح إذاً أن يكون سر نجاح المدرسة الثانية راجع إلى هذا العامل .

التحليل

المدرسة الأهلية ب + و + م + ن = ١١
٣ ٣ ٣ ٢

المدرسة الأميرية ب + و + م + ن = ٢٥
٣ ٣ ٣ ١٢

فيستنتج العقل على الفور أن الفارق هو فى كفاءة الناظر ، ويشطب الخطوات الباقية ، ويتم هذا بطريقة لا شعورية ؛ ففى مثل هذه المواقف لايحتاج العقل إلى مقارنة وتجربة حلول ؛ أى تمتنع الخطوات الثالثة والرابعة والخامسة ، ويبدو الحل جلياً من الثانية ، فكأن هذه الخطوات لاتتم فى عملية عقلية إلا إذا كانت متكونة من عناصر كثيرة وفيها احتمال أكثر من حل واحد .

ومثال آخر : إنه قد تمتنع خطوات التحليل فى مواقف قراءة الحروف غير المرتبة حيث لا يحتاج العقل إلى تحليل الكلمات فهى محللة جاهزة بل ينتقل إلى تجربة الحلول والتحقيق .

محمد مظهر سعيد

ذكريات عن شوقى وحافظ

بقلم السيد محمد الغنيمى التفتازانى

أتراني حين أذكر لك بعض ما يجهله الناس عن علمين من أعلام الأمة أرجع إلى غير الذكريات ، والذكريات — كما يقول شوقى — للمرء عمر ثان ؟ وعلى هذا القياس أعتقد أن عمرى طويل إذا وفقنى الله إلى تدوين ذكرياتى عمن عرفت من الناس — وكثير ماهم — فى مشارق الأرض ومغاربها؛ ثم ليدن أجلى بعد ذلك ، ولكل أجل كتاب طال أم قصر .

شوقى

عرفت «شوقى» عرفان الجار الوثيق ، ثم عرفان الشاعر المفرد ، ثم عرفان الرجل العظيم ، ولشوقى من هذه الصفات نواح يجهلها الناس ، فما كل من عرف «شوقى» كان يسكن (خط الحنفى) كما أسكنه ، وفى ظلال قبة شمس الدين الحنفى رضى الله عنه ، ولد شوقى ، ونشأ شوقى ، وتزوج شوقى ، بل هو نفحة من نفحات السلطان أبى محمود ، يعرفها من عرف شيئاً من أسرار إمام أهل الحقيقة والشهود .

ألفنا منذ نشأنا ، أن نشهد (الحضرة) التى يقيمها الإخوان المتصوفة فى ساحة السلطان فجر كل يوم ، وقلما انقطعنا عن شهود هذه الحضرة حتى فى أشد أيام الشتاء قسوة ، فاذا انبلج الصبح وأدينا الفريضة وساهمنا فى مجلس الذكر وتلونا حزب البر لأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، زرنا ضريح السلطان الحنفى ، وانصرفنا بعد ذلك إلى بيوتنا لنتهيأ بعد تناول الافطار للعمل ، كل لما يسر له ، كذلك كانت عادة غالبية أهل خط السلطان الحنفى من شباب ورجال ، ولا تزال عادتهم إلى الآن ، ولو أن الأيام تناولتها بالانتقاص تبعاً لتقلباتها .

هذا شوقى (باشا) كما كنا نسميه ، هذا شاعر الأمير ، هذا الروح الملهم يطوف بضريح السلطان الحنفى يسأل الله المغفرة ، والستر فى الدنيا والآخرة ، ويدعو لأهله وولده ، ثم يوزع الصدقة فى غير منّ ولا أذى على اللاجئين إلى ساحة السلطان من الفقراء والمعوزين ، وكم هو حريص أمير الشعراء على هذا النوع من الصدقة والأسلوب من النسك رغم انتزاع كرمة ابن هانىء لهذا الكنز النفيس من قلب القاهرة حيث تقع دارهم الأولى إلى ضاحية المطرية ثم إلى ضاحية الجيزة .

يمرض « شوقى » ويلزم سريره ، فاذا برسله تفد إلى دار صهره أمير الإحسان المرحوم حسين باشا شاهين ، بأن يكلف المرحوم سيدنا الشيخ حسن سرحان كبير فقهاء الدائرة وأحد مؤذنى مسجد السلطان الحنفى بقراءة الفاتحة ويس لله تعالى بمقام السلطان توسلا بالعزيز الرحيم أن يعفو عن « شوقى » .

وكنت أحسب فى أول الأمر ، أن هذا الطلب موجه من حرمه المصون إلى دائرة أبيها رحمه الله ، لأنها معروفة بيننا جميعاً نحن « أهل الحنفى » بسلامة الإيمان وحسن العقيدة ، والاجلال المحض للسلطان الحنفى ، ولكن المرحوم حسين باشا شاهين لقى ربه راضياً مرضياً ، وسيدنا الشيخ حسن سرحان كبير فقهاء دائرته لحق بربه على أثره . فلم أعد أسمع ذلك النداء الحار ينبعث من أعماق نفس ذلك الشيخ الجليل حسن سرحان ، (بالفاتحة إن ربنا يشفى شوقى باشا وياخد بيده وبيد الست بتاعته ويحفظ أنجاله وعائلته) ، وظننت أن صفحات ذلك النداء انطوت ، وأن معين صدقة « شوقى » على فقراء الحنفى نضب ، وأن ذلك كله كان من أجل خاطر المرحوم حسين باشا شاهين الذى فقده خط الحنفى بأسره ، لأنه كان الوالد البار بالجميع ، وسكت وسكتنا .

وأخيراً مرض « شوقى » فاذا بى أستدعى إلى قصره بالجيزه (تليفونياً) ، وإذا به يستقبلنى فى غرفة نومه وهو على سرير مرضه ، وإذا به يطلب إلى — فى ضراعة المؤمن الموقن — أن (أقرأ له يس ، وأن أطلب له الفاتحة فى مقام السلطان الحنفى) .

وظل هذا أسلوبه معى ، يمرض فيطلبنى كما يطلب الطبيب ، وأكلف أحد أتقياء الفقهاء أن يقرأ يس لله تعالى كما أراد ، ثم أطلب له الفاتحة فى مجلس الذكر ، ويشفى فتنطوى الصفحة مؤقتاً ، وهكذا دواليك حتى لقى ربه مغفوراً له .

وبعد، فان الأستاذ أحمد عبد الوهاب سكرتيره الخاص ، والسيد ابراهيم بن عمر السقاف كبير أعيان سنغافوره ، يذكران حديثاً قصيراً لى مع أمير الشعراء — أنزله الله منازل رضوانه — وكان ذلك قبيل وفاته بثلاثة أيام ، حين وفد على نزل «الكونتننتال» لزيارة الصديق السيد ابراهيم السقاف ... لقد بشرت «شوقى» يومها بغفران الله ، وأنه من المقبولين ، وذلك تفسيراً لرؤيا رآها رجل من الصالحين مؤداها أنه رأى الحسنين — عليهما السلام — يستقبلان « شوقى » ثم يهمان به إلى جدهما عليه الصلاة والسلام ، فيستدعى المصطفى حسان بن ثابت رضى الله عنه ، ويقول له : «إن احمد نافح كما نافحت ، ووفى كما وفيت ، فخذه إلى جوارك فى الجنة» ؛ قصصت هذه الرؤيا كما أبلغنيها من رآها ، وهو رجل معروف بيننا بالصلاح والصدق ؛ فماذا رأينا حينذاك ؟ رأينا الدمعة على محاجر «شوقى» وهو يهمهم (عليه الصلاة والسلام ... عليه الصلاة والسلام) ، فلم يستطع أحدنا حبس دمعه ، وانصرف وانصرفنا ، ثم كان أن لقى ربه فى ثالث يوم بعد هذه البشرى .

ففى وديعة الله وكنف رسوله الصادق الأمين ، ورفقة الأئمة من آل محمد « وحسن أولئك رفيقا » .

حافظ

أما «حافظ» ، ذلك الشاعر الحكيم ، فارس الخطوب ، ومقارع الهيجاء ، وموقظ موات الهمم ، فترجع معرفتي به إلى عهد لا أظنه تجاوز العشرين عاماً ، وكانت تطربني منه النكتة الحية تكاد تجري في حديثه مجرى الشاهد ، هي نكتة في الصميم ولكنها صنعة اللبق الحكيم.

كنت أجلس إلى محضره العذب الفينة بعد الفينة ، فإذا بي أمام البحر الزاخر بجميع ما نفس من مفاخر الأوائل ومآثر الأواخر ، فمن شاهد في صلب اللغة ، إلى معنى طريف في بيت قديم ، إلى نسق مجمل في شاهد حديث ، إلى تاريخ فرد ، فتاريخ أسرة ، فخلاصة أخبار جيل ، هذا تجده في حديث «حافظ» إليك ، وإنك لموف نفسك حظها مما تألف ، ثم منصرف عن مجلسه ، وقد سمعت فطربت ، ودرست فوعيت ، وأشبعت حواسك من أنس المحضر وسلامة المخبر!

أذكر أنني سعدت برفقته إلى إحدى القرى لزيارة صديق كريم ؛ وكنا معاً في صحبة الصديق العزيز «السيد محمد عبد الهادي الجندي بك» رئيس محكمة الاستئناف بأسيوط اليوم ، وصدفة كان «حافظ» سليما معافى لا يشكو مرضاً يومها ، وكثيرة كانت أمراض حافظ! وكثيراً كان حرصه على التزام وسائل الصحة والراحة معاً ، ولكنه نشط يومها ، فطلب إلينا السير على الأقدام في المزارع ، وأنهكنا السير فانتحينا منعرجاً تفيأنا ظلال ما قام عليه من شجر ظليل ، وهنا بدرني «حافظ» بسؤاله ـ والسيد عبد الهادي بك الجندي يسمع ـ (يا تقمازاني ! سيبك دلوقت من المشيخه وغير المشيخه ، سمعنا أحسن أبيات تحفظها في التصوف ، على شرط ما تكونش من شعر ابن الفارض لأني حافظه كله) ، وهنا اطمأن خاطري ما دام «حافظ» يحفظ شعر ابن الفارض ، فهو بلا شك مأخوذ ببهائه وروائه ، فأنشدته:

لمعت نارهم وقد عسعس الليل ... ومل الحادي وحار الدليل
فتأملتها وفكري من البين ... عليل ولحظ عيني كليل
وفؤادي ذاك الفؤاد المعنى ... وغرامي ذاك الغرام الدخيل
ثم قابلتها وقلت لصحبي ... هذه النار نار ليلى فميلوا
فرموا نحوها لحاظاً صحيحات ... فعادت خواسئاً وهي حول
ثم مالوا إلى السلام وقالوا ... خلب ما رأيت أم تخييل ؟
فتجنبتهم وملت إليها ... والهوى مركبي وشوقي الزميل
ومعي صاحب أتى يقتفي الآ ... ثار والحب شأنه التطفيل
وهي تبدو ونحن ندنو إلى أن ... حجزت دونها طلول محول

فدنونا من الطلول فحالت زفرات من دونها وعويل
قلت: من بالديار؟ قالت: جريح وأسير مكبل وقتيل

وهنا قاطعنى وقال: (تصوف إبه دا ياولاد الـ... وانتو كنتو فى القصر العينى ؟)، وضحك وضحكت، ولكن الشك أخذ يدب إلى نفسى فى استساغة «حافظ» لأدب المتصوفة، وأمسكت عن القول، فألح، فواصلت إنشادى:

ما الذى جئت تبتغى؟ قلت: ضيف جاء يبغى القرى فأين النزول ؟

وهنا قال رحمه الله (آمنت بالله، دا تصوف ابن تصوف، هو فيه حد فى الدنيا بييجى للى عندهم جريح وأسير وقتيل ويقول أنا ضيف عايز أتعشى وأنام إلا شيخ طريقه ؟ آمنت بالله آمنت بالله قل ياعم قل).

وهنا رفضت أن أعود إلى الإنشاد رفضاً باتاً، ولكن السيد عبد الهادى بك الجندى (حلفنى بالنبى) أن أقول، فاشترطت الانتظار حتى أتم إنشادى، ثم ليعلق بعد ذلك، فتظاهر «حافظ» بالقبول وواصلت إنشادى فقلت:

فأشارت بالرحب دونك فاعقرها فما عندنا لضيف رحيل

فقال «حافظ»: مسكينة، وهممت أن ألزم الصمت، ولكن سكوته أطلق لسانى فقلت:

من أتانا ألقى عصا السير عنه قلت: من لى بذا وكيف السبيل ؟
فحططنا إلى منازل قوم صرعتهم قبل المذاق الشمول

فقال «حافظ»: مساكين (بيسكروا شفهى)، وسرى عنى فلم أعد أبالى بمقاطعته، بل صرت أتطلبها اصطياداً للنكتة الظريفة فقلت:

درس الوجد منهم كل رسم فهو رسم والقوم فيه حلول
منهم من عفا ولم يبق للشكوى ولا للدموع فيه مقيل

فقال: (دول المصريين، قول ياعم قول) فقلت:

ليس إلا الأنفاس تخبر عنه وهو عنها مبرأ معزول
ومن القوم من يشير إلى الوجد تبقّ عليه منه القليل

فقال: (دول الانجليز)، قلت:

قلت: أهل الهوى سلام عليكم لى فؤاد عنكم بكم مشغول

فقال: (دخلنا فى الجد)، وهنا قطعت باستساغته شعر الصوفية ثم قلت:

لم يزل حاضراً من الشوق يحدو بى إليكم والحادثات تحول
جئت كى أصطلى فهل لى إلى نار ذراكم من الغداة سبيل ؟

فأجابت: حوادث الحال عنهم … كل حد من دونها مفلول
لا تروقنك الرياض الأنيقا … ت فمن دونها ربى ووحول
كم أتاها قوم على غرة منها … وراموا قرى فعز الوصول
وقفوا شاخصين حتى إذا ما … لاح للوصل غرة وحجول
وبدت راية الوفا بيد الوجد … ونادى أهل الحقائق: جولوا
أين من كان يدعينا فهذا اليوم … فيه سيف الدعاوى يصول
حملوا حملة الفحول ولا … يصرع يوم اللقاء إلا الفحول
بذلوا أنفساً سخت حين شحت … بوصال واستصغر المبذول
ثم غابوا من بعد ما اقتحموها … بين أمواجها وجاءت سيول
قذفتهم إلى الرسوم وكل … دمه فى طلولها مطلول
منتهى الحظ ماتزود منه الـ … حظ والمدركون منه قليل
نارنا هذه تضىء لمن يسرى … بليل لكنها لا تنيل
جاءها من عرفت يبغى اقتباساً … وله البسط والمنى والسول
فتعالت عن المنال وعزت … عن دنو إليه وهو رسول
فوقفنا كما عرفت حيارى … كل عزم من دونها محلول
ندفع الوقت بالرجاء وناهـ … يك بقلب غذاؤه التعليل
كلما ذاق كأس بأس مرير … جاء كأس من الرجا معسول
وإذا سولت لى النفس أمراً … حيد عنه وقيل صبر جميل
هذه حالنا وما وصل العلم … إليه وكل حال تحول

***

وتغير وجه «حافظ» وصرخ: (لا إله إلا الله)، قلت مابك؟ قال لقد ملكت على هذه الأبيات مسارب الحس، لمن هى؟ قلت لشيخ الصوفية عبدالله بن القاسم الشهرزورى، قال: إنكم معاشر صوفية هذه الأيام لمجرمون، تحفظون هذا! ولا تنشرونه على الناس؟! إن لكم لأدباً، وإن فيكم لذوقاً؛ ولو كنت مثلك شيخ سجاده، لعلمت الناس أدب القوم ولعرفتهم ذوقهم، قلت: لقد جرفنا سيل أدبكم، ومانحن فى هذه الأعصار العاصفة؟ قال: والله إن العارف بعرفانه ليملك القلوب ويحيى النفوس، ولكن أين أنتم من العارفين؟ إنكم غير أولئك.

فقلت: صدقت، ثم قمنا وقد اختلف الموقف، وأصبح «حافظ» شيخ طريقة وعدت أنا تلميذاً؟

محمد الغنيمى التفتازانى

الاشعة فوق البنفسجية

وهل تطيل أعمارنا ؟

عن دكتور بومان

كيف نعيش الآن؟

نحن نعيش هذه الأيام فى جو غريب ، ولو فرض أن أحد أجدادنا خرج إلى العالم ليعيش فيه لقضى فوراً ومات اختناقاً ، ثم إن انتقال الانسان من العصر الزراعى إلى عصر الميكانيكا والصناعات قد استلزم حدوث تغييرات شتى فى مراحل الحياة الانسانية ، ألم تدخل على أبيك مرة وأنت من تعب صعود الدرج تلهث، فتراه يقلب شفتيه أسفاً على تدهور صحتك وأنت ماتزال شاباً، على حين كان الناس قديماً لا يتعبون حتى فى سن الثمانين؟! ألم تقرأ شيئاً فى تاريخ (الفسيولوجيا) لتعرف كم كان طول وعرض أجدادنا الأول؟ لاشك أن هذا قد حدث لك، ولاشك أيضاً فى أنه لفت أنظار الكثيرين غيرك، الذين عرفوا — مثل ما عرفت أنت — أن ما نحن فيه من ضعف واضح ليس إلا نتيجة إهمالنا الاستفادة من ضوء الشمس الذى كان يستفيد منه الأقدمون العراة .

وقد كان من بين هؤلاء الكثيرين نفر من الأطباء ظلوا يكدحون ويعملون ويقضون الأيام يختبرون عساهم يكشفون من الحراب الجديدة ما يمكننا من أن ندرأ عن أنفسنا شر كثير من الأمراض والعلل، التى صار من السهل جداً أن نصاب بها، وما أسهل أن تقعد بنا عن العمل نادمين.

والحق أن حفظ الصحة الجسمية والعقلية أصبح من المشاكل العويصة للغاية، لذلك فكر هؤلاء الأطباء — ضمن ما فكروا — فى الاستفادة من أم القوى الطبيعية ؛ أعنى « أشعة الشمس » التى يحاول العلماء اتخاذها وسيلة من وسائل المناعة والعلاج .

وفى هذا المقال يجد القارىء بعضاً مما وصلوا إليه .

أبقراط والشمس:

وليست فكرة الاستفادة من أشعة الشمس ، كوسيلة للوقاية والعلاج، بالفكرة الجديدة؛ فان أبقراط نادى بها قبل ميلاد المسيح بعدة قرون ؛ وأبقراط هو أبو الطب القديم ، كما هو معروف، فالفكرة موجودة إذاً منذ فجر الطب، ولكن أبقراط لم يبذل مجهوداً كبيراً فى كشف

هذه الحقيقة التي وفق لها بعد تجارب لاتعدو أن تكون بسيطة. ولكن هذه الفكرة — لسوء حظ الانسانية — أهملت على أثر انهيار المدنيات الكلاسيكية القديمة، وانقضت قرون عديدة قبل أن يعود الناس إلى التفكير في إمكان الاستفادة من ضوء الشمس، فلم يبدأ ذلك إلا حوالى منتصف القرن التاسع عشر، في الوقت الذي قام فيه «فلورنس نيتنجيل Florence Nightingale» ينادي بما ذهب إليه أبوقراط منذ آلاف السنين. والظاهر أن نداء (نيتنجيل) لم يجد له آذاناً صاغية إلا في دائرة أصدقائه ومعارفه فقط، فظلت الحال على ما هي عليه حتى جاء (فنسن Funsun) فاستخدم أشعة الشمس لعلاج (البثور الجلدية)، ثم جاء بعده (ووليير Wallier) فاستخدمها أيضاً في علاج (بثور العظام)، وأتى العلاج في الحالين بنتائج باهرة ساعدت الفكرة على الذيوع والانتشار، وعرف الناس الشمس كوسيلة للوقاية من الأمراض من جهة، وللتداوي من بعضها من جهة أخرى.

أما في عصرنا الحالي الذي ورث عن العصر السابق الاعتقاد بفائدة الشمس، فان أذهان العلماء قد اتجهت إلى دراسة أشعة الشمس من نواحيها المختلفة والكشف عن خواصها المتعددة، وفعلا تمت أشياء كثيرة من هذه الدراسة، حتى استخدمت الأشعة الشمسية في كثير من المخترعات الطبية فضلا عن العلاج الاكلينيكي وعلاج الحمامات، وصرنا الآن نعتقد أن ضعف الصحة لا بد أن يكون نتيجة لازمة للحرمان من أشعة الشمس، ذلك الحرمان الذي يسبب كثيراً من الأمراض أسماها الدكتور صليبي Saleiby «أمراض الظلام».

معلومات عامة عن ضوء الشمس :

لا شك في أنك تعرف أن ضوء الشمس لايستغني عنه كائن حي على الاطلاق، كما تعرف أنه بدون الشمس لا توجد الحياة، فماذا في أشعة الشمس إذاً يعمل على إخصاب المادة اللاحية ويمدنا بالصحة والحياة ؟!

تمدنا الشمس بأنواع عديدة من الأشعة، تختلف عن بعضها البعض، فالأشعة التي تصل إلينا — ونسميها «ضوء النهار» — مكونة من ضوء مرئي(١)، وتصل من الشمس إلى الأرض أشعة ثانية تسمى «الأشعة الحرارية» وأشعة ثالثة تسمى «الأشعة فوق البنفسجية»، وهي التي تفيدنا كثيراً عن غيرها في الوقاية والعلاج، أما الأشعة الحرارية فلاتؤدي إلا عملا ضئيلا، هو صناعي أكثر منه أي شيء آخر.

أثر الأشعة فوق البنفسجية في الجسم الانساني:

وأول ماتفعل بأجسامنا هذه الأشعة، هو أنها تنعكس على الجلد فتلينه وتخصبه بشكل

(١) سمي مرئياً لان العين العادية تراه بسهولة.

يمكن أن يحس به الرجل العادى ، ثم تنفذ خلال الجلد إلى أطرف « الشعيرات العصبية » فتنشط هذه ، ومن ثم تنشط المواصلات بين الأعصاب والمخ ، كما أنها تنفذ خلال كثير من الأعضاء الداخلية فتقوم بأداء وظائفها بطريقة مرضية . وبالتعرض الدائم لهذه الأشعة يتلون الجلد باللون البرونزى ، وتتفتح مسامه . والمسام المتفتحة تعتبر «قلبا» ثانيا ، بالنظر إلى أنها تنشط الأوعية الدموية الدقيقة التى على أساسها تنشط الدورة الدموية فيتدفق الدم إلى سائر أعضاء الجسم بالكميات المطلوبة ، ويكون من السهل على الشعيرات الدموية أن تحمل الدم إلى الأعضاء البعيدة الغور فتؤدى وظيفتها بانتظام أيضاً .

وفى تعرض الجسم لهذه الأشعة تقوية للعضلات الخارجية ، حتى لقد يبدو الإنسان فى جسم الرياضيين ، وهو قعيد الفراش لايغادره مطلقاً لرياضة بدنية أولغيرها ، والغريب أن العضلات التى ينتجها التعرض للأشعة فوق البنفسجية تفوق بكثير تلك التى تنتج عن التدليك اليدوى أوالتدليك الكهربائى ، والواجب أن يكون العكس .

دكتور (وولبير) والأشعة فوق البنفسجية :

وأثر هذه الأشعة فى بناء القوى العضلية له قيمة كبيرة ، وليس ذلك فى معالجة بعض حالات البثور فحسب ، بل فى علاج كثير من الأمراض التى يلزم لعلاجها « تأكسد الدم » عن طريق تنشيط الإفراز ، وكذلك هى مفيدة فى قتل جراثيم بعض الأمراض الصدرية الخطيرة ، حتى إن الدكتور (وولبير) يصفها بأنها أكثر تنشيطاً وأثراً فيه من كل الملابس الثقيلة التى يرتديها .

واتضح للعلماء أن للأشعة فوق البنفسجية أكبر الأثر فى تكوين الدم ؛ ذلك لأن كريات الدم — بما تحوى من الهيموجلوبين — وجد أنها تزداد بكثرة إذا تعرض الجسم لهذه الأشعة .

ثم يأتى أثر هذه الأشعة على العقل ، وكلنا يستطيع أن يدرك هذا الأثر ، وإلا فمن منا لاتتحرك عواطفه ليشعر أن الحياة لذيذة فى ذلك اليوم المشرق الشموس ؟ لقد أثبت العلم الحديث أن هذا الشعور لاتحدثه إلا الأشعة فوق البنفسجية .

فوق البنفسجية والفيتامين واللبن :

وبطريق غير مباشر تعمل الأشعة فوق البنفسجية على زيادة كمية الفيتامين فى الأطعمة ، بل إن كل مادة الفيتامين التى نجدها فى سائر أصناف النباتات وفى الحيوانات التى تتغذى بالنباتات والتى تتغذى بحيوان يأكل فى الأصل النباتات ، إنما مصدرها الأشعة فوق البنفسجية ؛ وفعلا نجح بعضهم فى إيجاد « الفيتامين د » بطريق تعريض مواد خاصة لهذه الأشعة .

وإنه لتأثير كبير ذلك الذى تحدثه هذه الأشعة على الأبقار وما تدر من لبن، فلو أنك حبست بقراً فى حظيرة لا يدخلها ضوء الشمس، ثم أطعمته من الكُسب - وهو أدسم غذاء للبقر - لوجدت أن كمية اللبن تقل، فضلا عن أن كمية الفيتامين تقل فيها أيضاً، بنسبة محسوسة جداً، عن كمية اللبن عند أبقار المراعى الخضراء، حيث تسطع عليها الشمس طول النهار.

كيف نستفيد منها ؟

وبعد ؛ فهل يشك إنسان فى القدر الذى تساهم به هذه الأشعة فى خيره وسعادته ؟! لاشك فى أن الجواب سلبى، ولكن المشكلة التى تقوم أمامنا هى : كيف يمكن أن نستفيد منها؟ وكيف نتمكن بواسطتها من إطالة حياتنا ؟

فى الصيف يمكننا أن نتعرض لها كما نشتهى بواسطة عمل الحمامات الشمسية، ولكن ماذا نفعل فى الشتاء حين يكفهر جو السماء وتغطى القبة الزرقاء بالسحب الدكناء ؟! لقد وجد الانسان - لحسن حظه - أن الكهرباء يمكن أن تأخذ بيده فى هذه السبيل، فقد أمكن توليد الأشعة فوق البنفسجية بواسطة إحداث «أقطاب» بين عمودى زئبق فى أنبوبة (كوارتز) واخترع لنا أحد العلماء مصباحاً كهربائياً يمكن أن يعكس لنا هذه الأشعة الصناعية الناتجة ثم يوجهها المتجه المراد.

وبعد اختراع المصابيح السابقة أجريت تجارب كثيرة على مرضى لا يتعرضون لهذه الأشعة فأسفرت التجارب عن كشف حقائق نفسية غريبة، وعولج المرضى على أساس التعرض لهذه الأشعة فكانت النتيجة خيراً.

فإذا أردنا استعمال هذه الأشعة فى التداوى والعلاج، وجب أن نكون على حذر، وألا نتعرض لها - بهذه الطريق أو بالأخرى - إلا تحت إشراف إخصائى، وإلا كانت النتيجة وبالا علينا.

منبع فياض فهل ننتفع به ؟

إذاً فلدينا منبع فياض لا ينضب معينه، يمدنا بالخير والصحة دون ثمن، ولا يكلفنا التمتع بهذا الامتياز العجيب إلا أن نعرف الطريق إلى هذا المنبع ؛ وما يمدنا به هذا المنبع لا يفيد فى الوقاية فقط، ولا فى العلاج فقط، ولكنه أكسير يطيل الحياة، فهل من منتفع ؟! ألا إن علينا أن ننتفع بذلك المنبع فى البيت والمدرسة والمكتب والعمل وسائر الأماكن التى نقضى فيها ولو قليلا من الوقت.

يجب أن نعلم أولادنا منذ الصغر أن يعشقوا الشمس بأشعتها المختلفة ،وخاصة هذه الأشعة فوق البنفسجية ؛ ولكن استفادتنا من الشمس فى المدن المزدحمة التى يخيم فى جوها سحاب دخان المعامل والمصانع ، قد تكون أمراً متعذراً ، ولكن هذا المتعذر يمكن أن يكون سهلا إذا سمحنا لأولادنا أن يخرجوا إلى الضواحى فى كل الفرص الملائمة الممكنة ليأخذوا حماماً شمسياً يجعلونه على الدوام جزءاً من برنامج نزهتهم ، ولكننا يجب أن نعطيهم قليلا من التنبيهات الآتية :

فعليهم ألا يتعرضوا لأشعة الشمس بحيث تكون متسلطة على ظهورهم ، كما يجب ألا يطول الحمام أكثر من عشر دقائق إلى خمس عشرة دقيقة — على الأكثر — وأن يكون الحمام قبل الساعة العاشرة صباحاً ، أو بعد الساعة الثالثة مساء ، وأن يكتفوا بأن يعرضوا للأشعة عيونهم ورءوسهم وأعلى صدورهم فقط . فاذا كان الجو شتاء يمكن أن يجرد الطفل جسمه ، ثم يسلط عليه « الأشعة الصناعية فوق البنفسجية » بنفس الشروط السابقة .

وفى اعتقادنا أن من الخير كل الخير أن تعمم للأطفال المدارس التى تتبع نظام الدراسة فى الهواء الطلق ، أو التى لا سقف لها (على حد تعبير الانكليز) ، فان هذه الأشعة تنعش جسومهم وعقولهم ونفوسهم ، فاذا كانت المدرسة ذات سقف فيكتفى بالذهاب بالأطفال إلى العراء كل يوم للاستمتاع بالأشعة ثم يعادون إلى الفصول فيكونوا أكثر قابلية للدرس .

العمال وضوء الشمس :

إن أولئك العمال المساكين الذين يشتغلون فى التعدين أو فى المصانع المزدحمة ، هم أكثر الناس إصابة بالأمراض الصدرية والجلدية والروماتيزم والأنيميا ؛ فلهؤلاء — بعد كل ما ألقى العلم على هذه الأشعة من أضواء — أفتتح مستشفى شمسى فى إحدى ولايات التعدين الانجليزية لتعالج فيه هذه الأمراض ، فأتى بنتيجة مرضية ، وهى خطوة مباركة لصالح العمال ، وعما قريب تعم هذه المستشفيات فوق البنفسجية سائر مناطق العمال .

وأخيراً فنحن لا نعتب على أولئك القوم الذين عبدوا الشمس فى الأزمان الماضية ، وعرفوا مالها من أثر فى كافة الكائنات الحية ، ومن بينها الانسان ، الذى جرى على أن ينكر قبل أن يجرب ، فاذا جرب وبان له الصبح فانه لا شك يعتقد ... بل يتناهى فى الاعتقاد بفائدة الشمس التى « لا جديد تحتها » ...

البيمارستان العتيق *

بقلم الدكتور أحمد عيسى بك

الأطباء الذين عملوا فيه :

١ — رضى الدين الرحبى :— هو الإمام العالم رضى الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة ابن الحسن الرحبى ، كان كبير النفس ، عالى الهمة ، كثير التحقيق ، محباً للخير . كان والده من بلد الرحبة ، وكانت صناعة الكحل أغلب عليه ، وكان مولده بجزيرة ابن عمر سنة ٥٣٤هـ ١١٣٩م ، ونشأ بها وسافر إلى بغداد ، واشتغل بصناعة الطب ، واجتمع أيضاً فى ديار مصر بالشيخ الموفق المعروف بابن جميع المصرى وانتفع به ، وكان وصوله مع أبيه إلى دمشق فى سنة ٥٥٥ هـ ، وكان فى ذلك الوقت ملكها السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى.

واشتغل رضى الدين على مهذب الدين بن النقاش الطبيب ولازمه فقدمه ، وتأدت الحال إلى أن اجتمع بالملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فحسن موقعه عنده وأطلق له فى كل شهر ثلاثين ديناراً ، ويكون ملازماً للقلعة والبيمارستان بالقاهرة ، وبقى كذلك مدة دولة صلاح الدين بأسرها ، ولما توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ — ١١٩٣ ، وتولى أخوه الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، طلب أن يكون بدمشق ، وأطلق له ما كان مقرراً باسمه فى أيام صلاح الدين . ولما توفى الملك العادل ، وتولى بعده الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ، أجرى له خمسة عشر ديناراً ، ويكون متردداً إلى البيمارستان ، فبقى كذلك إلى أن توفى سنة ٦٣١ — ١٢٣٣ ، وعاش نحو المائة سنة ، وكان من محاسن عادات رضى الدين أنه ما كان يقرب الطعام إلا إذا طلبته شهوته ، وأنه كان أبداً يتوخى ألا يصعد فى سلم ، وكان يصف السلم بأنه منشار العمر .

وله من الكتب :

(١) تهذيب شرح ابن أبى الطيب لكتاب الفصول لأبقراط .

(٢) كتاب اختصار المسائل لحنين .

٢ — ابراهيم ابن الرئيس موسى — هو أبو المنى ابراهيم ابن الرئيس موسى بن ميمون ، منشؤه بفسطاط مصر ، وكان طبيباً مشهوراً ، عالماً بصناعة الطب ، وكان فى خدمة الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب ، ويتردد إلى البيمارستان الذى بالقاهرة من القصر

* هذا هو القسم العاشر من سلسلة البحث التى نشرت فى الاعداد السابقة من « المعرفة »

ويعالج المرضى فيه، قال ابن أبى أصيبعه: « واجتمعت به فى سنة ٦٣١ أو ٦٣٢ھ بالقاهرة، وكنت حينئذ أطب فى البيمارستان، فوجدته شيخاً طويلا، نحيف الجسم، لطيف الكلام متميزاً فى الطب، توفى سنة نيف وثلاثين وستماية، وعاش ٨٦ سنة ».

٣ ـ ابن أبى أصيبعة ـ هو الطبيب الفاضل العالم الأديب، موفق الدين أبو العباس أحمد ابن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى المعروف بابن أبى أصيبعة، ولد بدمشق وكان والده متقنا لصناعة الكحل، وعمه رشيد الدين على بن خليفة الذى كان كحالا ببيمارستان دمشق، وقرأ الحكمة على رضى الدين الجيلى، واجتمع بابن البيطار بدمشق فى سنة ٦٣٣ھ ـ ١٢٣٥م، وشاهد معه فى ظاهر دمشق كثيراً من النبات فى مواضعه، وخدم الطب فى البيمارستان الذى أنشأه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بالقصر، ثم دخل فى خدمة الأمير عز الدين فرخشاه صاحب صرخد، وتوفى بها سنة ٦٦٨ھ ـ ١٢٦٩م وقد جاوز عمره السبعين. ولابن أبى أصيبعة من الكتب:

١ ـ كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ألفه فى سنة ٦٤٣ھ فى مدينة دمشق، برسم أمين الدولة بن غزال وزير الملك الصالح ابن الملك العادل، وكتابه هذا غنى عن التعريف، وكان عمدتى فى تأليف هذه الرسالة.

٤ ـ الشيخ السديد بن أبى البيان ـ هو سديد الدين أبو الفضائل داود بن أبى البيان سليمان بن أبى الفرج: اسرائيل بن أبى الطيب، سليمان بن مبارك اسرائيلى قراء، مولده فى سنة ٥٥٦ھ ـ ١١٦٠م بالقاهرة، وكان شيخاً محققاً، خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة، كان يعالج المرضى بالبيمارستان الناصرى بالقاهرة، وكان أقدر أهل زمانه من الأطباء على تركيب الأدوية، وعلى معرفة مقاديرها وأوزانها، وكان شيخه فى صناعة الطب الرئيس هبة الله بن جميع اليهودى، وقرأ أيضاً على أبى الفضائل بن الناقد، وكان الشيخ سديد الدين قد خدم الملك العادل أبى بكر بن أيوب، وعاش فوق الثمانين. وله من الكتب:

١ ـ كتاب الأقربازين، وهو إثنى عشر باباً، واقتصر فيه على الأدوية المركبة المستعملة المتداولة فى البيمارستان بمصر والشام والعراق، وحوانيت الصيادلة.

٥ ـ القاضى نفيس الدين بن الزبير ـ هو القاضى الحكيم نفيس الدين أبو القاسم هبة الله ابن صدقة بن عبد الله الكولمى (والكولم من بلاد الهند) ولد سنة ٥٥٦ھ ـ ١١٦٠م، وقرأ صناعة الطب على ابن شوعة أولا، وقرأ بعد ذلك على الشيخ السديد رئيس الطب، وأتقن صناعة الكحل وعلم الجراحة واشتهر بصناعة الكحل، وولاه الملك الكامل ابن الملك العادل رياسة الطب بالديار المصرية ويكحل فى البيمارستان الناصرى الذى كان من جملة القصر للخلفاء المصريين، وتوفى نفيس الدين فى سنة ٦٣٦ ـ ١٢٣٨.

أحمد عيسى

بعض دروس

فى المنطـــــق

للمربية الفاضلة السيدة نظلة الحكيم سعيد

مقدمة

لما كان إقبال الطالبات والطلبة على مجلة «المعرفة» كثيراً، فقد رأينا أن نجعل بعض مواضيع المجلة مما يفيد الطلاب فى دروسهم، وعليه فمن الآن وصاعداً، سنبو الى الكتابة فى مواضيع علم النفس والمنطق والأخلاق، بما يتناسب مع برامج المدارس الثانوية ومدارك الطلاب فى هذا الطور، وإن كان برنامج المنطق - مع الأسف - أغلبه من المنطق القديم على نحو ما وضع فلاسفة اليونان، مما يعد فى دور الفطرة بالنسبة للتفكير المنطقى، ولقد أصبحت مواطن الضعف والخطأ فى هذا النظام المنطقى القديم معلومة لدى كل من درس المنطق على الأساليب العلمية الحديثة، خصوصاً بعد استعمال المنطق الرمزى المبنى على الرياضة العالية .

لذلك نقرر أن دراسة هذا النوع من المنطق المبين فى البرامج المدرسية ليس إلا مجرد اطلاع على تاريخ النظريات المنطقية ، مع التمرين على بيان الأخطاء المنطقية فى حدود هذا النظام المنطقى القديم .

ولكننا فى هذه المقالات سنراعى الجمع بين هذا المنطق الشكلى القديم وبين ما يصححه ويبين أخطاءه من النظريات الحديثة المبنية على أساس رياضى صحيح (١) .

ولنبدأ الآن بشرح بعض الاصطلاحات التى ترد عادة بمناسبة دراسة المنطق .

كلمة منطق

أولا : كلمة المنطق المنسوبة فى اللغة العربية إلى عملية النطق، لها أيضاً شبح من هذا المعنى فى اللغة اليونانية، فهى مشتقة من كلمة يونانية معناها: إما فكر كامل (وفى تعبيرنا الحديث يقصد به ما يشغل العقل فى لحظة واحدة) أو كلمة معبرة عن الفكر، ومن ثم كانت الصلة المتينة بين الفكر وما يعبر عنه من الكلمات اللغوية، (أما كون التفكير يحصل بدون لغة تعبر عنه؛ فهذا مبحث علم النفس

---

(١) وليس النقص خاصاً ببرنامج المنطق بل يتعداه الى برامج الكيمياء والطبيعة وأخص بالذكر. النظرية الذرية التى لاتزال تدرس كما هى فى المدارس المصرية مع أنها نظرية بائدة ولا تدرس الآن فى مدارس الامم الراقية وضيق المقام عن الافاضة فى هذا الموضوع.

لا علم المنطق)، ولكن من الثابت أن تفكير الانسان البالغ أو الراشد، مرتبط كل الارتباط بتعبيره اللفظى .

والكلمة أو اللفظ ليس مجرد لفظ غير مفيد يطلق على فكر أو يلصق بفكر جاهز فى العقل، بل إن التعبير اللغوى أو اللفظى ما هو إلا وسيلة بواسطتها يكمل معنى الفكر؛ والتعبير اللفظى لا يحدد الفكر فقط باعطائه اسماً خاصاً، بل يعطيه حقيقة خالدة تجعله ملكا لا يبدد، لأن اللفظ ملبس بالمعنى ، فاذا ذكر اللفظ فى أى وقت تماثل معناه أمام العقل وحصره فيه؛ على أنه ليس من السهل إدخال مصطلحات جديدة بل اختراع أسماء جديدة فى أى علم .

ولقد قال أحد الفرنسيين: « ما العلم الرياضى إلا لغة دقيقة الصنع »، ومن هنا نرى الارتباط المتين بين علم المنطق وبين علم البيان .

فالمنطق يجد نتائج التفكير فى التعابير اللغوية، وإلى درجة معينة يمكن القول بأنه يبحث فى معانى الكلمات والجمل والحجج والأدلة المنطوقة أو المكتوبة. ولذا كان من الصعب وضع حد حاسم للأفكار وعلاقاتها بعضها ببعض من جهة ، وبين صيغ الكلمات والجمل التى يبحث فيها علم البيان من جهة أخرى .

ويمكننا أن نقول: إن تحديد الفكر شرط للوضوح والدقة فى استعمال اللغة، وإن الاجتهاد فى التعبير بوضوح واختصار، يتطلب جهداً ودقة منطقيين، ولذا لا يمكن التفريق بين التفكير الواضح وتعبيره اللغوى الدقيق والعكس بالعكس ، وكذلك لا يمكن التفريق بين الكسل وعدم العناية فى التفكير ، وبين الإهمال فى استعمال اللغة .

وهنا يصح وضع تعريف مختصر لعلم المنطق . فهو علم الفكر ، أى العلم الذى يبحث فى الحقائق التى تتناولها العمليات الفكرية ، أو عمليات التفكير .

التفكير

وما التفكير إذاً ؟

التفكير هو العمل العقلى الذى بواسطته تكتسب المعلومات ، إذ الحقيقة أننا لا نعرف شيئاً ، أى لا نحصل معلومات عن شىء إلا إذا فكرنا فيه ؛ ومعنى التفكير فى الشىء أن يجد له العقل الصلة ، أو العلاقة ، أو المناسبة ، التى تربطه كشىء حادث بالأشياء الأخرى التى وقعت تحت خبرته ، وعليه يتأتى للعقل فهم معانى الأشياء الحقيقية . ونحن نميز مثلا بين ما يأتى لنا من معلومات عن طريق تقارير الغير أو بالسماع، وما نصل إليه من إعمال فكرنا، فمثلا نقول: فلان يقبل الرشوة ، ولكنى لا أعلم ذلك ؛ أى إن هذه الحقيقة ليست حقيقة وصلت إليها عن طريق تفكيرى الخاص ، وعليه فمثل هذه الحقائق السماعية، لا تعد فى حيز المعلومات الشخصية بالنسبة للقائل .

ولكن «الحقيقة» أو القطعة من المعلومات مثل: «الماء مكون من عنصرين، هما الأكسوجين والأيدروجين بنسبة ٢:١»، فإن هذه ليست مجرد أمر سماعى لانسان متعلم، بل هى قطعة من المعلومات لأنها خلاصة عملية فكرية وتجارب عدة أو نتيجة وضع حقائق مختلفة بعضها مع بعض للوصول إلى هذه النتيجة، لذلك كان علم المنطق عبارة عن قواعد عامة أو كلية، وهو إذاً العلم الذى يضبط عمليات العقل البشرى حال بحثه عن الحقائق أو المعلومات الواقعية الصحيحة، وبالمقارنة بين وظيفتى علم المنطق وعملية التفكير، نجد أن علم المنطق يختبر عمليات التفكير، ويختص بترتيب الحقائق التى تتناولها عمليات التفكير، بينما غرض التفكير التعبير عن الناحية النزوعية (الارادة) وعن الذكاء.

والتفكير كباحث وراء معرفة «الحق» ليس مجرد فكر منظمة فى الرأى، بل إن (التفكير) يبحث فى طبيعة الأشياء وخواصها، فالتفكير ليس له وجود أو كينونة كشىء مستقل فى العقل، بل إن من مستلزماته أن يرجع أو يشير إلى الأشياء، كما توجد فى عالم المحسات أو المتصورات، وهذه نتيجة منطقية ناشئة عن تعريف التفكير كباحث وراء معرفة «الحق» أو «الحقائق» أو «المعلومات الصحيحة». والحق ليس حالة خاصة من أحوال عقل الفاعل، بل إنه شىء قائم بذاته لا يتأثر بمعرفة عارف أو جهل جاهل، أى أنه مستقل عن تفكير الفرد ونظرياته.

فمثلا «الحقيقة» أن الاسكندرية مدينة مصرية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، حقيقة أو قطعة من المعلومات مستقلة لاتتغير بمعرفة شخص أو جهل آخر بها، والتفكير الصحيح يأتى بالعادة عن طريق استعمال الدقة فى التعبير الفكرى واللغوى. وفى تعريف «علم المنطق» كعلم رياضى نريد بذلك كونه يستعيض عن المعلومات العامة المبهمة، بمعلومات مضبوطة منظمة، فهو إذاً ككل العلوم الرياضية يصحح ويكمل المعلومات العادية، وبواسطته يتسنى للإنسان فهم كيفية سير التفكير بدقة، ثم حصر ووصف الطرق وأنواع العمليات الفكرية التى تؤدى إلى اكتساب المعلومات، غير أن المنطق كعلم رياضى منظم لا يكتفى بوصف أنواع الطرق الفكرية هذه، بل من خصائصه أيضاً أن يبين العلاقات أو الصلات التى تربط صيغ التفكير المختلفة، فمثلا نحن نعبر عن العمليات الفكرية المختلفة بالتعقل والحكم والاستدلال والاستنباط الخ الخ، ونميز كل عملية بخصائص معينة، ولكنه من الضرورى أيضاً معرفة كيفية ارتباط هذه العمليات بعضها بالبعض الآخر، ومادام الغرض الوحيد من التفكير هو استكشاف «الحق» (أو الحقائق أو العلم الصحيح) فمن الضرورى تآزر العمليات الفكرية للحصول على هذا الغرض أو النتيجة.

[البقية على الصفحة رقم ٤٠]

وحدة الوجود والاعتقاد بالخالق

خلاف بين هيكل ولودج

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدى

الأستاذ أرنست هيكل الألمانى عالم بيولوجى كبير، كان مدرساً لهذا العلم بجامعة فينا بألمانيا، وهو الذى أدخل مذهب دارون إلى هذه المملكة، ودافع عنه بهمة عالية، وفوق صفته العلمية هذه، له مباحث فلسفية جذابة؛ جعلت لكتبه ميزة خاصة فى التأثير على العقول، وقد تولت شركة طباعة نشر كتبه بقيمة زهيدة لتسرى فى الجماهير، باعتبار أنها تجديد فلسفى يجب أن تشيع لتقويم نظرهم فى الحياة والعقائد، وهو واضع مذهب وحدة الوجود الطبيعى؛ وقد نشره باسم المونيسم Monisme ، فذاع بين العلماء والقارئين ذيوعاً عظيما، ووجد مؤيدين وناقدين من جميع الصبغ .

الرأى الأساسى لهذا المذهب ينحصر فى أن الطبيعة المادية والخالق شىء واحد، قال هيكل نفسه عنه فى كتابه (لغز الوجود):

« مذهب وحدة الوجود مؤداه : أن الله والعالم شىء واحد وذات واحدة . بهذا تتوحد العقيدة بالله والطبيعة والهيولى . فالله وهو الروح المتصل بالعالم هو الطبيعة ذاتها، يعمل فى الهيولى كقوة . هذا هو الرأى الوحيد الذى يمكن أن يوافق القانون الطبيعى الأعلى، وهو ناموس الهيولى ؛ فمذهب وحدة الوجود هو بالضرورة وجهة العلوم الطبيعية الحاضرة » .

نقول: وهذا المذهب ليس بجديد، فقد قال به الهنديون منذ نحو خمسة آلاف سنة، وسرى منهم إلى المسلمين فقال به جمهور من الصوفيــة ، وما زال ماثلا فى الفلسفة العالمية تحت اسم Panthëisme ؛ وله أنصار كثيرون ، بل منهم من قال : إن الاعتقاد بالخالق مستحيل إلا على هذا الأسلوب.

ولكن الأستاذ أزليفر لودج، رئيس جامعة برمنجهام والملقب بدارون علم الطبيعة، عاب على الأستاذ هيكل تدخله فى الفلسفة، وقال إنه يجب أن يكون بين العلم والفلسفة حجاب ، « فلو اخترق رجال العلم هذا الحجاب، فانهم يضيعون كل احتراس ويسيرون مطلقين من كل

قيد علمى ، فيغالون فى مزاعمهم دون أن يخشوا رقيباً عليهم ، ويبتنون الافتراضات التصورية ويدعونها آراء ، ويكون تحقيقها غير منتج بل مستحيلا ».

ثم قال : « فالأستاذ هيكل يعطينا المثـال المؤثر للعالم الذى يجرى حراً طليقاً وهو داخل مجال الفلسفة، فان هذا العالم الجيولوجى بحث ـ فى كتابه الذى نشره للعامة وسماه (أسرار الوجود) ـ مسألة الوجود فى مجموعها من أول علم الطبيعة إلى مقارنة الديانات ، ومن المشاهدات التشريحية إلى حرية الارادة ، ومن حيـوية الخلايا إلى صفات الله ؛ وقد عالج كل هذه المواضيع بعلم مهما كان بعيد المدى فليس بما يعلو عن القدرة البشرية . ولقد أظهر مزايا كتابية وانتقادية عظيمة ، فاكتسب هـذا الـكتاب فى انجلترا قراء كثيرين بفضـل الترجمة البديعة التى عملها مستر (ماك كاب)

« يتـكلم الأسـتاذ هيكل عن المونيسم كأنه من المخترعات الحديثة، وهو فى الواقع عدة فروع مذهبية ، ولـكنها على أية حال أصلها متوغل فى القدم ، أقدم من أفلاطون ، بل كقدم بارمينيد » .

على أن الأستاذ «لودج» لا ينـكر مبدأ وحدة الوجود نفسه ، ولـكن ينـكر أن مذهب هيكل الذى نشره هو المذهب المنتظر فقال :

« يوجد مذهب آخر أو مجموع من مذاهب، كان له شأن يذكر عند بعض الطبيعيين الأقدمين ولا يزال له شأن عند البيولوجيين (علماء الحياة) المعاصرين، فعندهم أن الروح والعقل والوجدان ماهى إلا ثمرات تبعية، وإن شئت فقل ظلالا أو ظواهر أو حلية لحقيقة أصلية تشمل مايسميه بعضهم بالمادة، وبعضهم بالقوة، وبعضهم بالهيولى، من هذه الطائفة نجد العالم (تندل) أو بالأقل (تندل) فى خطبته التى خطبها فى بلفاست ، ونجد أيضاً هيكل وبيولوجيين آخرين » .

ثم قال الأستاذ لودج :

« كل الفلاسفة حاولوا هذا التوحيد (المونيسم) سواء أكانت وظيفتهم الفلسفة، أم كانوا متبرعين فيها . فالمسألة الوحيدة المطروحة للبحث هى معرفة نوع المونيسم الذى يميلون إليه، وأى جنس من الحل يمكنهم تقديمه لنا على مسألة الـكون ، وما عساه أن يهدوه إلينا من المدركات البسيطة المفهومة المقنعة ، مما يجوز اعتباره كمذهب للوجود »

« هذا المذهب ليس بجديد ولا يخلو من شىء من الحقيقة ؛ وسيأتى يوم يمكن فيه تخيل وتدويم مذهب من المونيسم يشمل هذه الحقائق، وسيظهر المذهب الذى يقرره الأستاذ هيكل فى نظر الفلاسفة ساذجاً باليا ، والعلماء يعتبرونه الآن عارياً من الأدلة وافتراضياً محضاً فى بعض جهاته ، وفى الجملة قليل الاقناع ».

« إن المحاولات التى تبذل لوجدان مذهب يشمل كل شيء ويكون فلسفياً وعلمياً معاً، يجب أن تنبه منا عاطفة الحذر ، ويجب على الخصوص عدم الاعتماد على المظهر السلبى . إن المستندات الحسية للمشاهدات أو لتنظيمها يمكن أن تكون حقة ، ويجب أن تقابل بالترحاب ، ولكن يجب ألا تقبل إلا بكثير من الحذر الانتقادات السلبية والهادمة ، وكل ما يبعد أو يرفض جزءاً من التجارب الانسانية (يريد المباحث الروحانية التى هو من أكبر زعمائها) بحجة عدم اتفاقها ومذهب غير ناضج مهما كان موحداً للوجود أو غيره » .

فيرى القارىء مما تقدم أن الأستاذ أوليفر لودج، يعترف بأن المذهب العلمى سيكون غداً قائماً على وحدة الوجود بمظهريه: المادي، والروحانى، فكأنه يأبى على المذهب الذى نشره هيكل أن يكون هو ذلك المذهب المنتظر .

ولقد صدق الأستاذ لودج فى قوله هذا، ولا يوجد فى أهل العلم من ينكره ، لأن الوجود على تعدد عوالمه، وتكثر وجوده ، قائم على حقيقة واحدة جامعة لكل ما فيه فى نطاق واحد، ولا يعقل أن يكون غير ذلك بوجه من الوجوه ؛ فالمدار أن يقوم مذهب ببيان هذه الحقيقة على أساس علمى وفلسفى معاً ، فالمسألة مسألة وقت ، وكل آت قريب ؟

محمد فريد وجدى

فى المنطق

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٣٧]

وعليه فجميع العمليات المنطقية الفكرية لها صلة ببعضها، وهذه الصلة تنحصر فى أنها جميعها أجزاء أو عمليات منسوبة لعقل واحد، أو ذكاء واحد ، أى أن صبغتها واحدة من حيث تبعيتها إلى عقل واحد ، ولكن هذه العمليات المنطقية الفكرية من جهة أخرى تختلف عن بعضها من حيث دلالتها على التطورات المختلفة والخطوات التى تتسلسل حال اشتغال العقل بتحصيل المعلومات الصحيحة، وعليه فوظيفة المنطق أن يبين لنا حركة التفكير ومراتب العمليات الفكرية ، أو بطريقة أخرى: يجب على علم المنطق أن يعد نظاماً شاملا ، يفسر بواسطته الطريقة التى يعمل الفكر بمقتضاها ويوضح الدور الذى تلعبه كل من عمليات التعقل والحكم والاستدلال الخ ؟

نظله الحكيم سعيد

الراعى والعمياء

للاستاذ محمد الهراوى

مقطوعة تمثيلية شعرية غنائية مسرحية من فصل واحد ، وضعت ليمثلها معهد ونقابة الموسيقى الشرقى ، وهى من تأليف رئيس لجنة المعهد الأدبية ، الشاعر الكبير الأستاذ محمد الهراوى

— ١ —

يرفع الستار عن منظر خلوى ، على شاطىء النيل ، وفيه مغان قائمة فوق ربوة ، ويسمع صوت الراعى خارج المسرح يغنى ويقول :

يا غنمى . . . ياغنمى ،
هَـلاَ ، هَلاَ ، وانتظمى

* * *

سيرى إلى الغـدير
[illegible] . . . النمير

* * *

يا مفرده . . على حده
لاتبعدى .... هيـا ردى

* * *

فالذئب بالمـرصـاد
جاث ببطن الوادى

* * *

ثم يظهر الراعى فى المسرح ويتحول إلى الربوة ويجلس مضطجعاً ويقول مغنياً :

أنا الراعى ومن مثلى رخى العيش والحـال
مـَقيلى وارف الظـل قرير العين والبـال

***

انا ابن السهل والوادى أنا ابن الجدول الجارى
ومن نبت الربى زادى وفى سفح الربى دارى

***

يا ليل يا ليل حين تمسى ويخفق النجم فى السماء
نطلق يا ليل سر نفسى فتسبح النفس فى الفضاء

***

يا ليل كم فيك من أمانى تدب فى النفس أو تجول
يا ليل، كم فيك من معانى لو أدركت سرها العقول

***

ويسكت ثم يلتفت إلى إحدى جهات المسرح حيث تدخل فتاة عمياء وهى تغنى من الباب وتقول :

يقولون: هذا الوجود صور تلوح فتبعث حسن الأثر
ففى الصبح تشرق شمس الضحى وفى الليل يسطع نور القمر
وفى الأفق تجلى نجوم الدجى تلوح لناظرها كالدرر
وفى الأرض ينبت زهر الربى وينساب بين الرياض النهر
وفوق الغدير على شاطئيه تروح وتغدو طيور الشجر
فياليت شعرى، ومالى عين ترى ما تراه العيون الأخر
أدنياى ليل طويل المدى؟ وليس له من غد ينتظر؟

الراعى يتحرك من مجلسه نحوها ويقول :

من ذا أرى وأسمع ؟ من حيث لا أتوقع
أشكاة باكية تنو ح، أم الحمائم تسجع
شكوى يكاد لها الفؤاد من الأسى يتقطع
شكوى يرددها الدجى من حسرة، ويرجع
يامن فقدت النور والد نيا غرور تخدع
النور بين يديك من قلب تضم الأضلع

فتجيبه :

يا هاتفاً ألم بى ادن، فأنت طلبى
واسمع حديثى فى الأسى وما به من نوب
والدتى توفيت وقد تولانى أبى
وكان صوتى حسناً كصوته فى الطرب
فبثّ فىّ لحنه ومدنى بالأدب
وسرقتنى عصبة وأمعنت فى الهرب

تؤجرني لرزقها ثم إليها مكسبي
وقد هربت إعا لم أدر أين مذهبي

فيجيبها الراعى :

لقد بلغت مأمناً فلا تخافى أحدا
ما قيمة الانسان إلا فى المروءة والندى
هذى يدى أبسطها إذا بسطت لى يدا

هى تقول :

لك شكرى وثنائى ما يوفيك ثنائى
أنت من أهل الوفاء حين لا أهل وفاء

* * *

يكون الملك مطلا من نافذة القصر، وكأنه يرى ويسمع ما دار بين الراعى والعمياء، فيدق بيده فيحضر الخادم فيشير إليه بدون كلام، كأنه يحدثه عما حصل ويطلب استدعاءهما إليه، فيتحول الخادم إلى خارج المسرح، ويدخل إليهما ويقول:

الخادم : سلام الله يا راعى

الراعى : سلاماً، من الراعى ؟

الخادم: رسول جاء من ملك لحسن الصوت سماع
له فوق الربى مغنى رحيب الساح والقاع
يعد به مجالسه لإنشاد وإيقاع
وقد أصغى لصوتكما بأذن المنصت الواعى
فأرسل فى طلابكما لكى يحظى بإمتاع

الراعى يلتفت إلى العمياء ويقول :
بلغنا مأمناً حراً

هى : وتلك طلائع البشرى

هو : فهيا ننشد الشعرا

هى : لدى ملك به أحرى

هو : وهيا نبعث الذكرى

هما معاً: لأهل الفن فى مصرا

يخرج الخادم من باب المسرح وهما وراءه للوصول إلى قصر الملك من باب آخر، ويسبقهما ومعه رجال الآلات لإعدادها لهما، وقبل دخولهما على الملك يدخل رجل أشيب هو والد العمياء ويغنى فى مكانهما :

الوالد: أسائل حتى الطيف أين مكانها؟ وقد طفت أمصاراً وجبت فيافياً
حشاشة قلبى هل درى القوم أنهم بما سلبوا منى مضوا بفؤاديا
فياليت شعرى هل نعود فنلتقى على الدهر، أم نزداد فيه تنائياً؟
«وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا»

ثم يجلس مكانه، وهنا يقدم الراعى والعمياء على الملك ويجلسان بين رجال الآلات، فيبدأ الراعى بالغناء ويقول :

قل للشباب، شباب مصر تحية ماذا جنت بنت الحمى فهجرتها
قاطعتها بالأجنبية والتى قاطعتها إحدى يديك قطعتها
هبها أقل -كما زعمت- مداركاً ماضر لو أنصفتها فرفعتها؟
ربتك مصر ومذ دعتك عصيتها ودعتك نفسك للهوى فأطعتها
وطنية هزلت لدى أربابها وحمى على يد حافظيه قد انتهى

هى تغنى بعده فتقول :

سائل فتاة النيل بعد تحية ما بال حظك مال للاعراض
جرحتك ألسنة الأحبة والعدا متجمعين كشق المقراض
قالوا وما صدقوا المقال لغاية أن لست فى غرض من الأغراض
كذبوا فانك فى الحياة مصونة بفضائل الأخلاق والأعراض
فخذى سبيل الدين وانأى دائماً بالدين عن مدنية الأمراض

وفى أثناء غنائها يتحرك الوالد من مجلسه ويتسمع إلى صوتها كأنه يتلمس فيه فتاته .

[البقية فى العدد القادم] محمد الهراوى

---

٦ - المعانى الافلاطونية عند المعتزلة *

للاستاذ محمود الخضيرى
عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس

تفضيل المسلمين أفلاطون على أرسطو

لايتبع المعتزلة فيلسوفاً معيناً ولا يتقيدون بمذهب واحد من مذاهب السابقين ، وإنما يختارون من كل المصادر المختلفة ما يتفق مع نزعاتهم العامة ؛ ولكنهم أقرب ما يكونون إلى فلسفة أفلاطون ، نظراً لاتفاق مذهبه مع التصور الدينى لخلق العالم ، وقد عثروا على آرائه فى حلقات علماء الدين من المسيحيين ؛ ولكنها كانت محرفة بعض التحريف لامتزاجها بالفكر الدينى الشرقى . وينحصر واجبنا إذن فى تحليل القطع المنسوبة إلى من سندرسه من المعتزلة ، ثم نجتهد فى شرح المناسبة بينها وبين الفكر الأفلاطونى . وقبل أن نشرع فى هذا نريد أن ننظر نظرة عامة فى الأسباب التى تحبب أفلاطون إلى المعتزلة وتجعلهم يفضلونه على أرسطو.

كان فريدريك نيتشه يسمى أفلاطون « سامياً بالغريزة » Semit von Instinkt ؛ وذلك لأنه كان يرى أن الدين فى محاولته ضد القدماء السابقين للأديان . وفى بحثه عن أسس فلسفية وأدلة عقلية ، شعر بالحاجة إلى أشخاص الثقافة القديمة الذين لا يفهمون على وجه واحد ، لاسيما أفلاطون (١) . وقال جوزيف ده ميستر J.de Maistre ، وهو ينطق عن روح مخالفة كل المخالفة لروح نيتشه ، أى وهو يشيد بذكر الدين والشرق . « ليس أفلاطون عظيما رائعاً نافذ البصيرة إلا عندما يكون من رجال الدين ، أى عندما يعبر عن أصول وضعية خالدة منفصلة عن كل جدال يظهر عليها الطابع الشرقى فى وضوح قوى » (٢) .

والواقع أنه مما يقرب أفلاطون إلى الدين ذهابه إلى خلق العالم ، وهذا ما يتفق فى المبدأ مع المقالة الدينية ؛ وقد عرف المسلمون أن أفلاطون يذهب إلى أن للعالم مبدأ فى الزمان ، على خلاف أكثر الفلاسفة اليونانيين . قال الغزالى : « اختلفت الفلاسفة فى قدم العالم ، فالذى استقر عليه رأى جماهيرهم المتقدمين والمتأخرين ، القول بقدمه وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ... وحكى عن أفلاطون أنه قال : العالم مكون ومحدث » (٣) .

(*) الجزء السادس من سلسلة البحث المنشور فى « المعرفة » السنة الثانية .

(١) ارادة القوة Dr Willee Zur Machts الفقرة ١٩٥ ص ١٣٩ طبعة Kroener

(٢) عن البابا Du Pape ، الكتاب الرابع ، الفصل السابع ص ٣٦٢ طبعة Garnier

(٣) تهافت الفلاسفة ، طبعة بويج ص ٢١

ويتفق ابن رشد مع الغزالى فى كتابه « تهافت التهافت » على الاعتراف بهذا الرأى لأفلاطون. وكذلك كتب الشهرستانى فى شرحه لفلسفة أفلاطون : « حكى عنه قوم ممن شاهده وتلمذ له مثل أرسطوطاليس وطيماوس [هكذا ! ويبدو من شرح الشهرستانى أنه يعتبر طيماوس مؤلف الحوار الأفلاطونى المشهور المسمى كذلك] وثاوفرسطوس أنه قال: إن للعالم محدثاً مبدعاً أزلياً واجباً بذاته إلخ »[١].

والواقع أن أرسطو نقل إلينا « أن أفلاطون وحده يجعل الزمان حادثاً ، وذلك لأنه خلق فى الحقيقة — على حسب رأيه — مع السماء ، والسماء خلقت أيضاً »[٢]، ومعنى هذا أن أرسطو يشهد لنا بأن للعالم فى مذهب أفلاطون مبدأ زمانياً . ويجب علينا أن نقرر فى هذا المقام أن المسلمين قبلوا شرح أرسطو لمذهب أفلاطون وفهموه على هذا النحو، كما أن شراح أرسطو من اليونان ـ الذين ترجمت مؤلفاتهم إلى العربية ـ لم يدعوا للمسلمين مجالا للشك فى ذلك. وفوق هذا فان أفلاطون نفسه يشرح لنا مذهبه فى أشهر مؤلفاته لدى المسلمين على النحو التالى : « موجز القول هو أن الزمان خلق مع السماء، وذلك لكى ينتهيا معاً كما خلقا معاً ، إذا كان لابد من انتهائهما، وقد صنع الزمان على مثال الجوهر القديم الأبدى بحيث يشابهه قدر استطاعته، وذلك لأن « المثال » هو الكون القديم الأزلى ، وأما السماء فقد « كانت » منذ المبدأ وفى كل تتابع المدة ، وهى « تكون » وسوف تكون »[٣].

ويجب أن نعترف بصعوبة كبيرة فى فهم الفكر الأفلاطونى فى هذا الصدد ، إذ أنه يجعل العالم مخلوقاً مع الزمان، ويعرف الزمان بأنه « محاكاة معينة للقدم والأبد » و « أنه » هذه الصورة الأزلية الأبدية التى تسير وفقاً لقانون الأعداد ، هذا الشىء الذى نسميه الزمان »[٤]، ويذهب أكثر الأفلاطونيين وكل أنصار المذهب الأفلاطونى الحديث إلى الأخذ بتفسير إكزينوقراطيس Xenocrates الذى يميل إلى أن يرى فى معنى القول بمبدأ العالم مجرد نقطة ابتداء يستعان بها « لتيسير الشرح »، وشبيه بهذا منهج صاحب الهندسة الذى يتحدث عن « مد » خط بينما لا يعدو أن يبين أن وجود الخط قد سبق أن تضمنته قضايانا الأولية »[٥]

ولكن المسلمين لم يفهموا مذهب أفلاطون فى خلق العالم إلا على حسب ما شرحه وفهمه أرسطو وأصحاب التعليقات عليه ، وأكثر من ذلك فانهم عرفوا رأى بلوتارك (= فلوطرخس)

---

(١) الملل والنحل طبعة خليفة، ج ٣ ص ٣٩

(٢) الطبيعة (الطبيعيات) ص ٢٥١ ب

(٣) تيماوس (طيماوس) ص ٣٨ ب، ج (b & c)

(٤) الكتاب المذكور ص ٣٧ د

(٥) انظر تيلور ، أفلاطون : الرجل وعمله A. E. Taylor, Plato: The man and his Work الطبعة الثالثة لندن سنة ١٩٢٩ ص ٤٤٢ — ٤٤٣

فى ذلك؛ إذ أن الرازى الطبيب قد شرح شرحه على تيماوس (١)؛ ونحن نعرف أن بلوتارك يشارك أرسطو فى فهمه لمذهب أفلاطون فى تلك المسألة (٢)

وإذن فان الصعوبة التى نجدها الآن فى فهم أفلاطون، لم تعرض للمتكلمين الاسلاميين، وكان موقفهم فى ذلك شبيهاً بموقف الآباء المسيحيين. كتب الأب ديس Dies يقول: «إن آباء الكنيسة الذين دافعوا عن المسيحية بأقوال الفلاسفة، كانوا أكثر إخلاصاً وأمانة نحو نص تيماوس عند ما استعانوا به، ليؤيدوا العقيدة الدينية القائلة بحدوث العالم إلخ» (٣)

وقد اختار المسلمون أفلاطون إذ رأوه يبدو لهم نصيراً للقول بخلق الله للعالم فى الزمان؛ ورأوا أرسطو يحاربه فى هذا الرأى. بل لقد تبعه المعتزلة وكثير من الأشاعرة والمتكلمين فى مسائل أخرى قد يبدو رأيه فيها مخالفاً لأول وهلة للأصول الاسلامية، ويتضح هذا من درس كتاب الغزالى «تهافت الفلاسفة» ورد ابن رشد عليه، ورسائل هذا الأخير فى الاتصال بين الدين والفلسفة.

وأكبر ما نفر المسلمين من أرسطو - إذ ليس فيهم مفكر واحد أخذ بأقواله كلها، حتى ابن رشد نفسه - هو قوله بقدم العالم، وذلك لأن المعتزلة وسائر المتكلمين يرون أن أكبر إلحاد فلسفى هو القول بقدم العالم. كتب الخياط المعتزلى بمناسبة كلامه عن مؤلفات ابن الراوندى «المنحد» يقول: «وقد ألف عدة كتب فى تثبيت الالحاد وإبطال التوحيد وجحد الرسالة وشتم النبيين عليهم السلام والأئمة الهادين، وهى كتب مشهورة معروفة. فنها: كتاب يعرف بكتاب التاج أبطل فيه حدث الأجسام ونفاه، وزعم أنه ليس فى الأثر دلالة على مؤثر، ولا فى الفعل دلالة على فاعل، وأن العالم بما فيه و .... (٤) وقمره وجميع نجومه قديم لم يزل لا صانع له ولا مدبر ولا محدث له ولا خالق، وإن من أثبت للعالم خالقاً قديماً ليس كمثله شىء فقد أحال وناقض». (٥)

وإذن فان أرسطو يعتبر فى الاسلام - نظراً لقوله بقدم العالم - فيلسوف الالحاد والكفر؛ وذلك لأن من رأى المتكلمين الاسلاميين أن من ينكر خلق العالم فى الزمان، ينكر أن الله خالق؛

---

(١) اشتاينشنيدر: التراجم العربية عن اليونانى (انظر المقالة السابقة) ٢ ص ٢٦

(٢) قال الاستاذ تيلور ما ترجمته: «ان الافلاطونيين الوحيدين اللذين عرفا باتخاذهما وجهة نظر أرسطو فى هذه المسألة هما بلوتارك وأتيكوس»: الكتاب المذكور، ص ٤٤٣

(٣) ديس، حول أفلاطون A. Dies, Autour de Platon باريس سنة ١٩٢٧، المجلد الثانى ص ٥٧١

(٤) مخروم ومطموس فى الاصل (ملاحظة الناشر الاستاذ نيبرج)

(٥) كتاب الانتصار، ص ٢

وبعبارة أخرى ينكر وجود الله. وقد كتب الغزالى فى خاتمة « تهافت الفلاسفة » وهو يدين بعض الفلاسفة باسم الاسلام « فان قال قائل: قد فصلتم مذاهب هؤلاء ، أفتقطعون القول بكفرهم ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم ، قلنا تكفيرهم لا بد منه فى ثلاث مسائل: إحداها مسألة قدم العالم، وقولهم إن الجواهر كلها قديمة إلخ »(١).

ونحن لا ندعى أن فى الفكر الاسلامى تياراً أفلاطونياً ، هو من القوة والأهمية مثل ذلك التيار الذى كان يسميه مؤرخو القرن الثامن عشر والتاسع عشر بالتيار المشائى أو الأرسطوطاليسى عند العرب ، والذى ليس هو فى الواقع إلا مزيج من الأفلاطونية الأرسطوطاليسية ، أو من الأفلاطونية الحديثة . وإنما نقتصر فى هذا الفصل، وفيما يليه على البحث عن الأسباب التى حملت المتكلمين الاسلاميين ، لا سيما المعتزلة ، على الميل إلى المذهب الأفلاطونى ميلا يبدو كأنه بالالهام ، أو لضرورة الفلسفة الدينية الاسلامية .

وسندرس فى الصفحات التالية مقالات المعتزلة الفلسفية العامة فى علاقتها بالفلسفة الأفلاطونية معتمدين على مقارنة النصوص بعضها ببعض ؟

مدريد [اسبانيا] محمود الخضيرى

(١) تهافت الفلاسفة طبعة بويج ص٣٧٦

أدب القصة وتطورها

طبع الأديب «حسن رشاد» بمعهد التربية، رواية مصرية من تأليفه، أسماها «خاطرات الشباب أو الأميرة الهندية»، وبها تصدير بقلم صاحب «المعرفة» فى «أدب القصة وتطورها»، وقد تناول فيه الأدب الدرامى بالبحث والتحليل، فآثرنا نشره لقراء «المعرفة» فيما يلى :

تمهيد

لعل كاتب هذه السطور من أزهد الناس فى القصة، وأقلهم عناية بها، وتعلقاً بأمرها، لا عن تصغير لشأنها كما يبدو لأول وهلة، ولا عن قلة إيمان بأثرها فى الثقافة؛ ولكن لأنه يذكر - منذ سنوات معدودات - ذلك اليوم الذى ذهب فيه إلى أحد الناشرين حاملا مسودات رواية له أسماها «فى ظل الغرام»، وقد كانت قطعة من ذات نفسه هو، وعصارة من صميم حياته هو؛ فلم يعد إلى منزله بتلك المسودات، وإنما عاد وكله آمال وأطماع وأحلام، أو قل عاد وكله زهو وخيلاء؛ أليس الناشر قد قبل طبعها ونشرها فاشتراها منه ليطبع منها آلافاً وآلافاً؟ وينشرها فى جميع أرجاء المعمور متوجة باسمه «الكريم»!؟ وأى فخر يسمو على هذا؟ بل أى سؤدد يبزه؟ أو أليس قد عاد وملء نفسه يقين بنزاهة الناشر، وملء يديه جنيه مصرى هو عربون الصدق فى القول والإخلاص فى العمل!؟

لكن قدر فكان، وذهبت أحلام صاحبنا هباء، فقد كان ذلك الجنيه المقدس الأول والآخر من نوعه فى تلك الصفقة، كما كانت روايته الأولى والأخيرة من محاولاته، إن جاز لنا التنبؤ. وماذا يعمل بإزاء الناشر وهو ذو الحول والسلطان! اللهم لا شىء، فلتذهب النفس إذاً بما تحمل من آلام حيث شاءت، وعلى الثقافة العفاء والفناء.

هذه الرواية التى مثلت معى، والتى اقتضبتها اقتضاباً، كانت كافية لتصدنى عن التفكير فى معالجة هذا النوع من الكتابة الذى كنت أحب، بل كانت كفيلة بصرف الجهد إلى غير ما كنت أحب، وما أحسبنى بالنادم على ذلك بالغ الندم، ولكن أحسبنى حرمت لذة التفكير والخلق والابتداع والابتكار، بل لذة التخيل والمبالغة والتهويل، بل لذة الاختلاق... وأقول الاختلاق الذى أراه الدعامة الأساسية فى خلق القصة.

أغراض القصة

ما الحياة الانسانية فى مختلف أطوارها وتعدد اتجاهاتها إلا قصة من القصص ، فهى لاتخرج عن أن تكون مجموعة من الحوادث ، آخذ بعضها برقاب بعض، إن تآلفاً وإن تنافراً ؛ وهى إن ائتلفت أو تنافرت فسبيلها فى النهاية إلى غرض واحد ، وإن تعددت ألوانه ، ذلك هو إبراز كثير من المثل العليا للانسانية فى شخص البطل الواحد أو الأبطال المتعددين.

ولا يفيد قولنا هذا أن القصص لايقصدبها إلى تسلية النفوس ، وتلهية القلوب ، وتزجية الوقت ، وصرف الشعب عن الشغب أحياناً ، أو دعوته إلى الثورة أحياناً ؛ وإنما يؤدى قولنا معنى ذلك كله ، كما يؤدى معنى اتخاذها سبيلا إلى بث الآراء العلمية ، أو المذاهب الاجتماعية ، أو النزعات الدينية ، أو وصف الحوادث والسير والتاريخ ، وشرح العوامل النفسية لكل عصر وجيل .

وما أظنك تجهل تلك القصص الشعبية ، التى ذاعت فى آخر العصر الأموى ، وفى غضون العصر العباسى ، مما امتلأ به كتاب «ألف ليلة وليلة» من قصص: قمر الزمان ابن الملك شهرمان ، والسندباد البحرى ، وعجيب وغريب ، ومدينة النحاس ؛ ثم فيروزشاه وأضرابها مما أخذ عن أصل فارسى ، أو ما جاء فى قصص عنترة ، وبكر ، وتغلب ، والزباء ، والزير سالم ، وسيف بن ذى يزن ، وعلى نور الدين ، وذات الهمة ، وحسن البصرى ، وسلطنة دياب ، وأبى زيد الهلالى ، والزناتى خليفة ، وغيرها مما أخذ عن أصل عربى ؛ ثم ماجاء فى « كليلة ودمنة » مما أخذ عن أصل هندى .

والكتب المقدسة عامة والقرآن خاصة ، خير شاهد عدل على هذا ، والقرآن نفسه زاخر بقصص الأنبياء والمرسلين وغيرهم ، ممن لاتغيب عن ذهن القارىء أسماؤهم .

كان الغرض إذاً من جل هاتيك القصص الشعبية الوضعية ، المحتوية على روائع الأسمار ، وبدائع الأخيلة ، وعذب الأحاديث ، وبلاغة المحدث ، تخدير أعصاب الشعب ، واتخاذها لعقوله سحراً ، وبثها فى أعصابه سكراً ، وفى قلوبه فتنة ، وإرسالها للهو [illegible] شاغلا عما يدور فى قصور الخلفاء والأمراء حول الخلافة والامارة ، وما يجرى مجراهما من أمور . وعما كان يدبر فيها من مكائد ومؤامرات ، وما يقام بينها من مجون ومهازل ، مما تراه مبسوطاً فى عيون كتب الأدب العربى وموسوعات السير والتاريخ .

كما كان الغرض من بعضها – وهذا قليل – صوغ العلوم والفنون والآداب والفكر الدينية والنزعات الفلسفية فى أساليب مشوقة ، وعبارات سهلة سلسة ، تحمل فى غضونها الحكمة العالية ، والمأثورات المختارة ، والمذاهب الجديدة . مما كان لوجوده فيها أثر وأى أثر فى نفوس العرب ، بل فى نفوس الأمم جمعاء ، مصبوغة بصبغة البيئة ، مطبوعة بالطابع

الزماني والمكاني لكل أمة من الأمم، خضوعاً لقانون الوجود الذي لازمته هذه الظاهرة الطبيعية، وأعني بها ظاهرة القصة، التي لا يمكن تحديدها بعهد، أو إرجاعها إلى عصر، فقد لازمت الانسان في جميع عصوره وأطوار حياته منذ الخليقة حتى الآن.

وما قصة آدم وحواء إلا دليلا نسوقه في التدليل على صحة مانقول.

مزاعم بعض المستشرقين

وهذا نفسه نسوقه دليلا في تفنيد مزاعم بعض أولئك المستشرقين، الذين يرون أن القصة لم توجد في الأدب العربي، وزعمهم هذا يحمل أدلة تكذيبه بين طياته، فان القرآن حافل بتلك القصص كما قدمنا، وهي وإن كانت لا تمثل القصص الحديث، فقد كانت قصصه نموذج القصة العربية الاسلامية الأولى، كما كانت هذه القصص تنسها وظيفة للقصاصين المسلمين، ككعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، والحسن البصري، ووهب بن منبه، وتميم الداري، وغيرهم ممن كانوا يجلسون إلى الناس في المساجد مفصلين مجملين، مفسرين مسرفين، مهولين ابتغاء العبرة، متمثلين رجاء الموعظة.

وفي كتب التاريخ والأدب الشيء الكثير من أخبار القصاصين الرسميين، الذين كانوا يعينون بأمر الخليفة أو الوالي، وهذا سليمان بن عنتر النجيبي تولى القصص الرسمي في عام ٣٨ للهجرة، فأين كان القصاص الغربي؟ وأين كانت القصة الغربية في ذلك العهد؟

ثم أليست قصص ألف ليلة وليلة من صنع العرب، أو من آثار من اندمجوا في سلك العرب؟ أو ليست هي بنفسها التي ظلت قروناً طويلة حتى عهد قريب ذخيرة القصص الغربي ومعينه؟ فان أبيت إلا الجحود والانكار فاسمع إلى «براون» يقول في كتابه (تاريخ الفرس الأدبي): «ولدت القصة في الهند، ودرجت في فارس، وترعرعت في بلاد العرب التي وجدت مرعى خصيباً فيها ...... ثم انتقلت إلى الغرب بفضل العرب الذين يعتبرون بحق أساتذة هذا الفن وشيوخه».

وهذا (جين فرى) يقول: «لست أعرف كم يكون مدى جهلنا بأساليب الحياة الاجتماعية، لو لم تصلنا القصة التي تعلمنا أصولها على أيدي العرب».

وهذا (هاردى) يقول: «كلما تخيلت ذلك الرجل البدوي جالساً إلى قبيلته في خيمته، يحمل الربابة التي ينطقها ببديع ألحانه، وطيب أسماره، وحلو حديثه، وروائع قصصه، وددت لو دار بي الفلك فرجع إلى تلك العصور السحيقة، لأمتع النفس بجمال الفن القصصي الساذج الذي لا تكلف ولا تعمل فيه».

أدب القصة الدرامي في أوروبا

وجدير بالذين ينكرون على الأدب العربي وجود القصة وأدبها الدرامي فيه بالمعنى المفهوم اليوم،

أن يعلموا أن ذلك النوع نفسه لم تعرفه أوروبا إلا فى أواخر القرن التاسع عشر ، أى منذ نصف قرن تقريباً .

فقد «كان المبدأ الأدبى السائد قبل أواخر القرن التاسع عشر، هو المذهب الرومانتيكى ، ذلك المذهب الذى أعفى الأديب من التقيد بالأوضاع والمقاييس الكلاسيكية ، ودفع به إلى تفضيل الشعور على العقل ، والغريزة على الثقافة ، والعاطفة على التمييز وحسن الادراك ، وغير المحتمل على المحتمل ، بل ذهب به إلى الاعتقاد بأن الفرد أهم من الجماعة ، وأن الفضيلة والعقل فى الأدب لايفضلان الشعور والهوى .

ونستطيع أن نلخص ذلك المذهب الرومانتيكى فى أنه يدعو إلى شيئين اثنين : الشخصية Individualism والمثالية Idealism .

أما الحالة الاجتماعية فلم تكن قد تطورت إلى ماهى عليه الآن ، فالمرأة كانت ولاتزال معتكفة فى دارها، تقوم بشئونها المنزلية ، خاضعة تمام الخضوع لزوجها ووالديها . كذلك كان الأبناء لا يستطيعون الخروج عن طاعة والديهم ، بل كثيراً مايتحكم الأخيرون فى إرادة أبنائهم ويطبعونهم بالطابع الذى يريدونه ، غير حاسبين لميولهم ونزعاتهم أى حساب . ولم يكن الناس قد نبذوا الدين ظهرياً بعد فى شئونهم المدنية والاجتماعية ، فكان لابد لكل زواج أن يعقد فى الكنيسة ، وأن يبارك القسيس العروسين ، ويقوم بكل مايتطلبه هذا الحل من طقوس دينية . هذا علاوة على أن الأدباء قلما كانوا يطلقون لأقلامهم العنان ، ويخوضون فى المواضيع التى كانت تعتبر خارجة على الناموس الأخلاقى لذلك الوقت .

بدأ المجددون أمثال : برنسلى وابسن وبتلر ونيتشه حملتهم على تقاليد ذلك العصر وابتدأوا عصر الهدم الذى انتهى تقريباً بنهاية القرن التاسع عشر . فثار هؤلاء على مساوىء المذهب الرومانتيكى وما يتطلبه من إغراق فى الخيال وبعد عن الحقيقة ، وما ألقاه فى روع الناس من تعلق بالمثالية ونزوع عن الصدق فى تصوير الحياة الانسانية كما هى ، دون مغالاة أو إغراق ، فكان (جوستاف فلوبير) و (اميل زولا) فى فرنسا و (تشيكوف) فى روسيا ، يمهدون السبل أيضاً لنشر ذلك المذهب الجديد مذهب الواقعية Realism . (١)

ومن هنا يتضح للقارىء أن أدب القصة الدرامى لم يكن معروفاً فى أوروبا أيضاً إلامنذ عهد قريب . وأنها سبقتنا خاصة فى هذا الميدان منذ قليل .

أما قبل أن يعرف هـذا النوع ، فقد كانت القصة العربية موجودة فى الأدب العربى ، فى جميع عصوره ، وفى مختلف دويلاته ، كانت موجودة فى الرسائل القصار ، وفى الرسائل الطوال ، تدرجت من المثل الجاهلى إلى الحكمة العربية ، ومن الحكمة العربية إلى الأقصوصة

(١) مجلة «المعرفة» ج٨ ص ٩٥٦ : ديسمبر سنة ١٩٣١

الاسلامية ،ومن الأقصوصة الاسلامية إلى القصة الشرقية العامة التى تتلون فى كل بلد تحل فيه بلون أهله وتتأثر بعاداته وتقاليده ، وتنطبع بالطابع الزمانى والمكانى الخاص .

وذلك حق لا مرية فيه ، لأنه منطق الحياة البشرية ، وهو لا يقصر على لغة دون لغة ، ولا على أمة دون أمة ، وإنما يختلف باختلاف العقلية والجنسية ، ما دامت القصة تؤلف من حوادث الأفراد الذين يعيشون فى المجتمع ، فتربط بين أمسهم ويومهم ، لتلائم بذلك بين ماضيهم وحاضرهم ،فيتخذون من الأول معياراً للمستقبل،ويعدون من الثانى عدة للغد القريب.

القصة المصرية

والآن وبعد أن انتشرت فى أوروبا ذلك الأدب القصصى الدرامى ، فقد بدأت النهضة الأدبية فى مصر تخطو خطوات نحوه تبشر بمستقبل باهر ، لأنها نتيجة جهود الشباب المثقفين الذين نهلوا من مناهل الغرب ، وتأثرت مشاعرهم بمشاهد الحياة فيه ، وكان لتوفرهم على الدرس والاشتغال بمختلف فنون الأدب أكبر الأثر فى ازدهار النهضة بما أدخلوه عليها من تجديد وثروة .

وإنك لتلمس آثار هذه الجهود فى البحوث والترجمة والتعريب ، مما يعطينا الدليل على أننا لم نصل بعد إلى حد التطور الفكرى الذى وصلت إليه أوروبا ، ومما يساق دليلا على أن العقلية المصرية التى طغت الثقافة الغربية على تفكيرها ، لم يحن لها الوقت بعد لتبدع وتبتكر ، وأن نهضتنا الفكرية تقف من نهضة الغرب موقف التابع المتبوع ، وتعتمد كل الاعتماد على الانتاج الغربى والثقافة الغربية .

لسنا ننكر ما للترجمة من قيمة وفضل ، ولكننا نرى لها فى مصر آثاراً أبعد ما تكون عن الذوق وعن الخير والجمال ، وأقرب ما تكون إلى التشويه والنقص والجمود ، ولعل أكبر ما خلفته الترجمة والتعريب فى النفوس هى تلك العقيدة الراسخة التى تدفع المصريين إلى أن ينظروا إلى المؤلفات القومية تلك النظرة التعسفية ، وتحميلها أعباءاً من الزراية والتحقير والاستهتار .

فالأديب المصرى لم يرزق الخصال التى تؤهله للاضطلاع بأعباء التأليف والابداع الموقوفة على أدباء الغرب ، ممن اجتمعت لهم مواهب خاصة وألوان من الذيوع والشهرة متعددة ، مما لم يتح لمصرى منا حتى اليوم .

وتبدو هذه الظاهرة بارزة قوية فى الأدب الروائى والمسرحى ،فما من مؤلف إلا وهو ناقل أو محاك ، ومن حق القراء علينا أن نستثنى فئة من القصصيين تعد على أصابع اليد ، كما نستثنى مثل عددهم من المسرحيين ، ممن انطلقوا ــ فى حرية واستقلال ــ يحاولون تمهد هذا الجانب المقفر بشىء من الخصب والانتاج ، ولكن جهودهم فى الحق جهود محدودة،لا تتعدى دائرة

ضيقة مثقلة بأعباء وتقاليد صارمة . فكثيراً ماتسقط الرواية المحلية سقوطاً شنيعاً لتفاهة موضوعها ، وإذا قدر لها النجاح ، فنجاح مؤقت لايدوم طويلا، ذلك لأن الرواية المحلية لتفاهة موضوعها وتزعزع حوادثها ، لا تستطيع أن تؤثر فى الجماهير التأثير الذى يمكنها من العيش فى قلوبهم طويلا ، ومن ثم كان كساد روايات الأدباء من الكتاب البارزين ، ومن ثم استقر فى الأذهان أن العقلية المصرية لم ترزق القدرة على الخلق والابتكار ، وأنها فقيرة فى تخيلها وتفكيرها ، فقيرة إلا فى الغوص وراء الألفاظ الجذلة ، والتعابير المنمقة ، والأساليب الممتعة الطلية .

المؤلف المصرى والتقاليد

والواقع أنك حين تقرأ الرواية المحلية تشعر بشىء من التذمر ، وبشىء آخر من الملل، رغم متانة الأسلوب وروعة الانشاء التى يبتدعها الكاتب ويتعهدها بالترويق والتنميق والحلية اللفظية ليغطى بذلك كله ضعفها فى الخلق والابداع والحبك، وهى محاولة خاطئة نتيجتها انصراف الجماهير عن المؤلفات المحلية والنظر إليها فى غير اهتمام ، فيلحق بها البوار ويصيبها الكساد .

والواقع أن المؤلف المصرى واضح العذر، لأن عاداتنا وتقاليدنا لا يمكن أن تنتزع منها ما يصلح أساساً لأدب القصة ، ومن هنا نرى ضعف الأدب الروائى وفتوره وتفاهة موضوعه فى مصر بخلاف الحال فى الروايات الأجنبية ، لأن فى مكنة المؤلف الغربى أن يضيف إلى الحقائق المتشعبة ومظاهر الحياة وصورها المتعددة ألواناً مختلفة مما يجود به عليه خياله من الوقائع والظروف المتنوعة المحيطة به ، فتظهر روايته مملوءة بما يجتذب إعجاب الجمهور وينال تقديره واستحسانه .

ولقد حاول بعض أدباء مصر النابهين النهوض بالأدب الروائى ولكنهم باءوا بما لم يكن أحد يتوقعه لهم من غير العارفين بالحقيقة، فتحطمت جهودهم ــ وجهود الذين عملوا على إخراج إنتاجهم على الشاشة البيضاء ــ على صخرة الحقيقة التى لم يكن ثمة مفر لهم من الاصطدام بها ، ذلك لأنهم حاولوا وسط دائرة ضيقة محدودة تحوطها اعتبارات وتقاليد لا سبيل إلى الخروج عليها أن ينتجوا ، فجاء إنتاجهم مقفراً من كل مظاهر الفن الروائى ، فاتراً ضعيف الحبك والتصرف ، ضائع العقدة ، مفتعل المفاجأة .

فمهمة المؤلف المصرى عسيرة كما ترى ، لأن عقله وتفكيره يجب أن يوفق بين رغبة الجمهور والناشرين ، وبين الواقع الذى لا يمكن أن يتخطاه .

لذلك لم يجد مؤلف روايتنا هذه غضاضة فى أن يطلق نفسه من هذه القيود ومخالفة السنة التى جرى عليها أكثر المشتغلين بالأدب الروائى .

فاذا كان لنا ما نقوله فى هذه الرواية، فهو أنها وإن كانت تتفق وميول الكثيرين وأمزجتهم، فقد حرص المؤلف على ألا يخل بواجب الأدب النزيه الشريف، الذى يعف عن تملق الجماهير أو إرضاء فئة دون أخرى، وهو إذ يتقدم بها إلى حضرات القراء، لا يقدمها لهم على سبيل اللهو بما فيها من حوادث ومواقف، أو تزجية الوقت بما ضمنها من مفاجآت، وإنما يفعل ذلك ليكشف لهم بين ذلك كله عن المثل العليا الانسانية فى ناحية من نواحيها السامية. وما على القارىء إلا أن يتجه إلى المثل الأعلى الذى تضطرم به نفسه ويملؤها بنفحات الحرارة والحماس.

وإذا كانت ظروفنا وتقاليدنا قد ألجمت المؤلف وغلته عن خلق الحوادث تحت سماء مصر، فقد حرص على أن يضمن هذه الرواية ما يعلى من شأن مصر ويظهر بجلاء ووضوح صفات أبنائها وحميد خصالهم ونبيل شعورهم وسامى عواطفهم.

ومن اليوم إلى أن يعمل الكتاب الذين يتصدرون لزعامتنا على كسر هذه الأغلال الثقيلة وتشجيع الخلق والابداع ورفع مستواه، وإلى أن تنقى ذمم القائمين بالنشر الذين لا يرقبون إلا ولا ذمة، أو تتولاه فئة مثقفة رائدها المنفعة العامة وخدمة الأدب لذاته... من اليوم إلى أن تتحقق هذه الأمنيات سيظل الأدب الروائى على ما هو عليه مريضاً مقعداً لا يتقدم إلى الأمام خطوة.

***

وأريد أن أنتهى من هذا التصدير إلى تقرير أمر واقع، هو أن النهضة الأدبية فى مصر - رغم ذلك كله - قد بدأت تؤتى ثمارها، وأن من الحق علينا أن نشجع الناشئين فى الأخذ بتلك السبيل، حتى يتم لنا أدب حى، نفاخر به ونباهى.

وإذا كان من الواجب على أن أقرر شيئاً آخر فى صدد هذه الرواية، فهو أن بها عيباً واحداً، ذلك هو الغموض والابهام فى الفصل الأول وبعض الفصل الثانى، وهو العيب الذى أراه جديراً بتقدير المؤلف، لأنه لم يقصد منه إلى تلهية القارىء، دون ما تفكير أو إنعام نظر، أو إعمال روية كما قدمنا، وإنما قصد أن يترك للقارىء مهمة الاستنتاج والاستنباط، وهو ما أعده تجديداً فى كتابة القصة المصرية، ومحاولة موفقة فى إدخال هذا العنصر إلى ثروتنا العربية، مما تدعو الحاجة إليه.

الغريزة الجنسية

طبيعتها وكيف نسوسها

عن بار تنجتون

تمهيد

اختلف العلماء في مسألة الغرائز، واختلط عليهم أمرها أيما اختلاط، فقال فريق منهم : إنها كلها تتساوى أثراً ونفوذاً، وتختلف طبيعة وكنهاً، وقال فريق آخر : إن لها ترتيباً، وبين بعضها البعض اختلافاً متميزاً من حيث استدامتها أو خمودها شتى أطوار الحياة ؛ فمثلا يقولون إنه بينا نرى حب البقاء والدفاع عن النفس هو الغريزة الأولى ، إذ بنا نجد الغريزة الثانية هي غريزة الميل نحو الجنس الآخر، على حين نرى غريزة المحاكاة مثلا هي الغريزة السادسة وهكذا..

ولكن علماء النفس ساروا في عام ١٩٣٠م على أن لا تمايز بين إحدى الغرائز والأخرى ، وما قد يظهر للباحث العادي أنه تمايز وتفاضل، إن هو إلا ظاهرة الخمود أو التأجج، تلك الظاهرة التي تخضع لها الغرائز كل الخضوع في أطوار الحياة السبعة كلها .

لماذا يعتبرونها أولى الغرائز إذاً؟

فاذا رأيتنا بعد ما تقدم نتمادى فنقول إن الغريزة الجنسية هي الغريزة الانسانية الأولى ، كما أنها في ذات الوقت الغريزة الحيوانية الأولى ، فلا تحسبنا نفرق بين الغرائز ، وإنما ننعتها بالأولية، لأنها تلازم الانسان في أطواره السبعة ولا تفارقه مطلقاً . . . لهذا فقط ، وليس لأنها أغلب عليه من غيرها أثراً أو إنتاجاً، وليس لكل ما نقرؤه في كتب الأقدمين الذين كتبوا عن الغرائز ، وبينها هذه الغريزة التي نحدثك عنها الآن.

وإذاً فغريزة الميل نحو الجنس الآخر هي الغريزة الأولى لبقائها مع الانسان طويلا ، وإذاً فهي أحب الغرائز وأهمها عند الأقدمين من حيث الأثر ، لا من حيث الطبيعة والكنه .

الميل الجنسي هو أصل الحياة :

فاذا صرفنا النظر عن المتصوفين ومن في حكمهم ، ممن يرون أن نقاء السريرة والانقطاع للعبادة، لا يجتمع والمرأة مطلقا ، وكذلك إذا صرفنا النظر عن «الشوبنهوريين» القائلين بشيطانية

المرأة ووجوب البعد عنها ، وجدنا أن الميل نحو الجنس الآخر هو بالنسبة للرجل العادى أصل الحياة ، أو ظاهرتها السارية سرياناً سرمدياً ، إن جاز لنا استعمال مثل هذه التعابير القديمة.

وفى استثنائنا هؤلاء المتعبدين نوع من التساهل منا فحسب . . وإلا فمن تلك التى أخرجتهم من الأرحام الظليمة إلى الأرض المنيرة ، يدبون عليها ويسعون ويعرفون عقلا أو نقلا ما عرفوا عن المرأة !؟ ومن تلك التى أعانتهم على الحياة سنوات عشر أو تزيد قليلا ؟! ومن تلك التى أخذت بيدهم إلى طريق المعرفة غير الأم أو الأب ، والأخير نتاج أم أخرى ؟ !.

لقد يكون هؤلاء السادة على حق فى فكرتهم عن المرأة ، ولقد تكون الانسانية كلها بتاريخها خاطئة وهم الصائبون ... هذا فرض لا يمكن أن يقام دليل على نقضه أو نقده . . . كما لا يمكن أن يقام دليل على إثباته أو جعله بعيداً عن الشك . أليس هؤلاء السادة أنفسهم هم القائلين لتلاميذهم ومريديهم : إنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بعد أن تجردوا من طبيعتهم الحيوانية أولا والانسانية ثانياً ؟ وإنهم إنما يعيشون بأرواحهم وعقولهم من القلب وليس بأجسامهم وعقولهم من الجسم ؟ فهم ليسوا إذاً بشريين مثلنا تجرى عليهم الطبيعة القواعد !! وإذاً فهم أناس من نوع آخر غير النوع الذى أنا وأنت منه أيضاً . والذى يجوز لى أن أنظر فى خصائصه وينظر فى خصائصى .

نخرج من هذا كله ، بأن ما ذكره هؤلاء السادة عن الغرائز ووجوب كبتها والانصراف عن تنفيذ رغباتها ، لا يمكن أن يفيد أى إنسان يعتقد ديناً من الأديان الثلاثة ، ويعيش فى القرن العشرين ... لأن الانقطاع إلى العبادة فيه عسير جداً .

ونخرج من هذا أيضاً ، بأن الغريزة الجنسية بالنسبة للانسانية كلها ، هى الغريزة الأولى ، فهى الغالبة والمسيطرة على الانسان فى فترات حياته كلها ... ومن هنا وجبت دراستها والعناية بأمرها للوصول بها إلى الكمال الذى جاءت به الأديان السماوية كلها ، أو إلى تحقيق القوانين التى أرادتنا الطبيعة أن نكون عليها لنسعد ، ولا نكون عليها لنشقى ونتألم .

وأرى من الفضول أن ألفت نظر قراء هذه المجلة إلى أن الميل نحو الجنس الآخر ليس معناه العشق الذى ينتج عنه فجور وفسق ؛ كما أنه ليس معناه الميل لأليفة يشاطرها الحياة التناسلية.

ومن النقط الآتية يرى القارىء أن الانسان يعشق مباشرة بمجرد ولادته ! !

من هى التى يعشقها الطفل؟

يقولون عادة إن الطفل يحب أمه ، ، ولقد أغالى فأقول إنه يعشقها ، وما فى هذا من ضير أو خروج بالمرة . . أليس العشق هو الكلف الزائد ؟ وهل الكلف الزائد إلا العشق ؟

وإذا كان الطفل يعشق أمه ، فانه لا يعشقها عبثاً أو بغير سبب ، بل إن من السذاجة كل السذاجة

أن نقرر أن الطفل لا يتغذى — وهو فى بطن أمه — تغذية مباشرة، ينتج عنها عرق وتبول وتبرز، وإنما هو يتغذى غذاءً تكوينياً غير مباشر ، فاذا أخذنا برأى فونتين مان Fountain--mann الذى يقول : إن قطرة المادة المنوية تحوى جزءاً من قطرة إدراك ،جاز لنا أن نستنتج من هذا أن الطفل يبدأ إدراكه وهو فى تكوينه فى بطن أمه ، فاذا بدأ عنده الادراك فى بطن أمه — ولو إلى حد ضئيل للغاية — فما من شك فى أنه يأسف أسفاً غرزياً لفراقه ذلك المكان من بطن أمه ، حيث يجد الراحة والغذاء ، وسائر وسائل الحياة التى يستلزمها الجو الذى يعيش فيه .

فاذا خرج إلى الحياة فانه يدرك — وقت مجىء الطبيبة لتباعد بينه وبين أمه — أنه فقد نعيما كان فيه . . ويظل مدة لا تقل عن عشر ساعات — بناء على ما أثبته علم الطب الحديث — لا يتناول غير مادة صلبة ،غريبة عنه بالنسبة له — فاذا وجد بعد انقضاء الساعات العشر، أن شيئاً حياً يدخل إلى فمه كله حنان ودفء ، ليسكب فيه سائلا لا يمكن أن يوافقه غيره، زاد كلفه بنعيمه السابق ، وزاد عشقه لمصدر هذا النعيم وهو الأم .

وتظل الأم تغذى طفلها وترعاه . . فاذا هو فتح عينيه — بعد سبات — لم تقع عيناه إلا على عينيها الوديعتين ، اللتين تنمان عن العشق كله ، وإذا بكى لم تبصر عيناه إلا أمه تسرع إليه تعوده ، ولم تسمع أذناه إلا أغانيها الحلوة الساحرة التى تخدر أعصابه فينام ، بعد أن يلمس فوه ثدى أمه الحنون .

وهكذا يظل الطفل ،كلما ازدادت أحاسيسه وحاجاته،وكلما ازداد إسراع الأم إلى إجابته إلى ما يريد،وتوفير الوسائل له ، زاد كلفه بها وعشقه لها، حتى يكون من ذلك طفل آخر فنغير حال طفلنا قليلا .

عشق الطفل بعد الثالثة :

ولما كان الطفل فى بطن أمه لا يعرف شيئاً عن والده،وكذلك حين يخرج إلى الوجود حيث يلازم أمه — بادراكه الضعيف — حتى فى فراشها الخاص ، لذلك تراه لا يكاد يشعر بوجود والده إلا بعدما لا يقل عن ستة شهور ، أى بعد أن يتقدم إليه والده بحنانه الأبوى الغرزى الموجود فيه ، ليداعبه ويحاول أن يوقظ من حواسه ، التى تكون متفتحة تؤدى وظائفها الفسيولوجية إلا فى حالة المرض أو الشذوذ الطبيعى ، هنا فقط يبدأ عقله الباطن، يدرك بالغريزة أن ذلك الذى يداعبه له عطف عليه وحنان ، ثم يسمع كلمة .. (بابا) .. (بابا) . . (بابا)

ترن فى أذنيه،فيبدأ يدرك - بالباطن أيضاً - أن ذلك الذى يغدق عليه العطف والحب إنما هو «بابا».. ولكن من « بابا » هذا ؟ ! ذلك مالا يدركه إلا بعد مرور عام كامل على الأقل، و نقصد بالادراك هنا إدراك العقل الواعى .

ومن هنا يبدأ يكلف به هو الآخر أيضاً ، ولكن بدرجة تقل عن كلفه بأمه، وذلك نظراً لمعرفة أبيه بعد إذ عرف أمه بعامين تقريباً ، فقل إذن إن عشقه لأبيه يقل عن عشقه لأمه بما يوازى فرق هذين العامين . . .

ولقد تحل محل الأم مربية أو مرضعة أو ماشا كلهما، وهذه ينالها من حبه شىء أيضاً، ولكنه حب لا يلبث حتى يزول بعد إذ يعرف - بعقله الواعى - أن هذه التى خصها بشىء من حبه لا تخدمه بدافع طبيعى، وإنما بدافع صناعى محض: هو خوفها - إن هى لم ترعه كما يجب - إقالتها وتنصيب غيرها لتقوم على خدمته ، مادام يمكن الحصول على ذلك بقليل من المال .

وبعد إذ يبلغ الطفل الثالثة من حياته ، يبدأ حبه يتوزع بين سائر من يعطف عليه ،ويقوم على راحته ، ثم تتقدم به السن ويذهب إلى المدرسة ليقضى بين زملائه وإخوانه جزءاً من النهار كبيراً ، فيقتطع جزءاً من حبه الذى وزعه بالكيفية السابقة، ليعطيه لمن يلاعبونه من زملائه وزميلاته... ولاحظ كلمة « زميلاته » هذه ، فانها تهمنا كثيراً ، بمجرد بدء دور المراهقة !! ويلاحظ أيضاً أنه - حتى هذه السن - يعامل زميلاته نفس المعاملة التى يعامل بها زملاءه، ولو أنها معاملة لا يقصد منها أى قصد ، وكل ما فى الأمر أنه يبدأ يفضل اللعب مع إحدى الزميلات ! ! ولا يرجع هذا إلى أكثر من تدرج الغريزة الجنسية فى النمو .

فترة المراهقة والأليفة :

وبعد الحادية عشرة ، وعند كلا الجنسين - وفى بعض الأحوال بعد الثانية عشرة حتى الرابعة عشرة - يشعر الفرد بنوع من الانقباض يلازمه فى حالة انفراده، وكذلك فى حالة اجتماعه بلداته من جنسه أيضاً... وعلى نقيض ذلك يشعر بانشراح صدره ووسعة فى آماله عند ما يخلو المكان إلا منه ومن فرد من الجنس الآخر . . . فاذا حدث أن اختليا مرة - وهى خلوة لا شىء فيها حتى الآن - فان انقباضه يزول ساعتئذ فقط ، ولكنه يزداد عند ما يفارق هذا الأليف؛ وفى ازدياد الانقباض ما يعمل على ازدياد الخلوات... وفى ازدياد الخلوات زيادة للانقباض أكثر.. وهكذا حتى يضيق ذرعاً ويبدأ يشعر بالحاجة إلى ضرورة وجود الأليف باستمرار، ومن ثم يبدأ تفكيره بطريق جدية فى حيازة هذا الأليف فى كل الأوقات، ليذهب عن نفسه الانقباض.

وليس غريباً أن نذكر للقراء أن دور المراهقة من شأنه ازدياد الحاجة إلى الخلوة لما تتطلبه المراهقة من إرضاء الغريزة الحيوانية .

وترى الفرد في بادىء الاختلاء جبانًا عن الادلاء إلى زميله بما يشعر به نحوه ، ولكن الظروف القهرية وازدياد العقدة النفسية تعقداً، تخلق من الجبان شجاعا. فتراه في صراحة أو اضطراب يصارح أليفه بضرورة التعاشر حتى تلتئم جراح كل من النفسين، وقد يكون الرد صداً وقد يكون قبولا ... وقد يحدث تحول من أليف إلى أليف - في حالة الاصابة بنوع من الشذوذ الجنسي -، ولكن الأمر ينتهى في النهاية بالتعاشر أو التزاوج أو ماشاكل ذلك، وهذه أشد فترات الحياة الانسانية خطورة : لأن نيران الغريزة تتأجج فيها إلى أقصى الحدود .

يريد أليفته خادمة أكثر منها زوجة:

فاذا تم التعاشر، كثرت الخلوات وساعدت اللذة والنشوة — التي يجدها كل من المتعاشرين — على الاكثار منها، ولا عجب في ذلك مطلقاً، فان في الاكثار منها انشراحاً نفسياً أكثر، إلا أن لكل شيء حداً، وكل شيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، أو على الأقل سئمته النفس وملته، فيبدأ الشعور بالحاجة إلى الخلوة يتناقص تدريجياً، كما ازداد تدريجياً، وهذا هو رد الفعل الطبيعي؛ وهناك أسباب ودواع ظاهرية تساعد على هذا التناقص، منها تقدم السن، ووجود النسل، واتساع البيت وحاجاته ونفقاته، وانصراف الرجل إلى عمله أكثر من زوجه وشهيته بدافع غريزة أخرى تبدأ في التسيطر، تلك هي غريزة «حب إسعاد النسل». وهناك أسباب قهرية قد تدعو إلى الاقلال من الخلوة، في الوقت الذي يجب أن تكون فيه خلوة، كالأمراض التناسلية أو الأمراض الصدرية أو الأوبئة، إذا أصيب بها أحد المتعاشرين في بادىء الحياة الزوجية .

يريدها أختًا لا أكثر ولا أقل:

فاذا قلت حاجة المتعاشرين إلى الخلوة وبدأ كل منهما يستغنى عن الاختلاء بصاحبه، فان كلا منهما يشعر أنه قد اتصل بصاحبه بأشياء أخرى غير الرباط التناسلي، وأن له عنده حقوقاً في نظير واجبات. ويتراضى المتعاشران على هذا، فيقنع كل منهما بأن يكون صاحبه خادماً له . فالذكر خادم للأنثى من حيث العمل على تشييد البيت وقضاء الحاجة والكفايات، والأنثى تهيء لعشيرها بيتاً سعيداً وذرية قوية سليمة؛ وليس معنى هذا أن العلاقات التناسلية بينهما تنعدم.

فاذا ما تقدمت السن بالمتعاشرين أكثر من ذلك، فان رغبة كل منهما تتجه إلى الآخر اتجاهها من أخ إلى أخته لا أكثر ولا أقل .

الفنون الجميلة عند العرب

بقلم الأستاذ أحمد فهمى العمروسى بك

إنه لجدير بنا نحن ورثة العرب أن نقول كلمة موجزة عن الفنون الجميلة عندهم لنتبين ما كانوا عليه وما صرنا إليه ، وأن نُلقى نظرة عظة واعتبار على تلك المدنية البارعة ، مدنية العرب التى استرعت الأبصار وعمت الأمصار ، عسى أن يكون ذلك مشجعاً لنا آخذاً بأيدينا ، فان فى الماضى أبلغ عبرة ، وفى الذكرى أقوم فائدة .

عقد المؤرخ الفرنسى (المسيو لوركيه) مقالا مسهباً فى وصف مدنية العرب فى كتابه الحديث (الفن والتاريخ) [1] لا أريد أن أزيد كثيراً على ما جاء فيه : وهاهو ذا ملخصاً :

إن العرب قبل الاسلام كانوا على هامش الدنيا وفى خارج منطقة التمدين ، راضين من عيشتهم بأيسر الطعام وأهون اللباس ، ضاربين خيامهم حيث يختارون ، يقيمون ماطاب المقام ، ويرتحلون ماحسنت الرحلة ، ولم يكونوا ليشتغلوا بغير حروبهم الداخلية الطاحنة لكلمة تبدر أو هفوة تصدر ، بل كانوا يتغنون بأعمال فروسيتهم وبطولتهم فى نظم رائع وشعر ساحر يتدفق حكما بالغة ويفيض أمثالا سائرة ، وهى عيشة على قصورها تنم عن روح مشتعلة ، وفكرة وقادة ، وبأس شديد ، وحماسة نادرة ، وبيان خلاب ، وتنبىء بأوجز عبارة عن أنهم كانوا أمة حرب وشعر .

وما كاد ينبلج فجر الاسلام حتى هبوا إلى الوحدة سراعاً تلبية لنداء النبى الأمى الذى ألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخواناً . فلا غرو أن انتقلوا من البداوة إلى الحضارة فجأة ، ووضعوا قدمهم فى تاريخ الانسانية ثابتة ، وغيروا معالم الدنيا وحولوا وجهة التاريخ إليهم ، فكانوا ملوك الأمم وقادة الشعوب وورثة الأرض بما ارتجلوا من دولة مترامية الأطراف شاسعة الأكناف تمتد من نهر السند إلى المحيط الأطلانطى ومن زنجبار إلى قلب فرنسا . وتلك دولة وسعت نحو نصف الدنيا القديمة حتى حق لهرون الرشيد أن يقول لسحابة توقع أن تمطر بساحته ولكنها تولت قبل أن تمطر « أمطرى حيث شئت يأتنى خراجك » .

ورث العرب ـ فيما ورثوا عن الأمم التى دخلت فى حوزتهم ـ الفنون والصناعات . وقد أخذوا يحذقونها ويبرعون فيها فى مدارس المورثين ؛ لأنه لم يكن فى استطاعتهم أن يرتجلوا فناً كما

---

(1) Lart et l'Histoire par L'orquet

ارتحلوا لهم ملكا ، ومع ذلك لم يمض الصدر الأول حتى نبغ منهم البناءون والحفارون والمصورون والنقاشون ، دون أن يروا فى شىء من ذلك مخالفة لنصوص كتابهم أو معارضة لشريعة نبيهم ، ولم يقفوا عند حد الحذق والبراعة ، بل تعدوه إلى التفنن والابداع ، فنقحوا وصححوا وحذفوا وأضافوا ، ثم اخترعوا وابتكروا حتى طبعوا تلك الفنون بالطابع العربى وصبغوها بالصبغة الاسلامية ، حرصاً على شخصيتهم أن تفنى ، وعلى نبوغهم وعبقريتهم أن يذهبا، فأصبحت الروح العربية حيث تكون بارزة واضحة، يندمج فيها غيرها ولا تدمج فى شىء، وهذا خلقت لنفسها فناً يوافق ذوقها ويتمشى مع طبعها . وسرعان ما انتشر فى أرجاء تلك المملكة الواسعة انتشار الكهرباء. نعم قد خضعت الفنون الاسلامية إلى حد ما لنواميس الطبيعة المحلية فاصطبغت فى كل قطر بصبغته الخاصة ،ولكنها كانت فى كل أحوالها من أندلسى ومغربى وصقلى ومصرى وسورى وعراقى وفارسى وهندى ومغولى ـ إسلامية أصلية كريمة نبيلة تنطق بما للاسلام من إباء و نجدة وشهامة ونخوة .

ولقد برع العرب فى سائر ضروب الصناعة فشادوا البنيان الفخم من مواد أتقنوا صناعتها كالحجر والرخام المحفور أو المنقوش والخشب المنجور، وزوقوا باطن أبنيتهم بالرسوم والصور الفائقة ، وكفتوا النحاس الذى أدخلوه فى أبواب دورهم وقصورهم ومساجدهم بالفضة والذهب،وموهوا أدواتهم وأوانيهم الزجاجية والخزفية بالميناء، ولبسوا بالأحجار الكريمة والعاج نفائسهم وزخارفهم.

وإنى أورد هنا قصة أنقلها عن المقريزى للاستدلال بها على شغف القوم بفن التصوير وقتئذ ومبلغ عنايتهم بالمصورين ، حتى دون بعض المؤرخين أسماءهم فى كتاب خاص سماه « ضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوقين من الناس » (١)

قال المقريزى: «كان البازورى سيد الوزراء الحسن بن على بن عبد الرحمن أحد وزراء الفاطميين مشغوفاً بالنظر إلى الصور والكتب المزوقة، ولوعاً بالتحريض بين المصورين وإغراء بعضهم ببعض، وقد حدث مرة أن استدعى ابن عزيز المصور العراقى لمنافسة المصور المصرى المعروف بالقصير ، لأنه كان يشتط فى أجرته ، فلما أحضر الاثنين فى مجلسه قال ابن عزيز : «أنا أصور صورة إذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط »، وقال القصير: «لكن أنا أصورها فاذا نظرها الناظر ظن أنها داخلة فى الحائط »

فقال الوزير: «هذا أعجب» وأمرهما أن يصنعا ما وعدا به، فصورا صورتى راقصتين فى حنيتين مدهونتين متقابلتين ، هذه ترى كأنها داخلة فى الحائط ، وتلك ترى كأنها خارجة منها .

---

(١) وإنى لشديد الاسف لان هذا الكتاب لم يقف له أحد على أثر ـ على ما نعلم ـ فى مكتبات الشرق والغرب

صور القصير الراقصة بثياب بيض وقد دهن الحنيَّة بالسواد، فكانت كأنها داخلة فيها، وصورها ابن عزيز بثياب حمراء، وقد جعل الحنية صفراء، فكانت كأنها خارجة منها، فاستحسن البازورى ذلك منهما وخلع عليهما ووهب لهما كثيراً من الذهب.

وأما مصنوعات الخزف فإنا نقتطف هنا بعض جمل عنها من المحاضرة التى ألقاها حضرة الأستاذ المرحوم على بهجت بك مدير دار الآثار العربية ـ مندوباً للحكومة المصرية أمام مؤتمر تاريخ الفنون الدولى العام، الذى انعقد فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٢ بمدينة باريس ـ عن نتيجة عمليات الحفر فى أطلال الفسطاط، وخصوصاً ما كان منها ذا علاقة بالأبنية وزخرفها والمصنوعات الخزفية وطلائها. قال بعد كلام طويل:

« وجدنا من بقايا مصنوعات الخزف على الخصوص عدداً عظيماً جداً دخل منها فى دار الآثار العربيـة من القطع النفيسة ما أفردنا له قاعتين؛ وكان الموجود من ذلك لا يتجاوز مائة قطعة قبل الحفر، أما الآن فلا يقل عن خمسة آلاف قطعة؛ وفى وسعنا أن نقول إننا نملك الآن مجموعة لا تقوم، بل لا مثيل لها فى العالم، حتى إننى رأيت من الضرورى أن نجعلها موضوع بحث تام، فوضعت له مؤلفـاً فى مائة صفحـة تتبعه ألواح عددها مائة وخمسون» إلى أن قال: «وكل هذا الخزف يمتـاز بتفنن الصانع فى زخرفته وباتقان العمل، فبينما ترى على بعضها زخارف كتابيـة، وشارات للأمراء، ترى على البعض الآخر زخارف نباتية وحيوانية وبشرية»؛ إلى أن قال أخيراً: «ولا يبعد أن تكون مصر الاسلامية مصدراً لبعض الأساليب الفنية المصطلح عليها فى صناعة الخزف بفضل ماورثته عن قدماء المصريين وعدم انقطاع صلة التواتر فى هذه الصناعة» اهـ

ومما هو حرى بالذكر هنا أن العرب راعوا ـ فى كل هذه الزخارف الروح الدينية الناطقة ـ أن نضرة الدنيا وزخرفها وبهجتها وزينتهـا صائرة إلى الزوال؛ وأن الجمـال البـاقى والنعيم المقيم الخالد إنما هو فى الدار الأخرى؛ وذلك بما استعملوه فى النقوش والتراويق من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار الناطقة بهذا المعنى، الأمر الذى جعل الفن يساير الدين جنباً لجنب، حتى قال علماء الفرنجة إنهم لم يروا ديناً ائتلف مع الفنون ائتلاف الدين الاسلامى معها، فكان شعارهم فى فنونهم هذه كما قال شاعرهم:

تأمل سطور الـكائنات فانها ... من الملأ الأعلى إلـيك رسائل

وقد خط فى لوح الوجود يراعها ... ألا كل شىء ما خلا الله باطل

ولعل هـذا وما رسخ فى نفوسهم من كراهة التماثيل التى تأصلت عندهم منذ الانتقال من عبادة الأصنام والأحجار إلى عبادة الله الحقة كان الصارف لهم عن عمل التماثيل ونحت الأحجار، وعلى الأخص ما كان كاملا من إنسان وحيوان؛ ومع ذلك فقد قال أحد المؤرخين الفرنسيين، وقد قال حقاً: إن هذا لم يضرهم شيئاً، فقد كان عندهم من حسن البيـان ودقة

الوصف ما يغنى عن إقامة هذه التماثيل ، بل كانوا يصورون فى اللفظ ما لعله يخفى فى المشاهدة .

وإنى أسوق للقراء وصفين بليغين [١] ليتبينوا أن قوة القلم وحسن البيان قد يؤديان من المعانى والخيالات ما تعجز عنه ريشة أكبر المصورين ويد أمهر المثالين .

وصف عمر بن الخطاب

قال معاوية بن أبى سفيان لصعصعة بن صوحان : « صف لى عمر بن الخطاب » فقال : « كان عالماً برعيته ، عادلا فى قضيته ، عارياً من الكبر ، قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحرياً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب »

وصف على بن أبى طالب

قال معاوية لضرار الصدائى : ياضرار صف لى علياً ، قال : اعفنى ياأمير المؤمنين ، قال: « لتصفنه » قال : « أما إذ لابد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ماقصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم [٢] ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يادنيا إليك عنى ، غُرِّى غيرى ، إلىَّ تعرضت أم إلى تشوقت ؟ هيهات هيهات !! قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير [٣] ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق »

فبكى معاوية ، حتى أخضلت [٤] دموعه لحيته ، وقال : رحم الله أبا الحسن ، فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها فى حجرها .

أحمد فهمى العمروسى

(١) نقلا عن كتاب معراج البيان تأليف الاستاذ الشيخ علام سلامه المدرس بدار العلوم (٢) السليم الملسوع ، وانما سمى كذلك تفاؤلا له بالسلامة كما سميت البيداء مفازة مع أنها مهلكة (٣) الخطر : القدر والمنزلة (٤) أخضلة بله :

فروبل

مؤسس رياض الاطفال

ولد فردرك فروبل فى قرية ألمانية عام ١٧٨٢ م ومات عام ١٨٥٢ م، وكان أبوه قسيساً مخلصاً لايحفل بشيء فى الحياة إلا بمهنته، ونشأ فردرك يتيم الأم فقدتوفيت وعمره تسعة أشهر، ففقد بفقدها ركناً عظيماً من أهم أركان حياته الأولى ، حتى دعته الحال إلى أن يقول: «لقد وضع على عاتقى نير عبء الحياة الثقيل المؤلم مبكراً، حياة كلها خداع، اجتمعت مع علم ناقص فوجدا فرصة للتمرن معى والتأثير فى»

والذى حدا فروبل إلى ذلك القول أنه كان مهملا فى حياته الأولى فلم يفهمه أحد، كما كان محروماً من المواساة الأبوية التى تتطلبها طبيعة الطفل.

وبعد زمن ما تزوج والده بسيدة لم تحسن معاملته مطلقاً، إذ كانت تذيقه من التعب ألواناً لم يكن يقوى على تذوقها، وكانت تعاقبه وتهينه لأى هفوة وإن ضؤلت. وكان لمعاملتها هذه تأثير سيء فى أخلاقه، حتى إنه كان يلجأ إلى الكذب ليتخلص منها.

على أن والده لم يفقد كل الحنان الأبوى، فقد رأى أن من الواجب عليه أن يعلم ابنه مبادىء العلوم، ولكنه كان شديداً لا صبر له، فكانت نتيجة شدته أن خافه ولده حتى منعه ذلك الخوف من سرعة الفهم، فظنه أبوه غبياً فتركه معتقداً أنه قد قام بواجبه نحوه وأن الولد غير قابل للتعليم.

وكان فروبل ينتهز فرصة فراغه ويهرع إلى قرية بجوار القرية التى يعيش فيها ليلعب بها ويمتع نظره بجمال الطبيعة منفرداً.

وهناك كان يشعر بحرية لا يمكن أن يشعر بها فى بيت أبيه، ولقد كان لهذه الساعات الحلوة التى صرفها فروبل فى الغابة مدة طفولته تأثير عظيم فى نفسه. فقد ربت فيه قوة التفكير، وعمق الفحص والاستقراء، وسعة الخيال ودقة الملاحظة. ونشأ وحيداً يحب الخلوة ولا يرتاح إلى مخالطة الغير، وكذلك نشأ ديناً مخلصاً، فقد قال: «الطبيعة ــ وهى عالم النبات والأزهار ــ صارت مرآة لناظرى أتقلب فيه من مبدأ حياتى»، وقال: «دينى وكنيستى ونسكى قد تحول كله إلى حياة دينية طبيعية»

ويرجع ذلك لعاملين : الأول تأثير البيئة التى وجد فيها حيث أبوه شديد الحرص على الفرائض الدينية . والثانى خلوه إلى نفسه فى الحقول والغابات حتى قربه هـذا من الطبيعة ، إذ أصبح يرى لـكل شيء معنى خفياً .

استمر فروبل على هذه الحال حتى بلغ العاشرة من عمره ، وكان له خال ينظر إليه بعين الشفقة والحنو ، فأقلقه سوء حال الولد المسكين ، ومن ثم فكر فى حيلة يأخذ بها الولد برغبة والده ويتعهد تربيته ، فتم له ما أراد .

ولا يخفى أن ما وجده فروبل من بون بين العيشة فى منزل أبيه والعيشة فى منزل خاله كان شاسعاً جداً ، ففى الحال الأولى كان يعامل بالقسوة ولا يرى عطفاً من أحد ، وأما فى الثانية فكان يشعر بسعادة الطفولة وبحرية لم يسبق له بها عهد ، وأخيراً أدخله خاله المدرسة الأولية بالقرية ، ومن الغريب أنه مع حداثة سنه كان يفكر طويلا فى دروســه ، بل بلغ به الحد فى التفكير إلى نقد طرق معلميه ، ولـكن أحداً من معلميه لم يلتفت إلى سعة عقله لعزلته عن رفاقه . وقد مكث فروبل عند خاله حتى بلغ السادسة عشرة من عمره .

حياته كمدرس :

بعد موت أبيه فى عام ١٨٠٢ م فكر فى الاشتغال بالفلاحة فى أرض والده ، ولـكنه ترك هذه الفكرة بعد قليل ، وعمل بنصيحة بعض أصدقائه فاشتغل بالتدريس فى مدرسة فرنكفورت سنة ١٨٠٥ ، ولقد صح نظر أصحابه ، لأن تجاريبه الأولى فى التعليم دلت على أن هذه هى مهنته المناسبة ، وقد سمع فروبل كثيراً عن (بستالتسى) حينئذ ، ولذلك اشتاق لرؤيته فزاره بفيردن بسويسرا ، واستغرقت هذه الزيارة أربعة عشر يوماً اشتغل أثناءها فروبل باهتمام زائد بالاطلاع على طرق التدريس وحالاته ، ولهذا قال : « إن كل ما رأيت كان منيراً وساراً ، مشجعاً ومدهشاً ، وكان انتقادى أن كل ما يعلم هناك كان معنوياً ، أى يستدعى إعمال الفكر فقط ، وكان سمعياً أكثر منه لخصياً ، كما أنه كان بعيداً عن مدارك الأطفال » ، ومع ذلك فقد شعر فروبل بأن تجاريبه كانت غير كافية للحكم على ملاءمة جميع أجزاء البرنامج أو عدمها ، وقد عاد إلى فرنكفورت وعزمه قوى على العودة بأسرع ما يمكن إلى عمله الخاص .

فلما عاد ثبت فى وظيفته وعهد إليه باعادة النظر فى إصلاح شأن المدرسة كمساعد ، وبعد قليل صار جميع العمل الجديد فى قبضة يده ، وكان العمل يسير وفق برنامجه الجديد ناجحاً جداً ، ونال استحسان الرؤساء . وقد علم بنفسه الحساب والرسم والجغرافيا الطبيعية واللغة الألمانية ، وقد استعمل طرق بستالتسى العملية مقدراً أهمية الخبرة الشخصية والابتداء بالقريب ثم البعيد حق قدرها ، وقد أضاف إلى واجباته المدرسية تعليم ثلاثة صبية لأحـد الأغنياء

فعلمهم الحساب مستعملا جدول الوحدات البستالتسى، وعلمهم الألمانية مستعملا طرق بستالتسى أيضاً فى كتاب الأم، ولكنه كان غير مقتنع بطريقة تعليم اللغة.

وكانت مدرسة فيردن قد بلغت أوج شهرتها، فطلب فروبل من أولياء أمور تلاميذه أن يسمحوا له بأخذ الصبية إلى هذا المعهد العظيم، فأذنوا له؛ وهناك تأثر فروبل كثيراً بآراء بستالتسى وطرقه.

بعد أن عاد فروبل من زيارته الثانية لفردن فتح مدرسة صغيرة فى كوخ بسيط على ربوة. وبعد قليل رجع تلميذاً فى كلية جتنجن سنة ١٨١١، واهتم بدراسة اللغات والتاريخ الطبيعى، وفى سنة ١٨١٢ تغيرت حياته مرة أخرى وذهب إلى كلية برلين. ومن سنة ١٨١٣ إلى سنة ١٨١٤ تطوع فى الحرب التى نشبت بين ألمانيا وفرنسا؛ وقد أكسبه اشتراكه بها تجاريب عظيمة، ومن الغريب أنه فى ساحة القتال اتخذ له صديقين كانا من أكبر أعوانه فيما بعد، وهما لانجاتول lengethaul وميدندورف Meddendorff، ثم بعد انتهاء الحرب فى السنة الثانية ترك الجيش واشتغل بمتحف الآثار ببرلين، وهناك وجد فرصاً عظيمة للتفكير، وكانت فكرته الأساسية دائماً هى إصلاح شعبه بواسطة تربية أفراده تربية صالحة.

وفى سنة ١٨١٦ ترك فروبل المتحف وفتح مدرسة صغيرة فى بلده جريسهيل ودعا إليه صديقيه — وفق اتفاقهم فى ساحة القتال — واشتغل الثلاثة فيها بالتدريس، ولما رأى فروبل نجاحه هو وصديقاه فى هذا المشروع نقلوا المدرسة إلى مدينة (كيلهاو Keilhau)، وفى مدة وجيزة عظم شأن تلك المدرسة وقصدها الكثيرون من التلاميذ بنين وبنات، ما بين العاشرة والثامنة عشرة، وكان التعليم فى (كيلهاو) عملياً يختص بمعيشة التلاميذ؛ ففى أوقات الفراغ من الدروس كان الصبية يشتغلون فى الحقول بالزرع وغيره، أما البنات فكن يشتغلن بالغزل والنسيج وطهى وإعداد الطعام، وكان غرض فروبل الأساسى هو أن يجعل المدرسة طبق الأسرة، مكاناً مستقلا قائماً بنفسه، حتى يشعر التلاميذ بمعنى الحياة العملية وبضرورة التضامن فى السعى طلباً للرزق. واشتهرت المدرسة ونجح المشروع رغم ما لاقاه فروبل وصديقاه من الصعوبة، حيث لم يعنوا بادارة شئونهم المادية عناية تامة.

وفى خلال تلك المدة بدأ فروبل يرتب أفكاره واغراضه من التربية؛ فوجد أن غرضه الأساسى هو إسعاد شعبه خاصة، والمجتمع الإنسانى عامة. فرأى أن ذلك لا يكون إلا بتربية الأفراد؛ ولما تحقق من ذلك أمعن التفكير فتيقن أن زمن الطفولة هو أهم طور فى حياة الفرد، إذ فيه تتفتح جميع قواه وتستعد للقيام بما خلقت من أجله، فكانت نتيجة أبحاث فروبل أن ألف الذخيرة التى تركها للمربين وهى كتاب «تربية الانسان» Education of Mann سنة ١٨٢٦

وفى هذا الكتاب بين فروبل غرضه من تربية الطفل ، ثم وضع قوانينه الأساسية التى بنى عليها أفكاره وآراءه فى التربيـة ، ثم بين استخدام هذه القوانين الطبيعية فى تربية الطفل ، ومن ثم انتشرت آراؤه فى ألمانيا ، وأنشئت بعض المدارس على طريقته فى ألمانيا وسويسرا ، وبدأ ينشر أفكاره بواسطة الخطابة . وفى سنة ١٨٣٦ فتح أول معهـد للأطفال فى مدينة بلاكنبرج ، وأطلق عليه أسم « كندرجارتن » Kinder Gurten أى « رياض الأطفال » ، وفى هذه الروضة طبق فروبل آراءه وطرقه التى بينها فى كتابه « تربية الانسان »

ولما وجد فروبل أن أكبر عامل فى تربية الطفل هو الأم فكر فى تمرين المعلمات على تربية الأطفال ، ومنذ انتشرت هذه الفكرة صـارت المرأة هى التى تقوم بتربية الأطفال الصغار ، ومن ثم يمكننا أن نقف على مقدار تعمق فروبل فى التفكير فى خدمة الانسانية ، حيث درس طبائع الأطفال دراسـة مكنته من فهم أحسن الطرق لرعايتهم جسماً وعقلا وخلقاً .

ولسوء حظ فروبل اشتبهت الحكومة بين فروبل وولد لأخيه يدعى فردرك الأصغر ، ممن طرحوا الدين وراءهم ظهرياً فى ذلك العصر ، فأصدرت الحكومة الألمانية قانوناً باغلاق جميع المدارس التى تسير على طرق فروبل فى سنة ١٨٥١ ، وفى السنة التالية توفى فروبل آسفاً حزيناً ، ولكن أفكاره وأعماله انتشرت بسرعة هائلة بفضل زملائه وبفضل سيدة كريمة تدعى « البارونه فون بيلو » التى وهبت حياتها ومالها للسعى فى نشر آرائه ، فسافرت إلى انجلترا وأمريكا وبعض البلاد الأخرى لهذا الغرض .

المعاهد التى اشتغل فيها بالتدريس :

١ — مدرسة فرنكفورت

٢ — معهد بستالتسى بفردن

٣ — مدرسة جريسهيل

٤ — معهد كيلهاو

٥ — روضة الأطفال ببلاكنبرج

فى العدد القادم

سنتكلم فى العدد القادم عن عمل فروبل فى هذه المعـاهد بالتفصيل ، ثم نذكر مؤلفاته ونعرض لنقدها ، ثم أسلوبه الكتابى ، ففذلكة عن فلسفته .

٤ – القواعد الجديدة فى العربية*

للاستاذ مصطفى جواد [بغداد]

٥٣ – تصاغ الصفة المشبهة من الثلاثى اللازم المعتل على وزن « فيعل » بكسر العين قياساً مثل « آد يئيد فهو أيد » و « آم يئيم فهو أيّم » و « باع الفرس يبيع . طالت خطاه فهو بيع » و « بان يبين فهو بين » ومثلها « الثيب والجيد والخير والريّق والسيء والشيق والصيب والضيق والطيب والعيل والفيل والقيم والكيس واللين والميت والنير والهين »، أما السيد والريس والشيفة فمن « ساد عليه وراس عليه وشاف له » حتما ، وإن كان الأخير من الأفعال الميتة .

٥٤ – حذف تاء المفرد لبيان اسم الجنس الجمعى مطرد فى أسماء المعانى كاطراده فى أسماء المجسمات ، قالوا « توبة واسم الجنس (ويسمى الجمع اللغوى) هو : توب » ومثله « حاجة وحاج » و « عومة وعوم » و « إقامة وإقام » و « معونة ومعون » و « مكرمة ومكرم » و « ميسرة وميسر » و « كلمة وكلم » و « سرقة وسرق » و « وساعة وساع » ، فلا يجوز أن يغلط من قال « رفاه » بأنه لم يرد فى كتب الائمة فهو جمع لغوى لرفاهة، وكذلك « الحماس » فهو اسم جنس لحماسة .

٥٥ – فعّل تفعيلا للتكثير قياسى عند الاحتياج إليه مثل « آب وأوّب ، وبد بدد ، بغل بغل ، بكر بكر ، تبر تبر ، ثلث ثلث ، جبر جبر ، جدل جدل ، جذف جذف ، جذم جذم ، جر جرر ، جرح جرح ، جرش جرش ، جرم جرم ، جز جزز ، جزأ جزأ ، جزم وجزم عنه ، جشر جشر ، جل الفرس جلله ، جلف جلف ، جلا جلى ، جم المكيال وجممه ، جمر وجمر ، جمع وجمع ، جنب وجنب ، جال وجول ، حبس وحبس ، حطم وحطم ، سار وسير ، وقف وقف ، طاف طوف ، وغيرها ألوف فلا يجوز أن يغلط القائل « عضده تعضيداً » بمعنى « عضده » الثلاثى ، ولا القائل « شمّخ تشميخاً » بمعنى « شمخ » الثلاثى ، قال محمد بن لنكك الشاعر البصرى :

أنت ابن كل البرايا لكن اقتصروا   على اسم حمزة وصفاً غير « تشميخ »

أراد مصدر « شمّخ » بتشديد العين كما هو بين ، وقد قدمنا أن المبالغة والتكثير من حاجات البشر الماسة ، وسنذكرها ثالثة .

٥٦ – إذا كان الفعل الثلاثى متعدياً إلى واحد فنقله إلى باب « فاعل يفاعل » يعديه إلى مفعولين

(*) أول البحث فى ج ١٢ من "المعرفة" سنة ١٩٣٢ و ج ٢ : يونيو ١٩٣٢ (السنة الثانية) و ج ٥ ص ٥٥٣ من السنة الثانية أيضا .

قياساً مثل « خالسه النظر وراجعه الكلام ودافنه العداوة وناصبه البغضاء وطارحه الحديث ودارسه الكتب وناقله الأخبار وسارقه السمع وماطله الدين وقاسمه الشيء وكاشفه السر وكاتمه الأمر وواعده الشيء وشاطره الربح » وغيرها كثير متوافر فلا حاجة فى نفسنا إلى الإطالة .

٥٧ ـ أصل الأجوف الثلاثى « مضعف » (١) ، ولذلك يظهر حرف التضعيف فى المصدر فيجتمع فيه « العوض وهو حرف العلة مع المعوض منه » قالوا فى القديم « بن » ثم قالوا « بان » فصار المصدر « بينونة » ومثله « بت بات بيتوتة » و « حد حاد حيدودة » و « ذع ذاع ذيعوعة » و « شع شاع شيعوعة » و « طر طار طيرورة » و « غب غاب غيبوبة » و « صر صار صيرورة » و « فظ فاظ فيظوظة » و « فل فال فيلولة » و « قل قال قيلولة » و « حل حال حيلولة » و « دم دام ديمومة » و « فض فاض فيضوضة » وغيرها كثير .

٥٨ ـ دخول التاء على اسم المكان المبنى من الفعل الثلاثى لغير الكثرة الجنسية قياسى مثل « المباءة والمثابة والمجزرة والجلة والحنة والحالة والمرتبة والمزلة والمزرعة والمزلقة والمشرعة والمشرقة والمزداة والمفازة والمهلكة والمقلتة والمكانة والمنزلة والمعلاة والمعركة والموقعة والمحجة » ، وعلى هذا يصح ويفصح قولهم « محطة » كمدرسة .

٥٩ ـ إن « على » تستعمل للضرر والإيذاء قياساً نحو : أخذت عليه أمراً وانتقدت عليه قوله ورددت عليه فى الدعوى وولدت عليه خبراً وقلت عليه كذا وحقق عليه العذاب وأفسد عليه أمره وتطرق عليه واستقصى عليه الحساب واستدرك عليه شيئاً وضحك عليه وتماجن وتنادر عليه واستحب عليه كذا واختاره عليه ، ويجب فى هذه القاعدة مراعاة استعداد الفعل فى طبيعته اللغوية فنقول : « عمل على فلان » للمضرة و « عمل على الصدقة » أى تولى عليها ففيه إيماء إلى التسلط والسيطرة ، ونقول « وفر عليه كذا » للنفع لأن استعداد الفعل الطبيعى مختص بالنفع ، ومع ذلك يقال « وفّر له المال » ، وبناءً على هذه القاعدة يقال « سعى عليه » بمعنى « سعى لمضرته » ، ولكنه لم يرد فى كتب اللغة ، وورد فى نشوار المحاضرة للتنوخى (٢) بصورة « يسعى على فيها أقبح سعاية » فقال أحدهم معلقاً « المعروف سعى به إلى الوالى : وشى به أو ضمنه معنى « نم » فعداه بعلى » ، وإذا دققت نظرك فى القاعدة التى أسلفنا ذكرها أيقنت أن القائل « سعى عليه » لم يردّ « نم عليه » بل « سار فى مضرته » سيراً

(١) تقدم فى ج ١٢ ص ١٤٧١ س ٢٥ وزن « فيعولة » والصواب « فعلولة » فنرجو تصحيحه

(٢) مجلة المجمع العربى السورى ج ٤ ص ٢١١ سنة ١٩٣٠ م

مطلقاً فهو أعم من النميمة ، ويأبى الحق إلا أن يجود علينا بفضله ، فقد قال عبيد الله بن العباس عامل الامام على – ع – على اليمن ، للعثمانية فيه : « ما هـذا الذى بلغنى عنكم ؟ قالوا : إنا لم نزل ننكر قتل عثمان ونرى مجاهدة من سعى عليه » (١). وكتب معاوية إلى عبد الله بن العباس عند صلح الحسن بن على – ع – له كتاباً يدعوه فيه إلى بيعته ويقول فيه « ولعمرى لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضاً وأن يكون رأياً صواباً ، فإنك من الساعين عليه والخاذلين له » (٢) ، فذلك قول فصحاء اليمن فى صدر الإسلام ، وهذا قول معاوية المعروف بالفصاحة .

٦٠ – تعاور حروف الجر مع الأفعال بحسب المعانى مطرد القياس – وقد قدمنا منه المادة ٥٩ – ف (استقصى وتسرب وسار) يقال فيها (استقصى على فلان الحساب فى التجارة) أى بلغ غاية الحساب فيها ، و (تسرب الحيوان فى سربه إلى مستقره وتسرب الأذى إلى فلان) و (وسار فى الطريق إلى المجلس) فلا يجوز لأحد أن يقول (لا يقال : استقصاه ولا استقصى عليه ولا تسرب الأذى إليه) لأن القاعدة مطردة ويضاف إلى ذلك السماع ، فالتقدير (تسرب الأذى إلى فلان فى سبب من الأسباب) ، فالحرف (فى) لازم من حيث المعنى والتقدير ، مهمل من حيث الظهور والتلفظ لجواز الاستغناء عنه المسبب للاختصار فى العبارة ، وإنما يجب ظهوره عند الالتباس ومثل ذلك (جاءه أو جاء إليه فى أمر كذا) و (سار إليهم فى حاجة كذا) فان الأمر والحاجة المعينة يستوجبان الإيضاح ولا يظهران بالقرينة عند الحذف ، أما (استقصى) فقد قال فيها أحدهم (والصواب أن يعدى بفى ، يقال استقصى فى المسألة . . .) (٣) ، والصحيح أنه يتعدى بنفسه كما ذكرنا آنفاً ، ألا ترى إلى قول الإمام على – ع – (لا يستنفده سائل ولا يستقصيه نائل) (٤). ولذلك سمى الزمخشرى كتابه الواسع فى الأمثال (المستقصى) (٥) وقال الجوهرى فى (ن خ ل) : وانتخل الشىء : استقصى أفضله ، وفى (ش م م) : وإشمام الحرف مستقصى فى الأصل ، وفى (ن ط س) : وكل من أدق النظر فى الأمور واستقصى علمها فهو متنطس ، فهذا بحسب .

٦١ – استفعله بمعنى (وجده على صفة الفعل الثلاثى) مقيس مطرد والحاجة ماسة إليه

(١) شرح النهج لابن ابى الحديد « ١ : ١١٦ » طبعة مصر
(٢) الشرح « ٤ : ٥٨ »
(٣) تذكرة الكاتب ص ١٤٧ وتبعه ابراهيم المنذر أحد أعضاء المجمع العربى السوري فى كتابه الذي صار به عضواً فى المجمع كما فى ص ٩ منه
(٤) الشرح « ٢ : ٥٥٨ »
(٥) الوفيات « ٢ : ١٩٧ »

بدأ مثل (استحمقه) أى ألفاه أحمق و (استخفه) واستقله واستفرده واستحله واستسقطه واستخرقه ، وإنما خصصنا استفعل بهذا المعنى العام لأن (أفعله) الذى بمعناه مثل (أعظمه أى وجده عظيماً) كثير المعانى المختلفة، فتحميله هذا الأمر لإصلاح العربية الجديد يزيد استبهامه ، على أنه لا يؤدى المعنى مثل (استفعل) من حيث زيادة الظهور ، ألا ترى أنك تفهم معنى (استعظمه) أسرع من فهمك (أعظمه) ، وللسهولة شفاعة عظيمة فى العربية ؛ فنقول بناءاً على هـذه القاعدة المطردة (استغلط قوله) و (استفسد عمله) و (استفصحه) فلا يجوز لأحد أن يستغلط قول من قال «استغزره» مريداً «وجده غزيراً» ولا «استجمله أى ألفاه جميلا» ولا «استعقله: وجده عاقلا» ولا «استرجحه: رآه راجحاً» ،قال أحدهم[1] «ومما يأتون به مخالفاً للوضع ومحرفاً عن معناه الأصلى قول بعضهم : فاستنزروا أيامه واستغزروا بيانه ، أراد باستنزروا : استقلوا ،ولم يسمع عن العرب من نزر على[2] وزن استفعل ، وأراد باستغزروا : استكثروا ،لخوله عن معناه الأصلى فى كتب اللغة إذ يقال : غازر الرجل واستغزر : وهب شيئاً ليرد عليه أكثر مما أعطى » ، قال مصطفى جواد : كان واجباً على الناقد أن يقول « لم نجده فى ماعندنا من كتب اللغة» أفتراه فتش «حد القاموس» الذى ألفه لين الانجليزى ؟ أو تبحث معجم دوزى الهولاندى ؟ كيف قال : لم يسمع عن العرب ، قال عبد الحميد بن أبى الحديد « ثم استنزر عددهم فقال : وكم ذا ؟ »[3] وهو عربى فصيح ولئن كان من المتأخرين لقد قاس قوله على كلام العرب فهو منه ، ثم إن كتب اللغة ولا سيما التى ألفها العرب والمستعربون لم تحط بكل ما قاله العرب وربما ذكر مؤلفوهـا الكلمة فى غير مادتها فهى يعتورها نقصان ، عدم الاحاطة والاستقصاء وحاجتها إلى الترتيب المستوفى للكمال ، فاستغزره بمعنى « وجده غزيراً » وارد فى كلام العرب ،قال أبو تمام يصف القلم :

إذا استغزر الذهن الذكى وأقبلت أعاليه فى القرطاس وهى أسافل[4]

أى إذا وجد القلم الذهن الذكى غزيراً ، وكذلك فسره البغدادى فى خزانة الأدب[5] ، ثم انظر إلى قول جرير:

خليلىّ لا تستغزرا الدمع فى هند أعيذكما بالله أن تجدا وجدى[6]

---

(١) تذكرة الكاتب ص ٧٩

(٢) كذا قال حاذفاً نائب الفاعل له « لم يسمع » وهو عمدة . فالصواب «ولم يسمع . . . فعل من نزر على وزن »

(٣) شرح النهج « ٤ : ٣١٣ »

(٤) أمالى الشريف المرتضى « ٢ : ١٧٤ »

(٥) ج ١ ص ٣٠١ — ٢ من طبعة دار المصور

(٦) المروج للمسعودى « ٢ : ١٤٩ »

فاستغزره من الكلام العربى الفصيح المقبول سماعاً وقياساً ، وإذا ثبت قياس الشىء فى كلام العرب صعب إنكار وروده ، فمن هذا الباب « استرجحه » وجده راجحاً ، لم يذكره العرب ولا المستعربون القدماء فى معاجمهم بمادة « رجح » ولكن جاء فى جمهرة أمثال العرب فى أخبار هرم بن قطنة الفزارى ، قال أبو هلال العسكرى « والدليل على ذلك أن عمر — رض — قال له : لمن كنت تحكم لو حكمت ؟ قال : لو قلت شيئاً لعادت جذعة ، فاسترجح عمر عقله » [(١)] وقال الزمخشرى « وبطر فلان نعمة الله استخفها فكفرها ولم يسترجحها فيشكرها » [(٢)] وسل عن « استعقله » فسبيله كسبيل ذينك الفعلين ، ولكن جاء فى مروج الذهب « ٢ : ٣٢٤ » ما نصه « وذكر عنه أنه قال : إذا وليت عملا فانظر من كاتبك ، فإنما يعرف مقدارك من بعد عنك بكاتبك ، واستعقل حاجبك ، فإنما يقضى عليك الوفود قبل الوصول إليك بحاجبك » أى جده عاقلا ، وذكر الجوهرى فى مادة « رأى » من الصحاح أن استرآه بمعنى : رآه مرائياً مثل استعقله أى وجده عاقلا ، عن أبى عمرو بن العلاء ، ولكنه لم يذكره فى بابه ، وجاء فى فهرست ابن النديم عند الكلام على كتاب ألف ليلة أن السلطان « استعقل الجارية » أى رآها عاقلة .

٦٢ — إقحام السين فى الفعل حتى يصير على وزن « استفعل » مقيس للدلالة على طلب الفعل والطلب لا يستغنى عنه البتة مثل « استنتجه » أى طلب نتجه واستشابه واسترجعه واستأداه واستعداه واستسفره واستنفره واستعاده ، وما لا يحصى كثرة . فان قلت إن الملك فلاناً استسفر محمداً أى طلب منه أن يكون سفيراً له فما يحق لأحد أن يستغلط هذا الفعل لأن القاعدة راسخة ، وإن احتج بأنه لم يرد فى معاجم اللغة بهذا المعنى قلنا له : هذا زمان فهم وقياس وتقدم بالعربية والمعاجم غير محيطة بالكلم العربى كله ، ألا ترى إلى قول الإمام على — ع — لعثمان بن عفان — رض — « إن الناس ورائى وقد استسفرونى بينك وبينى ووالله ما أدرى ما أقول لك . . . » [(٣)] كما ورد فى نهج البلاغة ، ومثله « استنتج » فانه لم يرد فى معاجم اللغة القديمة ، ولكن ورد فى مقامات الحريرى لأنه قاسه على كلام العرب قال « فتداعينا إلى أن نستنتج الأفكار ونفترع منها الأبكار » [(٤)] أى نحاول نتج الأفكار ، وبناءاً على هذه القاعدة يقال « استلفته » بمعنى « طلب التفاته » فهو من فصيح الكلام المقيس على مشهوره بين العرب .

مصطفى جواد [بغداد]

(١) جمهرة الامثال ص ٢٠٧ من طبعة الهند
(٢) أساس البلاغة ١ : ٥٢ مادة بطر
(٣) شرح النهج ٢ ٤٨١
(٤) طبعة مصر القديمة ص ١٦٨

ابن الهيثم

بقلم قدرى حافظ طوقان

أستاذ الرياضيات بمدرسة النجاح بنابلس [فلسطين]

هو الحسن بن الحسن بن الهيثم أبو على المهندس البصرى ولد فى البصرة سنة ٩٦٥ م ؛ ويظهر أن الحياة لم تطب له فيها فسافر إلى مصر حيث أنجز أكثر مؤلفاته التى خلدته وبقى فيها إلى أن توفى حوالى سنة ١٠٣٩ م . ونقل إلى حاكم مصر أن ابن الهيثم قال « لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملا يحصل النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقصان » (١)، فازداد الحاكم شوقاً إليه ولا سيما بعد أن سمع الشيء الكثير عن فضله وعلمه . ولما أتى مصر ودرس أحوال النيل تحقق لديه أن الذى يقصده غير ممكن ففترت عزيمته وانكسرت همته، ثم بعد ذلك أحيطت حياته بصعوبات جمة، لا مجال لذكرها الآن، أدت إلى أن يستوطن قبة على باب الجامع الأزهر ، وأن يقيم فيه متنسكا بعيداً عن الناس منصرفاً بكليته إلى الاشتغال فى التأليف والنسخ ليس فقط فى الرياضيات والطبيعيات (الفيزيكس Physics) بل فى الطب والالهيات أيضاً .

كان ابن الهيثم « فاضل النفس قوى الذكاء متفنناً فى العلوم لم يماثله أحد من أهل زمانه فى العلم الرياضى ولا يقرب منه ، وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف وافر التزهد ... » (٢) ويقول عنه ابن القفطى ما نصه « . . . . صاحب التصانيف والتآليف فى علم الهندسة ، كان عالماً بهذا الشأن متقناً له متفنناً فيه قيما بغوامضه ومعانيه، مشاركا فى علوم الأوائل، أخذ عنه الناس واستفادوا . . . . » (٣) ; والحقيقة أن ما قاله ابن أصيبعة وابن القفطى عن ابن الهيثم يعطى فكرة عن نفسيته وفضله ومكانته العلمية .

اشتغل ابن الهيثم فى الرياضيات وبرز فيها وله فيها أبحاث تدل على سعة اطلاعه وخصب قريحته ونضوجه العلمى ؛ فهو من الذين بحثوا فى حل المعادلات التكعيبية بواسطة قطوع المخروط(٤)، ويقال إن الخيامى رجع إليها واستعملها. وقد حل ما يأتى بطريقة تقاطع المنحنيين :

(١) ابن القفطى ـ كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء ـ ص ١١٤

(٢) ابن اصيبعة ـ طبقات الاطباء ـ ج ٢ ص ٩٠

(٣) ابن القفطى ـ اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١١٤

(٤) سمث ـ تاريخ الرياضيات ج٢ ص ٤٥٥

س^{٢} = ح س ، ص (ب ـ س) = ح هـ [١]

وتمكن من إيجاد حجم الجسم المتولد من دوران القطع المكافىء حول محور السينات أو محور الصادات[٢]. وتنسب إليه بعض رسائل فى المربعات السحرية[٣]، واستعمل نظرية إفناء الفرق[٤]،ووضع أربعة قوانين لايجاد مجموع الأعداد الطبيعية المرفوعه إلى القوى ١، ٢، ٣، ٤[٥] وله أبحاث فى الهندسة تدل على تعمقه فى علوم زمانه ، ولقد طبق الهندسة على المنطق وألف كتاباً يقول فيه : « .... كتاب جمعت فيه الأصول الهندسية والعددية من كتاب إقليدس وابلونيوس ونوعت فيه الأصول وقسمتها وبرهنت عليها ببراهين نظمتها من الأمور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالى إقليدس وأبلونيوس ..»[٦]، وله مؤلفات أخرى عديدة وقيمة فى الرياضيات منها : كتاب شرح أصول إقليدس فى الهندسة والعدد وتلخيصه ، كتاب الجامع فى أصول الحساب وهو كتاب استخرج أصوله لجميع أنواع الحساب من أوضاع إقليدس ،وجعل السلوك فى استخراج المسائل الحسابية بجهتى التحليل الهندسى والتقدير العددى، ويقول عنه مؤلفه ابن الهيثم: « وعدلت فيه عن أوضاع الجبريين وألفاظهم » ، كتاب فى تحليل المسائل الهندسية ، كتاب فى تحليل المسائل العددية بجهة الجبر والمقابلة مبرهناً ، كتاب فى المساحة على جهة الأصول ، كتاب فى حساب المعاملات ،وكتاب يقول عنه: « مقالة فى إجارات الحفور والأبنية طابقت فيها جميع الحفور والأبنية بجميع الأشكال الهندسية حتى بلغت فى ذلك إلى أشكال قطوع المخروط الثلاثة: المكافىء والزائد والناقص »، كتاب تلخيص مقالات أبلونيوس فى قطوع المخروطات ، مقالة فى الحساب الهندى ، كتاب فى التحليل والتركيب الهندسيين على جهة التمثيل للمتعلمين وهو مجموع مسائل هندسية حللها وركبها ، مقالة فى أصول المسائل العددية الصم وتحليلها ، رسالة فى برهان الشكل الذى قدمه أرشميدس فى قسمة الزاوية إلى ثلاثة أقسام ولم يبرهن عليه[٧] ، كتاب حساب الخطأين، كتاب حل شك من إقليدس[٨]، ومقالة على أن القطع الزائد والخطين اللذين لايلتقيان يقربان أبداً ولايلتقيان *

(١) سمث — تاريخ الرياضيات ج ٢ ص ٤٥٦

(٢) كاجورى — تاريخ الرياضيات ص ١٠٩

(٣) كاجورى — تاريخ الرياضيات ص ١٠٩

(٤) كجورى ص ١٠٩ وراجع مقالنا عن ثابت بن قرة فى مقتطف مارس سنة ١٩٣١

(٥) كاجورى تاريخ الرياضيات ص ١٠٩

(٦) ابن أصيبعة ـ طبقات الاطباء ج ٢ ص ٩٣

(٧) ابن أصيبعة ـ طبقات الاطباء ج ٢ ص ٩٣ ـ ٩٤

(٨) ابن القفطى ـ اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٦

(*) استوقفنا خطأ فى هذا النص قبل تصحيحناله فرجعنا الى كتاب ابن أصيبعة ـ والنسخة التى لدينا منه مطبوعة بالمطبعة الوهبية ١٨٨٢م ـ فوجدنا الخطأ فى نفس الكتاب وقد تابعه حضرة الكاتب فى ذلك ، وها هو ذا نصه : «مقالة فى انتزاع البرهان على أن القطع الزائد و(الخطان اللذان) لايلقيانه (تقربان) أبداً ولا يلتقيان » ونعتقد أن ما صححناه هو الصواب « المعرفة »

ولم يقتصر اشتغال ابن الهيثم على الرياضيات فقد اشتغل فى الفلك ويعترف بذلك سيديو Sedeiuot الذى يقول « وخلف ابن يونس فى الاهتمام بعلم الفلك جمع، منهم حسن بن الهيثم الذى ألف أكثر من ثمانين كتاباً ومجموعاً فى الأرصاد وتفسير الجسطى ....» ، واشتغل أيضاً بالفيزيكس «الطبيعيات» لاسيما فى بحث الضوء، وله فيه ابتكارات لم يسبق إليها، وتقول دائرة المعارف البريطانية : إنه (أى ابن الهيثم) أول مكتشف ظهر بعد بطليموس فى علم المناظر ؛ ويقول كتاب تراث الاسلام (Legacy of Islam) : « إن علم المناظر وصل إلى أعلى درجة من التقدم بفضل ابن الهيثم »، وهو الذى أضاف القسم الثانى من قانون الانعكاس القائل بأن زاويتى السقوط والانعكاس واقعتان فى مستوى واحد[١]، وفى كتابه الذى يبحث فى علم المناظر يقول: «إنه إذا سقطت حزمة من الأشعة الضوئية على المرآة الكرية وكانت موازية للمحور الأصلى فانها تتجمع بعد انعكاسها فى نقطة معينة على المحور» ، وألف فى علم المرايا المحرقة وكذلك فى علم مراكز الأثقال[٢]. وعلى ذكر المرايا المحرقة يقول كتاب إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ما يلى « علم يتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعها وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس أشعة الشمس عنها ونصبها ومحاذاتها، ومنفعته بليغة فى محاصرات المدن والقلاع » ،ويقول كتاب إرشاد القاصد عن علم مراكز الأثقال ما يلى « علم يتعرف منه كيفية استخراج ثقل الجسم المجهول ،والمراد بمركز الثقل حد فى الجسم عنده يتعادل بالنسبة إلى الحامل ،ومنفعته كيفية معرفة معادلة الأجسام العظيمة بما هو دونها لتوسط المسافة كما هو فى القرسطون » . ولا يتسع المجال لسرد أهم اكتشافات ابن الهيثم وأبحاثه ومؤلفاته فى علم الطبيعيات .

وفوق ذلك كله فقد كتب أكثر من ٤٤ كتاباً فى العلوم الطبيعية والالهية[٣] عدا مؤلفاته فى الطب مهنته الأولى .[٤]

قدرى حافظ طوقان [نابلس . فلسطين]

---

(١) كاجورى ـ تاريخ الفيزيكس ـ ص ٢٢

(٢) شمس الدين الانصارى ـ إرشاد القاصد الى أسنى المقاصد ـ ص ١٠٩ ـ ١١٠

(٣) ابن أصيبعة ـ طبقات الاطباء ج ٢ ص ٩٣ ـ ٩٤

(٤) كتاب تراث الاسلام (Legacy of Islam) ص ٣٣٤

اسماعيل باشا صبرى

شيخ شعراء العصر

١٨٥٤ - ١٩٢٣ م

بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته

هل أتاك حديث اسماعيل ؟! فى اليوم السادس عشر من شهر فبراير لسنة ١٨٦١ - وقيل لسنة ١٨٥٤ وهو الأصح - أشرقت بمدينة القاهرة شمس حياة شيخ شعراء هـذا العصر اسماعيل باشا صبرى . وقد نشأ صبرى بين ربوع هذه المدينـة التى تعد ، باتفاق الآراء ، أفخم مدينـة تقوم على ضفاف نيلنا المبارك المحبوب .

وقد تغذت منـذ الصغر عواطف هذا الشاعر الفنـان بكل مافى منـاظر عروس الوادى « مصر » من ضروب المحاسن المتجددة ، وأنواع المشاهد الفنية والطبيعية الساحرة ، ولذا قد جاء شعره مصوغاً فى قوالب وأوضاع جديدة ، كلها الحسن ، وكلها الفن ، وكلها السحر !

لقد كان «صبرى» شغوفاً بنظم الشعر ، منذ أيام تلمذته الأولى ، وقبل أن يبلغ سن الرشد والادراك . وإن الذى عبد السبيل لهذا التلميذ الشاعر ، ومكنه من البروز فى ميدان الأدب ، هو وجود مجلة « روضة المدارس المصرية » التى أنشئت سنة ١٨٧٠ ، وكان يشترك فى تحريرها نخبة من رجال التعليم البارزين فى ذلك الأوان ؛ وبعضهم من خريجى الجامعات الأوربيـة كالأساتذة عبد الله فكرى ، ورفاعة رافع ؛ وحسين المرصفى الخ . وكان غرض أولئك المعلمين الأعلام المباشر من إصدار هذه المجلة « النصف شهرية » هو تهذيب أساليب فن الانشـاء العربى وترقيته ، لأن أنمـاط الكتابة وطرق التحرير ، كانت ركيكة فى وقتهم لم تستسغها أذواقهم السليمة . وإنى أود أن أتحف القارىء بنتفة من رسالة حكومية ، لكاتب تحرير من كتبة الديوان الخديوى فى عهد الحكم الاسماعيلى ؛ وهى موجهة إلى أحد أعيان البـلاد بمناسبة اعتماده عضواً فى مجلس شورى النواب (١) الذى كان يقوم مقام البرلمان اليوم . والمرجو ألا تضحك أيها القـارىء أو بالحرى تسأم عند قراءة هذه الأسجاع التى تورث الصداع !

قال الكاتب غفر الله له ورحم أيامه :

« إلى قدوة الوجود المعتمدين ، والأعيان المنتخبين ، زيد إقباله ودام كماله »

---

(١) هذا المجلس أسسه الخديوى اسماعيل سنة ١٨٦٦ م

« قد علم آل الوطن العزيز ، وفهم أهل الفطن والتمييز ... » إلى أن قال « وأنت قد صار انتخابك فى هذا العام لهذا الخصوص ، وصدق عليك القومسيون المخصوص ، بدلا عن « ؟ » أخيك المرتحل إلى ساحة المولى المليك ... » ، ثم يقول : « فأحرر هذا إليك إعلاماً بأنك ممن حاز شرف الامتياز بالعضوية فى ذلك المجلس ، مجلس شورى النواب الوطنية ، حسب ما تقرر فى اللائحة الانتخابية ، وكلكم أصحاب روية وأهلية ، وأرباب فطنة جبلية ، وكمال معرفة بالمصالح الداخلية والمنافع المحلية الخ الخ) .

فتأمل هذا الأسلوب السجعى المبتذل الذى لا فن فيه ولا جمال ، ووازن بينه وبين أسلوب كتاب اليوم المرسل السلس الذى يسيل رقة وحلاوة وجلاء ورصانة .

كان أولئك الأساتذة الذين أتينا على أسماء البعض منهم يقومون بمهمة تحرير هذه الصحيفة « روضة المدارس » ويحثون نجباء الطلبة على ممارسة الكتابة فيها ، وكانت المجلة تنشر بحوث الأساتذة محرريها المجددين ، ومقالات تلاميذهم جنباً إلى جنب ، حباً فى تشجيع النشء ، وترويضه على حب الأدب . وأنا أتمنى أن أرى « بكلية غردون بالخرطوم » مجلة كهذه تحبب إلى نفوس الطلبة أبناء بلادى السودانية ، التعلق بأذيال الأدب ، ومزاولة الانشاء العصرى الفنى ، ولقد كان عبدالله فكرى ورصفاؤه هم المصابيح التى استنارت بها العقول فى فجر نهضة الشرق العلمية والأدبية والفنية .

وفى سنة ١٨٧٨ م احتجبت مجلة « روضة المدارس » بعد أن عاشت ثمانى سنوات أسدت فى خلالها أبيض الأيادى للأدب وخدمت شعراء مصر الناشئين خدمة جليلة تستحق الذكر وتستوجب الشكر .

وقد نشرت مجلة « روضة المدارس » فى بداية أعوامها قصيدة مرفوعة إلى عزيز البلاد إسماعيل باشا ، موقعة بامضاء طالب صغير بالمدارس الثانوية يهنئه فيها بالعيد ، وعمر هذا الطالب ستة عشر عاماً . وأما اسمه فاسماعيل صبرى ، وأنا أكتفى بإيراد بعض ما جاء فى هذه القصيدة من الغزل . قال شاعرنا التلميذ :

سفرت فلاح لنا هلال سعود ... ونما الغرام بقلبى المعمود
ورنت بأحور طرفها وتبسمت ... فبدا ضياء اللؤلوء المنضود
يا ربة الطرف الكحيل تعطفى ... وعلى محبك بالمودة جودى
واستأنفى موصول عائد أنسنا ... فالقرب عيدى والبعاد وعيدى
دع ياعذول ملامتى فى غادة ... هيفاء قد فاقت جميع الغيد

عربية لو واجهت بدر الدجى ليلا لقال البدر : تم سعودى
والله لولا الله بارىء حسنها لجمالها الزاهى جعلت سجودى
قسماً بنور جبينها وبخالها وسواد عين واحمرار خدود
وبقوس حاجبها وسهم لحاظها وبخصرها وقوامها والجيد
ليطيب لى فى حبها ذلى كما فى مدح «إسماعيل» لذ نشيدى
سمح تراه إذا حللت بسوحه أبداً يحن إلى خصال الجود !!

ولئن قال قائل : إن هذه الأبيات خالية من روح التجديد والابتداع ، وإن هى ألا محاكاة ليس إلا لطريقة صفى الدين الحلى ، وابن معتوق الموسوى وسواهما من الشعراء الذين تفوقوا على غيرهم بالمقدرة على نظم بهرج الألفاظ دون الالتفات إلى سمو المعانى وجودتها، فانى أقول لهذا القائل إن قوانين النقد العادلة لا تستبيح التعرض أو التعدى على آثار تلميذ صغير مازال فى مستهل حياته الأدبية ، ثم إنى أرى أن هذه الأبيات على علاتها ، تعد نفحة من نفحات الرحمن ،ولاسيما فى ذلك العهد الذى انطفأ فيه نبراس البيان العربى، وتدهورت ملكة اللغة إلى أسفل الادراك حتى إن الجمهور كان يطلق لقب أديب أو أدباتى على مثل هذا الشاعر المهرج المستجدى القائل :

أنا الأديب الأدباتى ألم عيش تحت باطاتى
وأودى عيشى لمراتى حلوه قوى ست النسوان

فيجيبه مناظره مفتخراً مرفوع الرأس منتفخ الأوداج قائلا :

أنا أديب أأدب منك ألم عيش أكتر منك
جاتك رصاصة فى ودنك تعلمك شرب الدخان

شرم برم حالى غلبان !

وقبل الاسترسال فى استعراض سيرة الرجل أفضل أن أقف بالقارىء هناهنيهة لأقول له : إن «صبرى» لم يكن هو أول شاعر عصرى أنهض فن الشعر حديثاً من كبوته،وإنما الذى أنهضه وأعاده إلى ما كان عليه من جودة اللفظ فى العصور الخوالى هو البارودى[1]؛ ولكن البارودى مع رصانة شعره ومتانة قوافيه ، كان قديماً فى معانيه وفى فهمه للحياة أكثر من القدماء أنفسهم ، وقد ظل البارودى لابساً ثوب الممثل العبقرى ، أو المقلد للشعر القديم إلى أن انتهت فصول رواية حياته وأسدل عليها الستار بين مظاهر الاستحسان والاعجاب ، وهو بخلاف

(١) ولد البارودى سنة ١٨٤٠ م . وتوفى سنة ١٩٠٤

«صبرى» الذى عند مادخلت شاعريته فى طور النضوج، نفض عن الشعر العصرى غبار الاحتذاء والتقليد، وصار شعره يسير حاملا شعاره الحديث الخاص، ويمكننى أن أقول إن البارودى كان أباً لنهضة الشعر العصرى، وإن «صبرى» هو الذى غذاها بحصافة فكره وتعهدها بالتربية والتهذيب، كما سيمر بك عند الكلام عن اتخاذ شعراء العصر «صبرى» أستاذاً لهم، يعرضون عليه أشعارهم قبل إذاعتها.

وإنى قد وجدت حتى فيلسوف شعراء هذا العصر!! أستاذنا العقاد يشاركنى إعجابى بصبرى، فاسمعه يقول: «ولم يتفق لى أن أحادث هذا الشاعر «صبرى» قط، ولا اجتمعت به فى مجلس للكلام، ولكنى سمعت الكثير من آرائه وملاحظاته التى تنبىء عن شاعرية صحيحة وذوق جيد، وفطنة فنية فائقة، وأعجبنى من هذه الملاحظات خاصة، ازدراؤه على التشبيه بالزبرجد والياقوت والمرجان وبقية تلك الجواهر التى كلف المتأخرون بذكرها فى أشعارهم، ثم كراهيته للاكثار من: كأن وكأنما، رغبة منه فى أن يكون التشبيه محسوساً بالفكر لاملفوظاً باللسان!! وهذه صحة ذوق يزيدها فى القيمة أن الشاعر نبه إليها قبل أربعين سنة أو نحو ذلك، أى فى الوقت الذى كانت جودة التشبيه فيه تقاس بنفاسة المشبه به، وكان الرأى الغالب بين الأدباء أن ابن المعتز أبرع المشبهين، لأنه كان يذكر الذهب والفضة والغالية فى شعره».

ولأعد بك أيها القارىء مسرعاً إلى ما كنت عليه من استعراض سيرة حياة شيخ الشعراء، خشية أن يتسرب الملال إلى نفسك من إطالة الوقوف، وإن كنت لا أعتقد أن فى الوقوف على مثل هذه المعلومات مايجعل النفوس تشعر بشىء من الملال بل بالعكس.

لم أقف فى المراجع التى بين يدى على شىء من تاريخ الأسرة الصبرية، ويلوح لى أن أسرة «صبرى» لم تكن ذات شهرة أو مكانة ملحوظة بين الأسر المصرية التى تمت إلى علو الشأن بنسب عريق، وإنما صبرى هو أول من ذاع صيته فى الافاق وملأت شهرته الأفواه والأسماع، دون بقية أفراد أسرته، وتستطيع أن تستنتج ذلك من هذه الأبيات الواردة فى مرثية شوقى لصبرى:

إن فاته نسب «الرضى» فربما ... جرياً لغاية سؤدد وطراف
أو كان دون «أبى الرضى» أبوة ... فلقد أعاد بيان عبد مناف
شرف العصاميين صنع نفوسهم ... من ذا يقيس بهم بنى الأشراف؟
قل للمشير إلى أبيه وجده ... أعلمت للقمرين من أسلاف؟

أودع القارىء هنا، على زعم أن ألتقى به فى العدد القادم لتتمة البحث؟

أم درمان [سودان] المبارك ابراهيم

التعليم فى روسيا

— ١ —

لسنا نعرف عن البلاد الروسية حقيقة يمكن الركون إليها والاعتماد عليها ، فقد وقفت منها الصحف فى جميع أقطار العالم موقفاً مضطرباً متناقضاً ، بعضها يستحسن كل ما تمخض عنه الانقلاب الروسى ويبالغ فى هذا الاستحسان ، والبعض الآخر يستهجنه ويسرف فى هذا الاستهجان ، وكلا الطرفين متهوس متهور يخدم مبدأ لا حقيقة ، وينتصر لرأى لا لواقع ، فليست بلاد (تولستوى) فردوساً أرضياً كما يصوره الفريق الأول ، وليست جحيما مستعراً كما يصوره الفريق الثانى ، وإنما هى بلاد شهدت تطوراً ترك فيها ما يتركه عادة كل تطور فى التاريخ من حسنات وسيئات .

إلا أنا إذا كنا نجهل كل شىء عن البلاد الروسية من حيث أنظمتها السياسية والاقتصادية والقانونية ، فنحن أقل جهلا ببعض أنظمتها الاجتماعية ، ولا سيما العلمية منها والأدبية ؛ بل نحن نكاد نكون على يقين من أنا لا نجهل من أنظمتها التعليمية أمراً له أهمية كبيرة أو صغيرة ، لأنا نعتمد فى بحثنا هذا على مصادر نثق بها ونطمئن إليها .

— ٢ —

نعود إلى الماضى قليلا ، وننقل لك جملة واحدة من حاشية مطولة ذيل بها اسكندر الثالث تقريراً رفعه إليه أحد وزرائه عن حالة الروسيين وحياتهم وهى : « والمصيبة أن الفلاحين يرسلون أولادهم إلى المدارس ! ! ! » . . .

وهذه المصيبة لم يدخر جهداً لدرئها ومقاومتها ، حتى إنه لم يتردد عن الايعاز إلى وزرائه بوجوب استئصال التعليم من القرى والأرياف . . .

وتكر الأعوام ، وإذا رجل يخطب فى مئات الألوف من الروسيين قائلا : « نحن نفتقر إلى أشياء ثلاثة : إلى العلم أولا ، وإلى العلم ثانياً ، وإلى العلم مرة ثالثة !!! »

لقد جربت الأمة الروسية تطبيق « النظرية » الأولى ، فلم ترتح إلى النتائج التى صارت إليها البلاد فيما أعتقد ؛ ولهذا فانها لم تسمع تلك الخطبة ، حتى هبت تطلب العلم أولا وثانياً وثالثاً ورابعاً ... فأنشأت المدارس فى المدن وفى القرى ، وبثتها فى جميع أنحاء روسيا ،

وجهزتها بما تحتاج إليـه من أدوات وأسباب ! وطفقت تسوق الأحداث والأطفال إليها عشرات عشرات ، وربما كانت تسوقهم مئات مئات !!!

ولعل أظهر ميزات هذا العهد ، أن الأمة الروسية لم تقصر العلم على طبقة من الطبقات ، كما فعل اسكندر الثالث ، بل عممته عليها جميعاً ، وحثت العمال وأبناء العمال على ارتياد مناهل العلم والتشبع بروحه ، فأظهروا جلداً تقصر عنه سائر الطبقات ، وأظهروا تفوقاً قد لا يتوفر عند غيرهم ، لسلامة أنسالهم من جهة ، ولاعتيادهم على الجد والمثابرة من جهة ثانية .

— ٣ —

وقد يكون فى بيان بعض الأرقام فائدة ، وقد تكون هذه الفائدة حقيقية لأنهـا تستند إلى سجلات رسمية يمكن مراجعتها عند اللزوم، وأول مايلفت الأنظار ويدل على مبلغ العناية التى تصرفها روسيا لنشر العلم بين أبنائها ، أنها تخصص عشرين فى المـائة من مجموع ميزانيتها لمصلحة المعارف ، وهذا المبلغ عظيم جداً ، إذا قيس بمثله عنـد كثير من الأمم الغربيـة ، ولاسيما تلك التى تقطن فى شرقى أوربا ،وحسبك أن تعلم أنها تصرف على التعليم الابتدائى وحده أربعة مليارات روبل ! ! !

وتفيد الاحصاءات الرسمية أنه كان فى روسيا عام ١٩١٤ زهاء ثمانية ملايين تلميذاً فقط وأنهم يربون اليوم على أربعة عشر مليوناً .

وهذا الفرق العظيم ناشىء بعضه عن ازدياد عدد المتعلمات بين الروسيات ، فقد كانت نسبة عدد المتعلمات ٢ ٪ عند ما وضعت الحروب الـكونية أوزارها ، أما اليوم فقـد أصبحت نسبة النساء غير المتعلمات لاتزيد على ٨ ٪ .

ومع أن هذا البون الشاسع ، يكاد لا يصدق ، فهو يعبر عن حقيقة تؤيدها الاحصاءات الدقيقة المنقولة عن السجلات الرسمية ، وربما كان صادقاً ذلك الـكاتب الأوروبى الذى كتب بعد أن زار البد الروسية يقول : « هناك تشاهدون إلى جانب كل معمل مدرسة ، وهناك تستطيعون أن ترجعوا إلى النساء فيما لانستطيع هنا أن نرجع فيه إلى غير الرجال ... »

ولا أذكر اسم هذا الـكاتب ، كما لا أذكر جنسيته ، ولـكنى أذكر قوله وأحفظ له هذه الجملة وليست هى الوحيدة من نوعها .

— ٤ —

وللتعليم فى روسيا قواعد منظمة ، لايجوز لمعهد أو لمعلم أن يحيد عنها قيد شعرة ، فهو بجد هذه الجهة مقيد إلى غير حد ، والتعليم فى اعتقادى لايثمر ولا يزهر إلا إذا كان حراً

مطلق الحرية ، ومن أظهر هذه القيود وأثقلها أن المعلم لا يستطيع أن يقرر مذهباً علمياً يعتقد بصحته إذا لم تكن الحكومة قد أقرته ، وربما عرض المعلم نفسه لأشد العقوبات إذا هو لمح بشيء من ذلك أو عرض له بالبحث ولو كان بالنقد .

وتبذل روسيا جهدها لتجعل المدارس بدرجاتها الثلاث (الابتدائية والثانوية والعالية) فى متناول جميع الطبقات ، وتريد أن ترفق التعليم النظرى بالتطبيق العملى حتى يرسخ العلم فى الأذهان ، ويكون للطالب فى المشاهدة بعض التسلية المفيدة ، وليس أفعل من المشاهدة فى نفس الطالب كما يقرر علماء البيداجوجيا .

ولا تقصر العلم على أبنائها فقط ، بل تفتح أبواب مدارسها على مصراعيها للأجانب أيضاً الذين يقطنون بلادها ، وتجيز التعليم بكل لغة ، خلافاً لما كان معروفاً عنها فى العهد السابق ، فإنها لم تكن تجيز التعليم بلغة غير اللغة الروسية ، وهذا التسامح لم يك لينتظر من بلاد تحاول أن تجعل كل ما فى روسيا روسياً ، كما تحاول اليوم تركيا أن تجعل كل ما فيها تركياً ، مع الاحتفاظ بالفروق التى تميز المحاولة الأولى عن المحاولة الثانية . من حيث الطريقة وحرمة الحريات الشخصية والعامة والحدود . . .

— ٥ —

وربما كان من المستحسن أن نشير هنا إلى ظاهرة قوية ، تبدو فى أنظمة التعليم واضحة جلية ؛ فإن الروسيين يعهدون بتربية الأحداث فى المدارس الابتدائية إلى رجال محنكين مال الشباب بهم عن طرقه ولوى عنهم أعنته ، وقد يروقك أن ترى معلمى المدارس الثانوية والعالية كلهم من الشبان الذين لم يتموا العقد الثالث من حياتهم ، وإنما يدرجون على أعتابه ويمرحون فى أيامه . وهذه نظرية طالما نصح بها المفكرون والفلاسفة ، وأحسنوا بيان فوائدها فلم يصغ إليهم أحد خشية المخاطرة والمجازفة بمصالح الأمة الحيوية .

وما نعلمه عن روسيا لا يساعدنا على أن نحكم بهذا الصدد حكما وجيهاً ، وربما كانت المدة التى جربت روسيا تطبيق هذه النظرية خلالها لم تصبح بعد من الطول ، بحيث يمكن الاستناد فى الحكم إليها ! وربما كنا نحتاج إلى ضعف هذه المدة ؛ وإلى ضعف هذا الضعف لنصل إلى اليوم الذى نستطيع فيه أن نحكم على هذه النظرية بالصلاح أو الفساد .

على أنا ، مع هذه التحفظات وبالاستناد إلى ما نعلمه عن أرقى البلاد الأوروبية ، نستطيع — منذ اليوم — أن نتنبأ عن نجاحها ! لأن تسليم زمام الأمور ؛ ولا سيما زمام التعليم ، إلى الشبان ، أمر يقره العقل ويؤيده المنطق ؛ لأن الشاب إذا نقصته خبرة الكهل أو العجوز فإن لديه من النشاط والعزم والإقدام ما يعوضه الخبرة ويفوقها ، وما لا يمكن أن نرى ظلاله عند الكهل أو الشيخ .

— ٦ —

وأنت إذا دخلت مدرسة في روسيا حسبت نفسك في معمل ! إذ تجد فيها الآلات الميكانيكية على اختلافها ، وتجد الطلاب منهمكين في إدارة بعضها والاشتغال بها تحت إرشاد الأساتذة وتدريبهم .

ويروقك أن تطلع على أساليب التعلم فيها ، فهي أحدث ما نعرفه منها ! وربما كان من الخير أن نذكر لك بعضها ولا سيما ما يتعلق بتعليم الجغرافيا والتاريخ ، فالجغرافيا درس ممتع لذيذ ، وهو أكثر ما يكون لذة وإمتاعاً إذا قرن تدريسه النظري بالتطبيقات العملية. لنفرض أنهم يدرسون مصر الاقتصادية ، فإن الطالب ليشاهد خريطة مصر الاقتصادية تغطي الجدار المقابل له من أوله إلى آخره ، ويرى في كل بقعة جزءاً من المادة التي تكثر فيها ، فهو يبصر قطناً عادياً في النواحي التي يكثر فيها القطن ، ويبصر ملحاً في النواحي التي يكثر فيها الملح ، وهكذا يكتفي الطالب بالقاء نظره على الخريطة ليعرف ما تنتجه مصر ؛ وصورة كهذه لا تمحى بسهولة ولا تنسى بسرعة .

أما دروس التاريخ . فهي غير الدروس التي يتلقاها الطلاب في جميع أقطار العالم ، لأن الروسيين لا يعيرون أقل أهمية أسماء الملوك والفاتحين ، وقد يمرون بها مر البرق الخاطف ، ولا يكترثون بالحروب وتفاصيلها ، وإنما همهم الأوحد أن يرسموا في أذهان الطلاب صورة واضحة لمختلف التطورات التي طرأت على البشرية منذ فجر التاريخ حتى اليوم .

وهم يعنون عناية فائقة بالرياضة البدنية ، ويعيدون على طلابهم ، في غير سأم ولا ملل ، العقل الصحيح في الجسم الصحيح !!!

ولعل من الحق أن نعترف أن روسيا في طليعة الأمم التي تعنى بالرياضة البدنية عناية عظيمة ؛ ولا تخلو مدرسة أو تكاد لا تخلو مدرسة من الآلات الجمناستيكية على اختلاف أنواعها وأجناسها .

— ٧ —

وأما سلطة المعلم فمحدودة من جميع جهاتها ، من حيث الدروس التي يلقيها ، والنظريات التي يلقنها ، والمذاهب التي يقررها ، والحوادث التي يرويها ، وسلطته محدودة أيضاً من حيث علاقاته مع الطلاب ، فهو مضطر لأن يأخذ تلاميذه بالرقة واللطف لا بالقسوة والعنف ؛ ولا حق له في ضرب تلميذ ولا في تأنيبه ، أياً كان ذنبه ، وإنما يعهد بذلك كله إلى مجلس يؤلفه الطلاب ، ويسمى « مجلس الطلاب » ؛ ولا يحق لمجلس المعلمين أو مجلس المعارف أن يقرر شيئاً يتعلق بالتعليم قبل أن يأخذ رأي مجلس الطلاب ، أو يستشير مندوبيه .

ولكل مدرسة مجلس يتألف من المعلمين وأولياء أمور التلاميذ، يجتمع فى أوقات معينة وظروف خاصة للتداول فى شؤون الطلاب وبيان ملاحظاتهم .

ولا يستطيع المعلم أن يعطى درساً جديداً ما لم يفهمه الصف كله ، ويحق لكل تلميذ أن يطلب من المعلم إعادة الدرس مرات ومرات حتى يهضمه تماماً ، ولا تتبع روسيا نظام الامتحانات لترفيع الطلاب ومنحهم الشهادات كما هو جار فى جميع أقطاب الدنيا ، وإنما يعهد إلى كل معلم بترفيع الطلاب الذين يراهم جديرين بذلك .

ولا يقبل الطلاب ضعيفو البنية فى المدارس العادية ، بل يرسلون إلى مدارس خاصة بنيت فى الضواحى ، بحيث يأخذ الطالب نصيبه من الشمس والهواء الطلق ، وأما الطلاب الكبار فانهم يتعلمون يوماً ويشتغلون يوماً ، ولهم نوادٍ عديدة تلقى فيها الخطب فى أوقات معينة ، وأيام مخصوصة ، ولهم جرائد تنطق بلسانهم وتدافع عنهم ، ولهم دور سينما لا يعرض فيها من (الأفلام) إلا ما يساعد المعلم على تربية أخلاقهم ، وكثيراً ما يستعين المعلمون بهذه الدور فى شرح دروسهم ، ولا سيما دروس التاريخ وعلم وظائف الأعضاء وقسم من دروس الجغرافيا والطبيعيات .

— ٨ —

وليس فى روسيا مدارس للتخصص فى فرع من الفروع ، بالمعنى الذى نفهمه ، إلا فى المدارس العالية ، فهى إذاً تتبع فى برامج المدارس الابتدائيه والثانوية النظام المتبع فى جميع أنحاء الكون ، وهو ذلك النظام الذى يريد أن يجعل الطلاب يلمون بكل العلوم دون التبحر فى واحد منها .

إلا أن هنالك فروقاً بينة فى التطبيق ، فبينما روسيا توجه أعظم عنايتها ، إن لم نقل كل عنايتها، إلى الطريقة العملية ، إذ بأوروبا بأسرها (إلا القليل) لا تعيرها إلا قسما ضئيلا من اهتمامها ، وهذا الفرق هو الذى يفسر لنا التفاوت الذى نجده بين عقلية الروسى وطريقة تفكيره ، وبين عقلية سائر الأمم الأوربية وطرق تفكيرها .

ويكاد الاهتمام يكون مقصوراً فى المدارس العالية على الطب والهندسة ، وليس لمعاهد الحقوق فى روسيا ذلك الشأن الذى نجده فى فرنسا أو ألمانيا مثلا ، ولعل سبب ذلك نستطيع أن نتلمسه فى طبيعة الروسيين وهدفهم وطريقة فهمهم الحياة .

[حلب] ايزاك شموش

البيت الكسير الفؤاد

« لبرنارد شـو »

البيت الكسير الفؤاد هو اسم لأوربا قبل الحرب العظمى كما أنه اسم لهذه القصة ، ولعلك فطنت إلى الباعث على هذه التسمية، بل لعل ذهنك قد توجه إلى الناحية التى أراد المؤلف أن يتوجه إليها بتصويره وتحليله . ولقد عالج نفس الموضوع كثير من الكتاب واختلفوا فى تصويره اختلافهم فى التغاير والشعور ، واختلافهم فى المزاج ما بين متفائل ومتشائم . والذى يبدو ــ بعد تلاوة فصول هذه القصة ــ أن المؤلف متفائل بالرغم من تقززه من الواقع وسخطه عليه ونيله منه بالسخرية والتهكم ، لأن السفينة وصلت إلى بر السلامة ناجية من سيل الصواعق المنصب عليهـا .

* * *

فى حجرة ما ، على صورة مؤخر سفينة قديمة جلست الآنسة إيلى تطالع كتاباً لشكسبير لتصد عن نفسها مضض الانتظار ، وهى مدعوة من صاحبة البيت ، ولكنها لم تجد إنساناً فى استقبالها ولا خادماً يحمل حقائبها، فاضطرت للانتظار تخفف وطأته بالمطالعة ، وأخيراً يدخل الكابتن شوتوفر وهو صاحب البيت ووالد هسيون التى دعت إيلى لزيارتها ، وقد كان بحاراً ثم هجر البحر ليعيش مع ابنته وزوجها . وهو متقدم فى السن شاذ الطباع ، فيستقبل الفتاة استقبالا غريباً، فاذا ما سمع باسم أبيها (مازينى دن) وهى تعرفه بنفسها، ظنه ذلك القرصان الذى سرقه قديماً، وعبثاً حاولت الفتاة أن تقنعه بطهارة قلب أبيها وشرف نفسه .

وهنا تدخل لادى اترورد وهى الابنة الثانية للكابتن ، عائدة للبيت بعد غياب دام بضعة وعشرون عاماً أى من ساعة زواجها، وتظهر استياءها ولا تخفى ألمها من ذلك الإهمال . إذ كيف لا يحدث خبر قدومها أى حدث فى ذلك البيت العجيب ؟... أين أختها الشقيقة لتقبلها وتطفىء بطلعتها لوعة الشوق ؟ بل ما بال أبيها يقف جامداً أمامها وينكرهـا ؟ وتتملكها الحيرة إذ يتجاهلها أبوها ويسح الدمع من عينيها ، ثم تدخل هسيون وتقبل على إيلى متهللة تقبلها وتعتذر لها عن غيابها بأنها كانت نائمة ! ثم تنظر إلى أختها وتتساءل من هذه ؟ ويضيق صدر أختها وتظهر لها شخصيتها وهى تتعجب من البيت الذى لاذت بزوجها منه وعادت إليه بعد هذه السنين ، فاذا هو واحد واحد فى شذوذه واضطرابه، فى غرابة أطوار أصحابه وخدامه، ولكن أختها لا تحفل بكل ذلك فتقابلها مقابلة باردة حتى إنها تضن عليها بقبلة لأنها لا تطيق

رائحة البودرة، هنا يحضر (مازيني دن) أبو إيلي ويعلم شوتوفر أنه ليس القرصان الذي سرقه، ويحضر مانجان خطيب إيلي، وهو من رجال الأعمال الكبار إلا أنه متقدم في السن.

وتختلي مسز هاشاباي هسيون بايلي، ويدور بينهما حديث حول زواج الفتاة بمانجان، فاذا مسز هاشاباي تستنكره وتعجب له، وتدفع الأخرى اتهامات صديقتها قائلة: إن مانجان له أكبر الفضل على والدها لأنه أنقذه من الخراب، وتتدرج الأخرى متطفلة على أسرار الفتاة حتى تكاد تثير غضبها، ولكن الالحاح الشديد يكتسح عناد الفتاة فترفع الستر عن قلبها وتصرح بأنها تعرف شاباً تعجب به وتحب قصصه التي يلخص فيها مخاطراته، وهنا تسألها مسز هاشاباي « هل تحبينه ؟ »

إيلي « أوه! كلا لست حمقاء، إني لا أقع في حب إنسان، لست حمقاء كما تظنين »

مسز هاشاباي « إني لا أراه إلا شيئاً تفكرين فيه، يجلب لنفسك مسرة وغبطة ؟ »

إيلي « أهذا كل ما هنالك ؟ »

مسز هاشاباي « شيء يجعل الساعات تمر سراعاً أليس كذلك ؟ فلا يكون ثمة انتظار ممل قبل الاستسلام للنوم، ولا تهيب من أن تكون ليلتك منغصة ؟ ثم إنه كيف يسبغ على اليقظة في الصباح جمالا ؟ كيف يفوق هذا الجمال أسعد الأحلام ؟ لقد تغيرت الحياة برمتها، فلم تعد هنالك حاجة لقراءة كتاب شائق لأن الحياة بما تفيض به من ينابيع السعادة تزري بسعادة أي كتاب، وانعدمت كل رغبة إلا الرغبة في الانفراد حيث لا تتحدثين إلى إنسان، فتبقين منفردة وتفكرين فيه » ، فتستخف إيلي حديث صديقتها وتدعوها ساحرة لاهتدائها إلى خفايا نفسها.

وبينما هما في حديثهما يدخل رجل متقدم في السن إلا أنه جميل فاتن، فتدهش إيلي إذ ترى فيه صاحبها راوية المخاطرات التي فتنتها، وتعرف فيه هسيون زوجها العتيد هكتور هاشاباي ! على أن الغيرة لا تسممها لأنها تؤمن بزوجها وبسلطانه وتقيم العذر من نفسها لأي امرأة تقع في شراكه . . . ولا يعبأ هكتور بالفتاة التي كذب عليها في قصصه الوهمية، ويغازل لادي اترورد ويكاد يفتن بها، أما إيلي فتنطلق مع نفسها في أجواء التفكير الحزين ، ويدفعها انكسار قلبها إلى اتهام هكتور، ولكن زوجته تدافع عنه، فهو شجاع إلا أنه يخترع من الحوادث الجليل الخطر ويضيف لنفسه ما لم يفعل.

ويحضر (مازيني دن) والد إيلي مصطحباً صديقه مانجان وخطيب ابنته، فتهرع إيلي إلى الكابتن شوتوفر وتقدم له والدها ليستوثق من أنه ليس ذلك اللص الذي ظن، ويقتنع الرجل العجوز، ولما يختلي بمانجان يدخل معه في محاورة قصيرة صريحة.

شوتوفر « هل أنت مقدم على زواج ابنة دن ؟ إنك متقدم في السن »

مانجان « حسناً ... إنه لخطأ جميل أيها الكابتن »

شوتوفر « بل هذا حقيقى »

مانجان « هى لا تظن ذلك »

شوتوفر « بل تظنه »

مانجان « إن رجالا أطعن منى فى السن . . . . »

شوتوفر [مقاطعاً ومتمما لحديث الآخر] « . . . . . تقع منهم المهازل . . . هذا حقيقى أيضاً . . . ! »

مانجان « لا أحسب أن هذا مما يعنيك »

شوتوفر « بل هذا مما يعنى كل إنسان . . . إن النجوم فى أفلاكها لتضطرب لوقوع أمثال هذه الحوادث ؛ ويغيبان مفترقين ،ويدخل الكابتن فجأة فيلقى ابنتهمسز هاشاباى مع راندال شقيق زوج أختها الضيفة، ويراه وهو يقبلها ، ولما يهم الفتى بانتحال العذرلا يحفل الآخر به ولا بعذره ، ففى مثل سنه لا يعبأ الانسان بمعرفة اسم جديد ؛ أما ابنته فالجميع يقبلونها ، فلا محل للاعتذار !

ثم يلتقى هكتور بزوجه وإذا به مرتعد من عاطفة يحسها نحو أخت زوجه، وهولا يخفى عليها ذلك ؛ وهى من جانبها تتمنى له التوفيق وتتركه لتفتن إنساناً ما . . ويسألها هل تعنى راندال ؟ وتجيبه أنها تعنى مانجان لأنها أجدر به من إيلى ، وتتركه وحده حتى يدخل عليه الكابتن - والكابتن فى حيرة دائمة لأنه كما لم تذكر مخترع - وهو يحاول أن يكتشف شعاعاً نفسياً يلهب كل المفرقعات بقوة عليا ! ولهذا فهو يثابر على العمل . . . وعنده كمية وافرة من الديناميت فى حفرة فى الحديقة ، وقد سأله هكتور :

« لماذا الديناميت ؟ »

شوتوفر « لأقتل أمثال مانجان » ، ولكن الآخر يدخل على قلبه اليأس من أمله ، فأمثال مانجان أقدر على شراء كميات من الديناميت أضعاف ما يحرز الكابتن ، ولذا يقول الآخر متحيراً :

شوتوفر « إذاً ماذا نصنع ؟ أنظل قابعين فى الطين بفعل هؤلاء الخنازير الذين يحسبون أن الدنيا ليست إلا عدة لحشو خراطيمهم ؟ » . هنالك تعود مسز هاشاباى وتتحدث إلى أبيها قليلا ،وتطلب مالا ،لأن المال الذى يربحه من مخترعاته السلمية على جسامته لايفى بحاجتها؛ فهل له أن يخترع آلة تهلك نصف أوربا ؟ ... ويخرجون جميعاً إلى الحديقة ليجلسوا إلى الزوار بعد أن اطمأنت السيدة إلى أن أباها سوف يخترع لها ما يغمرها بربحه . . . ويرى هكتور أن

شو توفرجالساً إلى مائدته فى شبه ظلام فيقترح عليه أن يصوب نحوه نوراً فيجيبه « كلا ... هبنى ظلاما أعمق . . لأن المال لا يصنع . . . فى النور »

* * *

يبدأ الفصل الثانى بحوار طويل بين (مانجان) و (إيلى) خطيبته، وموضوعه خطبتهما ، فهو يتلهف على استكناه لواعج قلبها، وهى تصارحه بأنهما يصلحان لتكوين أسرة وإن لم يفلحا فى أن يكونا (روميو) و (جولييت) ،فيقول الرجل فى نفسه لعلها متأثرة بما تظننى قد أسديته لأبيها من جميل ، ويجمع أشتات عقله ويفضى إليها بدخيلة نفسه ويقنعها بالحقيقة، وهى أنه لم يمد يد المعونة لأبيها وإنما استعمله فى أغراضه المالية وتركه يتوهم أنه يسنده وينقذه من بين مخالب الخراب ، والحق أنه هو الذى تركه يهوى لأعماق الخراب ، فهل تقبل الزواج منه بعد ذلك ؟ ولشد ماتكون دهشته عظيمة عند ما توافق قائلة : إن أمها رضيت أن تتزوج من رجل شريف وفقير،نظيف اليد والجيب،وإنها لاترغب أن تنهج نهج أمها!... وهنا يسألها:

« هبى أنى أنبأتك بما كان من وقوعى فى حب امرأة أخرى ؟ »

إيلى « هب أنى أنبأتك بما كان من وقوعى فى حب رجل آخر ؟ »

ما نجان (غاضباً) « لست أهذر »

إيلى « ومن أدراك أنى أهذر ؟ »

مانجان « اعلمى أنى جاد فيما أقول ، إنك لأصغر من أن تكونى رزينة ، والأحرى بك أن تصدقينى ، أنا أرغب فى أن أكون بجانب صديقتك مسز هاشاباى ... أنا مغرم بها.. »

إيلى « أنا أرغب فى أن أكون بجانب صديقك مستر هاشاباى ... أنامغرمة به. . . »

ورغم كل ذلك تطالبه بالزواج فيرفض فتهدده بأنها ستمنع تزاوره لمسز هاشاباى لو استهان بعهده وخطبته . وفيما هما يتحدثان تسلط عليه من عينيها ما يبعث النوم إلى جفونه ، فينام وتخرج هى ويدخل مازينى دن ومسز هاشاباى ،ويتحيران فى إيقاظ مانجان،ويرسل الأب فى طلب ابنته لأنه رجح أن تكون هى التى استهوته.

وهنا تتحدث مسز هاشاباى إلى مازينى معاتبة إياه : كيف يسمح أن تتزوج ابنته من مثل هذا الرجل الملق الذى لايعرف فى الوجود غير عبادة المال وامتصاص الدماء البائسة فى سبيل أطماعه ؟ . فيصارحها بأنه يؤثر ذلك على أن يسلمها ليد من يحبها .ويعجز عن توفير الراحة لها ... ويغيب الرجل وترجع إيلى . . . وتشتبك فى حديث مع مضيفتها ؛ ولكنه حديث حار تنفثه كل منهما من صدر سودته الاحن والغيرة ، ولكن يرق ويهدأ فتفهم هسيون من إيلى

أن هذه تسعى وراء المال مادامت قد خسرت الحب ، وأنها تزهد فى الشبان والأغنياء لأنهم يجدون السبيل ممهداً للتخلص من زوجة ملوها بخلاف أمثال مانجان . . . ويشتد الخلاف بينهما ثانياً لأن هسيون ترميها بعبادة المادة والقسوة والجرى وراء جشعها، وتسألها هسيون ماذا تفعلين لو تصارعنا ؟ وتجيبها الأخرى بأنها لن تتردد عن شدها من شعرها، وكم تكون دهشتها مذهلة عندما تعلن لها الأخرى بأنها تخلع شعرها كل مساء ... ذلك الشعر الجميل مزيف !

وهنا يستيقظ مانجان ويفاجئهما بأنه كان فى نومه يسمع مايدور، وقد عرف ما فى نفس كل منهما نحوه، ويحدث أن يقع بين أيديهم لص كان يحاول سرقة جواهر لادى اترورد ،ويقول اللص للادى : هل تستطيعين أن تخلصينى من السجن مدى العشر سنوات التى سيحكم على بها ، حيث رددت إليك جواهرك ؟ وهنا يتمعضون من فكرة عقاب اللص ويهدد هو بتسليم نفسه لاراحة ضميره إلا إذا عرضوا عليه ذلك ... فيقبل طلبه وهو العفو .

ننتقل الآن إلى هكتور ولادى اترورد وراندال ...فبين الرجلين نزاع سببه ما يكتوى به قلب راندال من نيران الغيرة ، ولكن لادى اترورد لاترتاح لأسلوب راندال ، فتعنفه حتى تتفجر الدموع من عينيه ... فيرق له هكتور ويعزيه بالكلام على سحر زوجه وأختها ، ويرفع يديه إلى السماء مستعيذاً بالله من النساء!

* * *

الفصل الثالث : نحن الآن فى الحديقة وجميع من مر علينا من الأشخاص جالسون يتحدثون وتتطوح بهم الأحاديث ، وكان بيت الكابتن من المواضيع التى أثارت جدلا عنيفاً واستحقت الالتفات إليها ، ولم يشك أحد منهم فى أن البيت غير متزن ، وكان من رأى لادى اترورد أن الجياد تصلح من شأنه،فانه ما من بيت كريم إلاوكان الاصطبل من أثبت دعائمه. لاقى هذا القول القبول من الكابتن شاتوفر وقد استشهد بالسفينة التى مضى على ظهرها زهرة شبابه وقدأفادته فائدة عظمى، والجواد — فى نظره — سفينة البر...ثم يتطور الحديث حتى يصبح مانجان وزواجه من مواضيعه، ويرتاع الرجل لذلك ويحتج ولكن دون جدوى بل يبلغ الأمر بلادى اترورد أن تسأله عن مقدار ماله وتلح فى ذلك .. حتى يجيبها بأنه لامال له !.. ويبدو الجواب مضحكا غريباً، ولكنه يصر على أنه حقيقة بعيدة عن الشك ، وشرح ذلك أن أصحاب رءوس الأموال يمدونه بالمال، وهو يسخر فى عمله أمثال مازينى من السذج! ويعود الحديث ليقف هنيهة أمام شعر لادى اترورد المصبوغ ! ويدهش مانجان لأنه كان

يعجب بهذا الشعر أيما إعجاب .. ويقوم كمن أصيب بمس، ويأخذ فى خلع ملابسه ليظهر أمام الجميع عارياً ،وما العجب فى ذلك؟أليسوا يمزقون الستر عن نفوسهم فتبدو عوراتها ؟فلم لا يفعل نفس الفعل بجسمه ؟ وهل يبدو هنا ما يثير الاشمئزاز أكثر مما يثيره كشف الستر عن خبايا النفوس ؟ ولكنهم يقفونه ويهددهم هو بأنهم لو عادوا لكشف عيوبهم سيشرع فى تعرية جسمه، فانه وإن كان طبيعياً أن تصبغ النساء شعورهن وأن يقر الرجال ذلك فالأمر غير الطبيعى أن يذيع واحد منهم هذه الأمور .

وهنا تتأمل إيلى ... كل شىء زائف خادع ،هذه قصص هكتور،وهذه أموال مانجان،وذلك شعر مسز هاشباى،وذلك شعر لادى اترورد . ثم إنها تعلن بصراحة أنها لن تتزوج من مانجان لأنها تزوجت فى الواقع من شاتوفر وسجلت زواجها فى السماء حيث تمتزج النفوس الطاهرة!

ويثور هكتور قائلا : إلى متى يجلسون ويتكلمون ويتركون مهام الأمور لأمثال مانجان، وهم كمن يترك للطفل طوربيداً، أليس لذلك من نهاية؟ويقول الكابتن إن الربان السكير مكتوب على سفينته الهلاك ،وهكذا الحال فى سفينة انجلترا فالربان سكير والملاح مقامر،فهى لابد سائرة صوب الهلاك . . . والانجليزى الذى يحب الحياة ينبغى أن يتقن فن الملاحة !

وقبل أن يتم حديثه يدوى صوت انفجار فينذر الكابتن بالخطر المحدق بالسفينة ويفر كل من مانجان واللص إلى مكان أمين فيرميهما حظهما التعس إلى مكان بجانب ديناميت شوتوفر ، أما البقية فتبقى فى مكانها تترقب الأجل المحتوم . . . ويتكرر الانفجار ويذهب ضحيته مانجان واللص ،وينجو من خطره الباقون ويعلن الكابتن أن السفينة نجت !

إيلى — بخيبة — « النجاة ! »

هكتور « نعم النجاة . . . والآن كيف رجعت الدنيا فجأة ملعونة غبية ؟ ! »

مازينى « كنت مخطئاً فى تقديرى . . فنحن الذين بقينا فى الحياة . . أما مانجان واللص . . . »

هكتور « اللصان . . »

لادى اترورد « الرجلان العمليان ! »

ويأخذ راندال فى العزف على الناى . . .

نجيب محفوظ

اللغة العربيـــــة
وأثرها فى لغات أوروبا

للدكتور على مظهر

مقدمة

كانت اللغة العربية محصورة فى جزيرة العرب أيام الجاهلية الأولى ، ولا يظن أنها تعدت تلك الجزيرة أو تخطتها إلا نادراً ، فقد كان يرحل بعض أفراد إلى بلاد الروم أو بلاد فارس أو غيرهما مما يجاور بلاد العرب إما براً وإما بحراً . مثال ذلك التجاء امرىء القيس شيخ شعراء الجاهليين لما كان يطلب النجدة من ملك الروم ، وقد توفى بأنقرة فى قصـة طويلة معروفة . والمسائل الفردية ، أو ارتحال أفراد قلائل للتجارة أو نحوها لا يعد شيئاً يذكر كثيراً .

ولا نقصد من كلامنا هذا أن بلاد العرب كانت بمعزل عن العالم انعزالا تاماً ، أو أنها كانت مجهولة لمن جاورها من الأمم الأخرى ، كلا فقد عرفها أقوام عديدون واعتمدت على أطرافها شمـالا وجنوباً الأمم ذات البأس والشوكة أيامئـذ ، وحدثت بها معارك وسـالت فيها دماء أجنبية كثيرة من رومية وفارسية ومصرية وآشورية وحبشية وغيرها . وجاءها التجار من الهند وأفريقية وفارس . ولا بد أن يكون من عرب الجاهلية من انتقل فى سبيل التجارة إلى البلاد الأخرى . لهذا كله لا نعجب أن نرى ألفاظاً دخيلة من اللغات الأخرى فى اللغة العربية قبل الاسلام . فامرؤ القيس وأعشى قيس قد استعملا ألفاظـاً فارسية الأصـل فى أشعارهما ، وهما من تعلم فى الأدب الجاهلى . والألفاظ الفارسية (١) أبين من غيرها وأكثر منها عدداً فى العربية لأسباب نضرب صفحاً عن ذكرها الآن .

ولما ظهر محمد بن عبدالله فى جزيرة العرب هادياً ومبشراً ونذيراً ، وعم الاسلام جزيرة العرب ، بدأ العرب يدعون الناس للدين الحق ، وأخذوا فى فتح الأمصار . وامتدت فتوحهم شرقاً وغرباً من التركستان الصينية شرقاً إلى مكان لا يبعـد عن باريس عاصمة فرنسـا الآن بأكثر من ثلاث ساعات بقطار السكة الحديد . وذلك المكان واقع بين بواتيه وتور . ودخلت أمم عـديدة مختلفـة الأجناس والنحل والأديان فى دين يدعو الناس إلى الخير وإلى حسن المعاملة وإلى فضائل أخرى ومكارم أخلاق لا تعد ولا تحصى .

---

(١) راجع ديوان الاعشى للمرحوم جاير Geyer الذى كان أستاذ اللغة العربية واللغات السامية بجامعة فينا ، والديوان مطبوع بفينا فى السنين الاخيرة ويوجد منه الجزء الاول فقط بدار الكتب المصرية .

ورأينا الجيوش الاسلامية تهد دولتى الأكاسرة والقياصرة هـداً ، وتدكهما دكا ، وتنقض عروشهما فاذا هى خاوية خالية ، ليحل محلها العدل بعد الظلم ، والهدى بعد الضلال ، والنور بعد الظلمات . وقضى الاسلام على أواخر مدنيات ، ونهاية التمدين الوحشية .

اللغة العربية ولغات الشرق

وانسابت الجيوش الاسلامية فى البلاد والأقطار تفتحها ، وأخذ الناس يتعلمون العربية لغة دينهم الجديد أو لغة أسيادهم العتيدين . ولما امتد الزمن قضى على لغات كانت للأمصار المفتوحة ، كما قضى على اللغة القبطية القضاء التام فى مصر مثلا . وقد ظل بعض أفراد قلائل يتكلمون بها لآخر مرة منذ ثلاثة قرون ، كما قضى على بعض اللهجات واللغات الأخرى فى بلاد العراق والشام وجنوب جزيرة العرب .

وأخذت بعض اللغات ألفاظاً واصطلاحات عربية كثيرة أو قليلة ، كما فعلت اللغة الفارسية والتركية والبوشتية لغة إخواننا الأفغان ، وذلك لضرورة رأوها لاحتياجهم إلى بعض الألفاظ الخاصة بالمسائل الدينية والشرعية وأمور أخرى . ولا يمكن تقدير النسبة المئوية للألفاظ العربية التى فى هاته اللغات بالضبط تبعاً لأحكام الزمن ، ولكنها فى الواقع ألفاظ كثيرة جداً فى بعضها ، كما هى الحال فى الفارسية والتركية العثمانية قبل قيام جماعة الكماليين ، فقد كان باللغة التركية العثمانية فى القرن الماضى وأوائل هذا القرن الألوف من الألفاظ العربية ، ولا ندرى عددها الآن بعد الحركة الجديدة فى تركيا .

وإذا علمنا أن بالصين الآن آلاف الألوف العديدة من المسلمين حتى أوصل عددهم البعض إلى ستين ألف ألف ، وقال البعض بل ثمانين مليوناً ، إذا علمنا ذلك فلا يبعد أن يكون بالصينية ألفاظ عربية لا يمكننا أن نذكر عنها كثيراً الآن ، وربما كانت تلك الألفاظ بالجهات التى يكثر بها المسلمون هناك .

ولما دخل الاسلام فى الهند على يد غزاة المسلمين بقيادة سلاطينهم وملوكهم ، وانتشر الاسلام فى تلك الأرجاء استعملت جملة من الألفاظ والاصطلاحات العربية الاسلامية ضرورة فى الأرجاء التى اهتدت بنور الاسلام وبتعاليمه ، وكذلكم كانت الحال عقب انتشار الاسلام فى جزر الهند الشرقية .

اللغة العربية واللغات الغربية ــ الاحتكاك اللغوى المباشر

هذا فى الشرق وقد أتينا على انتشار العربية هناك إجمالا فلننتقل إلى الغرب فنقول :
غزت جيوش المسلمين شمال أفريقية حتى وصلت إلى بر العدوة بمراكش ، وعبر طارق

ابن زياد وجيشه إلى الجهة المقابلة من جزيرة إيبريا. وحفظ ذلك الجبل الذى نزل به اسم الفاتح المسلم حتى اليوم ، وأخذ المسلمون يفتحون البلاد والمدن والأمصار حتى أن كانت أيام عبد الرحمن الغافقى أمير الأندلس من قبل الأمويين . فانه سار بجيشه يغزو جنوب فرنسا ، وانساب جيشه يتقدمه أميره حتى أن جاء إلى مكان محصور بين مدينتى بواتيه وتور على نهر اللوار ؛ وهو مكان لايبعد كثيراً عن حاضرة الجمهورية الفرنسية اليوم . وقد قضى على ذلك الجيش روح التحاسد والتخاذل وسيادة الفوضى فى وحداته ، ولكن جيوش الاسلام لبثت فى جنوب فرنسا سنين بعد تلك الهزيمة فى الشمال وامتدت أيدى غزاة المسلمين إلى حدود سويسرا الغربية الحالية .

ثم كانت الدولة الأموية بالأندلس ، وكان عصرها الزاهر هناك ، وكان لها حول وقوة وبطش أيام أمرائها وخلفائها حتى أن أذنت شمس الوحدة بالأفول وعمت الفوضى ، وصار الناس طوائف ، وانقسم المسلمون فى تلك الجزيرة على بعضهم البعض ، فصارت خلافة الأمويين إلى أجزاء وقطع ، وقام كل قائد أو أمير على مدينة أو مقاطعة يدعو لنفسه ، كل يبتغى لنفسه ملكا وأن يصير ملكا ، وهزلت الحال فى بعض الأحيان حتى تنازع أفراد الرياسة فى مدينة واحدة ، فضعف أمرهم ، وامتدت يد الأطماع إلى بلادهم ،فأخذت تعتدى عليها ، وبدأ ظل الاسلام يتضاءل فى تلك الجزيرة الجميلة ، وانتهى الأمر بطرد البقية الباقية من المسلمين من غرناطة آخر معقل لبنى الأحمر فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى .

على أن يد المسلمين لم تقتصر على تلك الأرجاء فحسب ، بل إنهم امتلكوا جزائر البحر الأبيض المتوسط الغربية كما امتلكوا جزره الشرقية من قبل ومن بعد ، وكان لأمراء تونس الغلبة على صقلية وما جاورها وعلى جزء من جنوب إيطاليا ، وكثيراً ما غزوا ما جاورهم من البلاد بأساطيلهم وسفنهم ، حتى قيل إنهم كادوا يهددون روما فى غزوة لهم .

وبعد أن لبثوا هناك ما شاء الله أن يلبثوا جاء النورمان من الشمال ، وتقلص ظل المسلمين من جنوب إيطاليا ومن الجزر ومن صقلية وعادوا إلى شمال إفريقية مرة أخرى .

الحروب الصليبية وبعض أثرها

ولا يفوتنا أن نذكر تلك الحملات الجنونية التى سودت صفحات التاريخ وتلك الأعمال البربرية التى لبثت قروناً عاراً على بنى الانسان الذى فرض عليه التسامح وحسن المعاملة واللين فى القول . ونعنى بتلك الحملات الحروب الصليبية التى تكررت على البلاد الاسلامية وعلى سواحل بحر الروم الشرقية مراراً . ولا بد أن نذكر ما كان من اختلاط وتعارف أثناء القتال وبعده ، وما رآه حملة الصليب فى البلاد الاسلامية من قوة وعلوم ومعارف ، وما نقلوه عن البلاد التى

أرادوا غزوها من فنون وعلوم ولغة ، فاذا أضفنا ذلك إلى ما ترجمه إخوانهم فى غرب أوروبا عن مسلمى الأندلس الفيحاء ونقلهم علومهم إلى اللاتينية أولا ، وما كان من غشيان تلاميذهم لمدارس وجامعات الأندلس واختلاطهم بالمسلمين ، إذا عرفنا ذلك كله أمكننا أن نتقدم خطوة إلى موضوعنا الذى نبحث فيه الآن ، وأمكننا أن نعرف السبب فى انتشار ألفاظ من اللغة العربية فى لغات أوروبا وفى لهجاتها أيضاً . وهذا هو الاحتكاك المباشر بين العربية وبين اللغات الأخرى عن أوروبا وفى لهجاتها .

ونرى من تتبع الألفاظ العربية التى دخلت على غيرها من اللغات ، أنها لم تترك لغة من لغات غرب أوروبا إلا ولها أثر فيها تقريباً ، ففى الاسبانية والبرتغالية والفرنسية والانجليزية والغالية القديمة ، وفى الألمانية واللغات الجرمانية الأصل كالهولندية والاسكندنافية فى شمال أوروبا ، وفى الروسية والبولندية واللغات الصقلبية الأخرى ، وفى الايطالية وفى بعض لهجات فرنسا وإيطاليا كلهجة مدينة نابولى الحالية لها أثر فيها . فتجد فى الأخيرة ألفاظاً عربية أخذها أهل تلك المدينة أثناء احتكاكهم بمسلمى صقلية ، وهم يعترفون بذلك ، فمن هذا كلمة برتقال مثلا ، فهى كذلك فى لهجة نابولى تقريباً كما يلوكونها هم بألسنتهم .

ويجدر بنا أن نذكر عثور الباحثين فى جهات البلطيق فى شمال أوروبا على سكة إسلامية عربية من آثار تجار المسلمين العرب الذين وصلوا إلى تلك الأرجاء يوماً من الأيام أثناء القرون الوسطى ، وهذا شىء له مغزاه كما لا يخفى .

الاحتكاك اللغوى غير المباشر

هذا شىء عن الاحتكاك المباشر بين العربية وغيرها فى أوروبا ، إلا أن هناك احتكاكا غير مباشر له شأن يذكر فى موضوع بحثنا ، ونعنى بذلك الاحتكاك عن طريق اللغة التركية .

وبيان ذلك : هو أن الأتراك بدأ دخولهم فى الاسلام أيام العباسيين حينما امتدت الفتوح الاسلامية إلى بلاد ما وراء النهر وفرغانه فى سيبيريا . وجاء زمن كانت لهم الكلمة النافذة عند الخلفاء وأمرائهم . بل أصبح منهم أمراء معدودون مستقلون كأحمد بن طولون بمصر . وكان منهم السلاجقة ، وكان منهم الأتراك العثمانيون .

واللغة التركية لغة مغولية الأصل كاللغة اليابانية والمجرية والفنلندية . وقد دخل فيها كثير من الألفاظ الفارسية والعربية عند ما اشتد الاحتكاك بين تلك الشعوب ، وكثرت الألفاظ العربية فى التركية فى القرنين الأخيرين ، ومن يدرى ماذا يكون مصير تلك اللغة التركية العثمانية بعد عشرات من السنين لو لم يحدث ذلك الانقلاب الأخير المعروف الذى أوقف سيل العربية والفارسية ليحل محله سيل مغولى أو أوروبى ! ! ؟

بدأ الأتراك العثمانيون قليل عديدهم فى كنف السلجوقيين وأخذ الحظ يواتيهم . ولهذا اشمروا عن ساعد الجد حتى كونوا لأنفسهم إمارة صغيرة مالبثت أن كبرت ، وحلت محل السلاجقة وأخذت فى مناجزة الروم. وما لبث الأتراك أن امتلكوا جهات الأناضول وقفزوا إلى البر الأوروبى ، وطمحت نفوسهم إلى حاضرة دولة الروم الشرقية المحتضرة بعد أن انتزعوا جل ممتلكاتها التى جاورتهم ، وتم لهم النصر الباهر على يد محمد الفاتح ، ودخلوا عاصمة الروم بعد أن حاصروها وشددوا الحصار عليها براً وبحراً ، وتم لهم الظفر ورفعوا أعلامهم المظفرة على قلاع القسطنطنية ، وأخذوا يملكون أرجاء البلقان بلداً بلداً ، ويدكون معاقله وحصونه دكا ، وأخضعوا أممه وشعوبه المتباينة العديدة المذاهب والألوان والخلقة والشكل المختلفة الطباع ، حتى تم لهم إخضاع البلقان كله ورأوا بلاد إخوانهم فى الجنس المغولى سلعة تباع فى ميادين القتال بالحرب والضرب ، فانسابوا فى سهول المجر ، ولبثوا نحواً من قرنين سادة على بنى عمومتهم هناك . ولم يكفهم هذا بل ساروا بخيلهم ورجلهم ، وحاصروا فينا عاصمة النمسا مرتين ، لم يتمكنوا أثناءها من فتحها فارتدوا عنها . بعد أن قاتلوا أثناء تلك المعارك والفتوح العديدة كل أمم البلقان وكثيراً من أمم أوروبا الوسطى . وأدخلوا الاسلام فى بعض تلك الأرجاء التى دانت لسلطانهم يوماً ما كبلاد البوسنة والهرسك وبلاد ألبانيا وبعض بلاد مقدونيا .

فنجد من ذلك أن الأمم التى دخلت فى الاسلام أخذت عن اللغة العربية الألفاظ التى يقيمون بها الصلاة ، ويتعلمها كثير منهم لاقامة مشاعر دينهم ولمعرفة أحكامه وقواعده وأصوله ، والتى اعتبروها لغة دينهم ولغة وحدتهم وجامعتهم الاسلامية التى تجمعهم وإخوانهم فى أنحاء المعمورة فى عروة لاانفصام لها .

أما الأمم الأخرى التى لم تذق حلاوة الدين القويم ، فلم تعدم أن نقلت لبعض الألفاظ والاصطلاحات الاسلامية العربية التى استعملها الأتراك إلى لغاتهم ، ونطقوا بها واستعملوا أكثرها فى حديثهم والأخرى فى كتاباتهم لمناسبة تدعو إلى ذلك .

وعلى العموم يمكننا أن نقول إن تلك الألفاظ والاصطلاحات العربية قد نقلت عن طريق غير مباشر أى عن طريق لغة الأتراك العثمانيين .

على مظهر

طفل يعشق الحرب

للأستاذ مرسي شاكر الطنطاوي

سأل الطفل أباه :
أين أبواب السعادة ؟
لأحثَّ العزم يسمو
بي على غير هواده
قال: والحرص على الأبـ ـناءِ في الآباء عاده
هي في نفسك تبدو كمصابيح الدياجي
فتخير أي أبوا ب أمانيك تناجي

***

قال : إني أتحيها
بين أهوال الحروبِ
يوم تملي ألسن النا
ر بتعداد الذنوب
وكتابُ الدم منشو
رٌ بإعلان الخطوبِ
حيث تحلو بسمة الشمـ ـسِ على تلك الفجاج
فهنا أثبت عرشي وهنا أعقد تاجي

***

حبذا الميدان والسيـ ـف حثيث النهزاتِ

عارض يلهم عزمي
فى عروض الهجمات
أنّ المدفع سرًّا
ذاع بين الدُّفعات
ونجوم الأفْق تبدو بين ضيق وانفراجْ
كسفين الجو تُلقى فى محيطٍ من عجاج

* * *

فأجاب الأَب : هلاّ
ملتَ عن هَذا المقاد
فتصيبَ المال والصحة من غير نفاد !!
قال : لا ! فالحرب عندى
خير ما يهوى فؤادى
فهى الصحة والمال ومفتاح ابتهاجى
وبها رفع منارى وبها لمع سراجى

* * *

أطرق الوالد لما رسم الطفل جهاده
آخذ القوة برهانًا يزكى بشهاده
حافزًا للحرب فى جيش يوليه قياده
فى منار قاتم الظل لجوف الليل داج
من ينل فيه هلاكا عاش بالعزة ناجى

مرسي شاكر الطنطاوى

في تربيــــة الاطفال

On Brining up of Children

عرض وتحليل بقلم المربية الفاضلة

الآنسة زينب الحكيم

إن الموضوع الذى نعرض لبحثه على هذه الصفحات من مجلة « المعرفة » موضوع كثيراً ما اختلف فيه علماء « البيداجوجيا » اختلافاً يتعدد حيناً ويتقارب حيناً آخر . ولذلك ما نزال نرى مجال القول فيه متسعاً ، وميدان الكلام حوله فسيحاً .

ومن بين المشتغلين بهذا النــوع من التربيــة الآنسة « فانجان Vanghan» مؤلفة كتاب « الجندى والرجل الملكى The Soldier and Gentleman »

ولـكى تكون لدى القــارىء فكرة — ولو موجزة — عن هذه السيدة نقول : إنها زوجة المستر « شارل مورجان Charles Margan» مؤلف رواية النافورة The fountain الذائعة الصيت .

ثم هى سيدة موفورة النشاط ، متعددة المشاغل ، دائمة العمل ليل نهار فى سبيل دراسة المجتمع والعمل على تنقيته من الشرور والآثام ، وذلك بنشر الآراء الصائبة ، وعلاج الأمراض الدفينة التى تتطلب خبرة ومهارة فائقتين ، قل أن يتوفرا لشخص توفرهما لهذه السيدة التى تعتبر بحق فى مقدمة قادة المجتمع ورسل الإنسانية المعذبة . ثم هى - فوق ذلك كله - أم صالحة ، تعنى قبل كل شىء بتربية طفليها البالغ أكبرهما ثمانى سنوات ، والبالغ صغيرهما ست سنوات .

وبما أنها لا تؤمن بنظرية من النظريات ، أو رأى من الآراء ، إلا إذا بحثتــه بنفسها ، وارتضاه عقلها ، أو هدتها إليه التجربة ، فقد رأينا أن نقدم لقارئات وقراء هذه المجلة رأيها الجديد فى تربية الطفل .

* * *

قالت : إنه لمن العسير جداً ، أن نحصل فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، على أسر كبيرة كما كانت الحال من قبل ، ولهذا يجدر بالأم أن تجد لها ملهاة أخرى خارج المنزل .

إن الأم التى تقصر كل عنايتها على طفل واحد ، وتقف عليه كل جهودها ، لتكون هذه العناية من أقوى العوامل النفسية خطراً ، وأشدها أثراً فى نفس ذلك الطفل ، فإن تصويب النظر الفردى على محور واحد ، يحول مجرى الأمور إلى غير ما قصد منها .

أعزى طفلك ، وأحببه من كل نفسك ، فلن نقول فى ذلك شيئاً ، ولكن يجب ألا يبلغ ذلك حد الإسراف ، ويجب أن نقدر أن الطفل فى حاجة مستمرة إلى أن تغمريه بحبك ، ولكن يجب ألا يكون ذلك الشغل الشاغل لحصر انتباهك فيه .

فان الأم الشديدة اللهفة ، الكثيرة الحيرة ، التى لا عمل لها ، أو التى ليس لديها عمل كاف يستنفد وقتها فى المنزل ، أو التى لم ترزق عدداً كبيراً من الأطفال ، أم هذه حالها ، لاشك فى أنها تجأر بالشكوى ، وتضج وتراع لجأة لأقل سبب ، ولأتفه المؤثرات ، ولهذا تكون قلقة دائماً ، مهمومة متلهفة أبداً ، وإنه لمن السهل أن يراع الإنسان ، كما إنه من السهل أن نعلم كيف يسبب الإنسان لنفسه الشقاء ، ويقيم فى سبيلها العراقيل والصعاب .

تتحدث السيدة مورجان عن نفسها عندما رزقت أول طفل فتقول إنها حرصت كل الحرص على قراءة جل الطرق الحديثة ، التى انتهى إليها علم البيداجوجيا ، ولم تكتف بذلك ، بل وضعت نفسها بين أيدى أخصائيين عديدين ، كما استخدمت عدداً من المربيات Nurses اعتقاداً منها بوجوب تنشئة الطفل تنشئة كاملة صحيحة ، وحرصاً منها على أن تحيط هذه التنشئة وما يتفرع عنها أو يمت إليها بصلة ، بسياج من الصحة ودقة المراقبة والتنفيذ ؛ ولكنها بعد التأمل والمران وبعد ما عرفته عن خبرة ، رأت أنها — كأم — فقدت الروح الخاص ، أى روح الأمومة ، روح الشفقة ، روح الشوق والحنان ، لأن الطفل لا يتطلب الحب الغزير فى كل الأوقات ، ولا عناية فائقة أكثر مما يحتمل فى مرضه ، بل بالعكس ثبت لها أن انصرافها كل الانصراف إليه يغضبه أحياناً ، كما وجدت أن شدة مراقبته عن قصد تسبب له الضجر وأحياناً السقم ، كذلك تقلقه كثرة الترتيبات وسن الخطط له بلا انقطاع ، فضلا عن أن فى تعدد الطرق وتنوعها ، ما يسبب للأم القلق والضجر ، فتظل غير سعيدة ، كما يظل طفلها سقيما كثير العبث بالأشياء التى حوله .

لذلك يجب أن نبدأ فى الأخذ بتنشئة أطفالنا باعتدال ، وإلا نشأ الطفل مكدوداً يراع لجأة لأتفه الأسباب ولأوهى الصعاب التى تصادفه فى بداءة حياته كطفل ، وبذلك يصبح إصلاح ما حدث جد عسير ، كما يصبح العمل من أجله غير مجد ، لأن الهدوء الطبيعى والسعادة الطبيعية لم تنتهز فرصتهما فى الأشهر الأولى ، — وهى المدة الملائمة لرسم الخطط وطبع الآثار التى تظل عالقة بالذهن مدى الحياة .

وليس من شك فى أهمية الطريقة التى تتبع مع الطفل مبدئياً ، فإذا أردت أيتها الأم أن تكون العلاقة بينك وبين طفلك علاقة حسنة سعيدة ، فإنه يجب عليك إيجادها قبل ولادته .

أما إذا كرهت وجود الطفل ، فإنه يستقبل حياة كلها غموض ، ولهذا كان من المحتم أن تسبق

أحبة الأم مجيء الطفل ، كما أن من الواجب أن يسبق الترحيب به وجوده في هذا العالم .

ومن المسلم به أنه إذا حملت الأم طفلها بحال طبيعية ، ووضعته وضعاً طبيعياً ، فإنه يكون لذلك أثر طيب في حياة الاثنين معاً ، هذا إذا نظرنا إلى الموضوع نظرة « بسيكولوجية » وبعبارة أخرى إذا أعرنا الموضوع قيمته من ناحية « علم النفس » .

ثم إنه لا يمكن الأم أن تحب طفلها حباً صادقاً مالم تحمله جنيناً برغبة صادقة ، وإلا فكم من الأمهات الحديثات يقدرن شعور الألم لأنهن لايحببن أطفالهن الحب الكافي ، فيجتهدن أن يعوضن ذلك الشعور (شعور الحب) طوال حياتهم بشتى الوسائل .

لكن هذا الشعور وذلك السلوك المتعمدين لا يمكن أن يخفى أمرهما على الطفل بحال ما ، بل إن الطفل لاينخدع بهما مطلقاً ، ومن ثم تنمو العلاقة بين كل من الأم والطفل بشكل مصطنع ، فيصبح الطفل غير سعيد ، عابثاً كل العبث ، أو خبيثاً شقياً Naughty ، ومن ثم تنشأ فكرة عقابه .

عقاب الطفل

وليس من شك في أن محاولة العقاب أو مجرد التفكير فيه ، يعتبر خطأ كبيراً ، لأن خير علاج في هذه الحال هو أن يتجنب العقاب كما يتجنب الضغط .

يقول مستر شارل مورجان Charles Morgan عن هذه العقوبات التي توقع على الطفل :

« إني لا أؤمن بالضرب وإنما أؤمن بمساواة حقوق المرأة والرجل ، فليس من حق أحدهما أن يجيز ضرب طفل ما لم يجيزا معاً ضرب طفلة في مثل الظرف الذي جاز أن يضرب الطفل فيه »

وقال أيضا : « إن الناس الذين يضربون الأطفال ، يلزم أن يقدروا أن ما عساه يحدث ألماً أو قلقاً جسمياً بالنسبة لطفل ما ، ربما يسبب موتاً اختناقياً لطفل آخر » .

وقد وافقت السيدة مورجان على رأي زوجها . وأضافت إليه قولها : « إنه على فرض عدم استعمال الضرب مطلقاً ، وندرة الالتجاء إلى العقاب ، فأرى أنك أنت أيتها الأم ، تسببين أضراراً لا آخر لها ، بإخضاعك الطفل لإرادة البالغ ، وتعريضه للتأثر بشخصيته (شخصية البالغ) ؛ وذلك بإجباره على قبول كل فكرة وكل عقيدة لك ؛ ولهذا السبب أنادي بأعلى صوتي : أنه لايجب أن يكون لأي امرأة أطفال ، كما لايجب أن تؤسس مربى ، مالم يكن لديها شوق صادق ورغبة أكيدة في ذلك ، ولم يكن لديها مشاغل أخرى تستنفد جزءاً عظيما من انتباهها » .

والخلاصة أنه لكي ننشيء طفلا صحيحاً يجب أن نعنى قبل كل شيء بأمر الطفل قبيل وجوده ، كما نعنى بتكوين شخصيته وبث روح الاعتماد على النفس فيه ، فلا نضطر إلى توقيع العقاب الذي يكون له أسوأ الأثر في حياته كفرد من أفراد المجتمع ؟

زينب الحكيم

قصة مصرية

أبو عـــرب

بقلم الأستاذ محمود بك تيمور

في خيمة حقيرة من الشعر، قريبة من عزبة عماد بك، يعيش «سليمان ريده» وزوجته وأولاده، وهم قوم من العربان الرحل، يكسبون عيشهم من تربية الأغنام، وينتقلون بها من مكان إلى آخر طلباً للمرعى. وسليمان المذكور – ويسميه الناس (أبو عرب) احتراماً له وخشية منه – رجل عملاق الجسم عريض المنكبين، له وجه جاف مشدود الجلدة، إذا سار ملتحفاً بشاله الأبيض الكبير خلته ناقة تتهادى في سيرها، وإذا سمعته يغني غناءه ذا الروي الواحد – وهو يدخن التمباك في قصبته – خيل إليك أنك على مقربة من ذئب يعوي: سريع الغضب إذا استفزه أحد هاج هياج الثور الوحش، سريع الرضا إذا لوطف أصبح كالحمل الوديع، كله بشاشة وطيبة وإخلاص.

يحب أولاده الستة حباً عظيماً، فكأنه أم رءوم تغمرهم بحنانها الدائم. ولكلبه «ذهب» في قلبه مكانة أحد أولاده، فقد التقطه من الطريق رضيعاً يكاد يهلك من الجوع، وآواه وعني به حتى كبر وترعرع، وأصبح اليوم حامي قطيعه وحارس خيمته. وهو كلب أسود غزير الشعر مخيف الهيئة، تأثرت أخلاقه بأخلاق سيده فاكتسب منه الشر في مواطن الشر، والحلم في مواطن الحلم.

وكان عماد بك صاحب الضيعة يقيم مع زوجته وابنه الوحيد «حامد» في بيته القديم الذي يسميه الفلاحون «القصر». وحامد غلام في العاشرة مدلل محبوب من والديه حباً يقرب من العبادة، يقضي وقته مع خادمه مبروك يصطادان العصافير والسمك أو يلعبان على التلال التي على حافة الترعة، يقذفان الكلاب بالطوب. وقد قامت بينه وبين «ذهب» خصومة كبيرة نشأت عن تحرش الغلام بالكلب، فأضمر كل منهما لصاحبه العداوة، فاذا أحس «ذهب» بوجود حامد – ولو على مسافة بعيدة منه – نشر أذنيه باهتمام، وجعل يشم الهواء وهو ينظر إلى جهة الغلام نظرة شزراء، مكشراً عن أنيابه، متحفزاً للهجوم، ثم يبدأ ينبح نباحاً عالياً، وإذا لمح حامد «ذهباً» وكان في رفقة من أتباعه، أمطر الكلب وابلا من الطوب واحتمى بمن معه إذا هجم الكلب عليه.

وخرج حامد ذات يوم ومعه مبروك، وقصدا التلال يلعبان فوقها كالمعتاد، وكانا وحيدين في هذا الوقت، وصادف أن جاء «ذهب» ليشرب من الترعة، وبينما هو منهمك في الشرب

إذ رماه حامد بطوبة حادة أدمت رأسه ، فقفز متنمراً يبحث عن الجانى وقد أحس بأنه لن يكون غير حامد . وكان حامد محتمياً مع خادمه فوق تل عال صعب المرتقى، وعرف الكلب مكان الغلام ، فهجم صاعداً على التل وهو ينبح نباحاً جافاً متقطعاً غير مبال بوابل الطوب الذى ينهال عليه بشدة . وأحس الغلام بالخطر ، فوهنت عزيمته، وتخاذلت قواه ، وجعل يصيح بصوت مخنوق يستنجد بمبروك ؛ ولكن مبروكاً أطلق ساقيه للريح ناجياً بنفسه . ووجد « ذهب » الميدان أمامه خالياً، وقد زاده هذا الانتصار قوة وإقداماً ، وأوشك أن يصل إلى قمة التل ، ولم يعد يفصله عن الغلام غير مسافة قصيرة ؛ ورأى حامد الكلب يقترب منه وعيناه تقدحان كالنار، وشعره قائم كالشوك ، فارتجف ؛ ولكنه أحس بغتة بقوة غريبة تحل فيه ، فوقف مستبسلا وقفة الجندى فى ساعة الخطر ، ووقف الكلب أيضاً يحدج عدوه بشرر عينيه، وهو يأخذ العدة لهجمة فاصلة. ومضت لحظة والعدوان واقفان أمام بعضهما لا يتحركان كأنهما تمثالان أودع فيهما المثال أقوى معانى التحفز للشر . وأخيراً هجم الكلب هجمته الأخيرة ،ولكن الغلام كان قد سبقه فرماه بحجر شج رأسه ؛وترنح « ذهب » ثم نكص على عقبيه وهو يحاول النهوض والهجوم من جديد ،وقد بدأ الدم الفائر يسيل على وجهه ويسدل ستاراً أحمر أمام عينيه ، واختل توازنه فانقلب يتمرغ على التل متدحرجاً من أعلاه إلى أسفله.

هناك سكنت حركته سكونها الأخير ، وحدق الغلام بذهول فى جثة الكلب ثم أخذ يتتبع بنظره طريق الدم المرسوم على التل من قمته إلى قاعدته فخاله بحراً من الدماء أو لهيباً من النار، وشعر دفعة واحدة بتخاذل غريب، فجلس على الأرض يرتجف ،وعلت وجهه صفرة الأموات.

وسمع أبو عرب ندباً وعويلا منبعثين من خيمته وهو عائد إليها ، فهاله الأمر وتوقع مصابا ودخل الخيمة فى عجلة وهو يسأل ما الخبر . . . ؟فسكت الجميع وأطرقوا برءوسهم .

ودار أبو عرب بنظره على الموجودين فوجد عددهم كاملا ، فهرع إلى الخارج حيث قطيعه يرعى فلم يجد ما ينقصه ، ولكنه أدرك أن « ذهباً » غير موجود. فعاد إلى الخيمة وصاح فى الجميع :

— أين «ذهب ؟ »

فلم يجبه أحد .

— إذاً هو الذى تندبونه .

فأومأ إليه أحد أولاده بنعم .

— ولكن كيف مات ؟ أمقتولا أم حتف أنفه ؟

فتقدمت إليه زوجته فى هوادة، وأخذت تروى له حادثة مصرع الكلب ، وهو يستمع

إليها فى سكون ووجوم، ثم مالبث أن اربد وجهه وأخذ يعلوه الغضب شيئاً فشيئاً، فما أن أتمت كلامها حتى صرخ قائلا :

— أقسم برأس أبى ثلاثاً لأقتلنه، وبنفس الطريقة التى قتل بها « ذهب » .

ومضت بضعة أشهر، ونسى الناس حادثة الكلب. وأخذ أبو عرب يحوم حول قصر «عماد بك» فى الخفاء كلما جن الليل وانتشر على الضيعة الصمت والسبات، كما يحوم الذئب حول فريسته المطمئنة يتحين الفرصة لتنفيذ ما أقسم عليه .

وفى ليلة ماخرج من خيمته ووجهته قصر عماد بك، وهو ملثم الوجه بشاله الكبير، يحمل فى عبه كمية من الأحجار المسننة الغليظة كانت تثقل خطاه فى سيره، وسار متسللا بحذر . ولما دنا من السور اعتلاه بمهارة، وهبط إلى الحديقة فى خفة الهرة، وتسلق شجرة كثة الأغصان كمن بين فروعها، ومن ثم جعل يراقب حجرة الغلام بعينى الصقر الجشع؛ وكانت الشجرة على مقربة من نافذة الغرفة .

ومضت ساعة، وحامد يدخل حجرته لاعباً، ثم يتركها إلى ردهة المنزل، لا يستقر له قرار فى مكان واحد. فجعل أبو عرب يداعب الطوب فى عبه مداعبة عصبية .

وأخيراً جاءت الأم بابنها، وحملته إلى السرير ووضعته فيه، ثم أشارت له أن ينام، فأمسك الغلام برقبتها وانهال عليها يقبلها ويحتضنها، وهو يهمس فى أذنها ويداعبها، فأخذته بين ذراعيها تضمه وتقبله وتحدق النظر إليه فى حنو وعبادة، وكانت إذا ما انتهت مرة عادت تحضنه وتقبله من جديد .

واعتدل أبو عرب فى جلسته وجعل يراقبها باهتمام، واندفعت الأم تلاعب طفلها فى شغف، وتصغى إلى ضحكاته المرحة الساذجة كما يصغى الفنان إلى أعذب ألحانه وأشهاها، ثم قامت وهى محتضنة إياه، وأخذت تطوف الحجرة بخطى هادئة، وتغنى له بصوت حنون، والطفل متعلق برقبتها مغمض العينين فى طمأنينة عذبة يرد على أغانيها ويستزيدها . . . واعترى أبو عرب وجوم غريب وأحس بالضيق يغزو صدره، وسقط من يده حجر إلى الأرض بدون أن يشعر بسقوطه . . . وأخيراً وقد أحست الأم بأن وحيدها قد نام، اقتربت فى سكون نحو السرير وأرقدته عليه، ثم غطته وطبعت على جبينه قبلة هادئة، وخرجت على أطراف أصابعها . . .

ونظر أبو عرب طويلا إلى الطفل وهو نائم يبتسم فى هدوء وغبطة كأنه ملاك صغير، فابتسم فى ارتباك واضطراب كأنه يجيب على ابتسامة الطفل . وبغتة شعر كأن خنجراً يطعنه فى قلبه فهبط إلى الأرض مسرعاً، وأخذ يعدو فى الطريق عائداً إلى خيمته وكله اشمئزاز وكره لنفسه؛ وما أن وصل إلى الخيمة حتى هرع إلى ولده الذى فى عمر حامد، وأخذه بين ذراعيه، وجعل يضمه ويقبله بشغف والدموع تسح من عينيه . . .

محمود تيمور

دراسات اجتماعية

الرأسمالية والاشتراكية

للمؤرخ الكبير الأونورابل هـ . ا . ل فيشر

تمهيد

إن ذلك الذي يعيب الرأسمالية ويثور ضدها ، إنما يعيب ويثور ضد النظام الاقتصادى الذى هيأ للعالم ذلك القسط الكبير من الراحة والرفاهية، الذى يمكن أن نشعر به، إذا نحن وازنا بين حالنا الآن فى القرن العشرين، وبين ما كانت عليه الانسانية فى القرون الأولى !

تقوم الرأسمالية على أساس « الملكية الخاصة »، فهى من هذه الناحية ضد « الملكية العامة » ؛ وفى نفس الوقت قامت على أساسين هما - فى الواقع - الأصل فى كل ما وصلنا إليه من « المدنية المادية » ، أما هذان الأساسان فهما : (ا) النبوغ الفردى (ب) المقاولة الخاصة.

وإنى أعتقد أنه لا يحق لصحيفة تبحث فى الاشتراكية والرأسمالية أن تفضل إحداهما على الأخرى ، أو تذكر أن الاشتراكية متينة الأسس الأخلاقية عن الرأسمالية ، كما لا يحق لها العكس ؛ ذلك بأن كلا من هذين النظامين لم يقم على أسس أخلاقية تناقض الآخر ، وإنما قام كلاهما على غير الأسس الأخلاقية مطلقاً .

فالصدق والأمانة فضيلتان، والخداع والخيانة رذيلتان ، فى نظر الاشتراكى والرأسمالى على حد سواء . وإذن فهما نظامان متحدان من هذه الناحية ، وكلا هذين لا يعشق الصدق لأنه صدق فى ذاته ، ولكن لأن التجارب أثبتت أن الكذب فى الماديات يضر أكثر مما ينفع.

وإذاً فالطريق الوحيدة للحكم بترجيح أحد النظامين على الآخر، لا تكون إلا بالموازنة بين ما يمكن أن يؤدى إليه كل منهما من نتائج ، وأحسب أن ليس فى الوجود اشتراكى يظل يبشر بالاشتراكية ويدعو لها إذا هو اقتنع بأن فى انتصار اشتراكيته زيادة فى بلاء الانسان وشقائه ! وما أحسب كذلك أحد الرأسماليين إلا مطلقاً رأسماليته إن هو تبين له من الحادث والواقع ، أن فى استمرار قيام رأسماليته ازدياداً فى انتشار الشقاء والرذيلة والجريمة.

وما كان أعقل « تروتسكى » حين قال: « إنه لا ينتصر من هذين النظامين إلا ذلك الذى

يمكن أن يصل بالانسان إلى المستوى الاقتصادى الذى يريده ويطمع فيه » .

ومن بين ما نقرؤه من دعايات أصحاب هذا النظام أو ذاك يتبين لنا أنهم إنما فضلوا هذا النظام على الآخر، فقط، لأنه أقرب إلى تحقيق أكبر قدر مستطاع من السعادة لأكبر عدد ممكن من بنى الانسان، قالوا إنهم فضلوه لهذا ، ولم يقولوا إنهم فضلوه لما يحويه من مثل أخلاقية عالية!!

وإنا لنجد فى التاريخ أن نظام أى مجتمع فى أى زمن من الأزمان أو عصر من العصور، لم يكن إلا نتيجة جملة قوى متعارضة ، بعضها حسن والبعض الآخر ردىء، ولكن كليهما مستمد من الانسانية على أية حال ...

الرأسمالية

فاذا أمكننا أن نقرأ هذا فى التاريخ عن الاشتراكية أمكننا أن نقرأ إلى جانب ذلك أن الرأسمالية سادت العالم ، ولازمته مدى الزمن ، وأن هذه الرأسمالية عينها هى التى أدت إلى هذا الجم الغفير من النعم الميكانيكية التى تتمتع بها الانسانية الآن، سواء أكانت هذه الانسانية اشتراكية أم رأسمالية .

والرأسمالية أيضاً هى التى أدت بنا إلى هذا القدر الواضح من سيطرة الانسان على الطبيعة وتذليله إياها ، ولا يمكن أن يشك أحد فى أنها قد قطعت مع الانسانية مرحلة كبيرة ، وأنها قد أدت إلى ارتفاع نسبة الذين يعيشون حياة وادعة منظمة، وأنه فى وقت سيادتها ، ارتفعت نسبة المتعلمين فى العالم أجمع، وارتفعت درجة الثقافة ارتفاعاً غير مكابر فيه، وفى وقت سيادتها تقدم الطب تقدما هائلا، ووجدت التدابير الواقية من الأمراض والأوبئة . وبايجاز يمكنك — دون ما حرج — أن تعزو كل ما صادفه العالم من تقدم إلى العصر الذى كانت الرأسمالية فيه هى السائدة وحدها .

ولكن الرأسمالية كنظام اجتماعى لها أيضاً مساوئها، كما أن لها كل الحسنات السابقة ، وهل الرأسمالية إلا نظام اجتماعى اخترعه أوسار عليه العقل الانسانى، وهو كائن كان وسيكون على مر الأجيال عقلا غير كامل ذلك الكمال الذى يتصوره السادة الخياليون ؟ ! فكيف إذاً يريد أعداء الرأسمالية أن تكون نظاماً خالياً من كل شائبة أو عيب ؟ !

إن ما كان من بعض الرأسماليين من كذب وخداع وظلم للطبقات العاملة ، هو ما سبب تلك القوة الهائلة التى صار إليها أنصار الاشتراكية فى بلاد الانجليز وغيرها . وفى الحق تستطيع أن تجد أعداء كل من المذهبين لايقيمون دعاواهم إلا على الجزء المعيب من كل منهما، أما المحاسن العديدة فلا يذكرونها أبداً .

فالرأسماليون يقولون: إن الطبيعة أرادت أن يكون هناك القوى والضعيف، والغنى والفقير، وطاهر النفس وخبيثها، ورضى الأخلاق وذميمها، وفى ذلك تقرير لما عليه الطبيعة، لأن التساوى معـدوم فيها غالباً.

ويبنون على قولهم هذا أنه يجب أن يترك كل إنسان وما حبته الطبيعة به، ينعم به ماقدر له ؛ أما محاولة الفقير أن يكون غنياً بغير طريق الغنى المرسوم فمسألة لا يمكن أن تنتهى إلا بالفشل المحقق .

الاشتراكية

وبينما يقول الرأسماليون هذا ، ترى الاشتراكيين يقولون: إن النفس الانسانية ميالة بطبعها إلى امتلاك كل شىء ، وهى لا تتورع - فى سبيل امتلاك كل شىء - عن ظلم الكثيرين وشقائهم وتدمير حياتهم ، وأولئك الذين يستطيعون أن ينتصروا فى النهاية بمثل هذه الطرق الشائنة، هم - كما هو المشاهد - عدد قليل جداً، ولكنه يمتلك ثروة العالم كلها، والسماح للأفراد بالتحكم فى الجماعات أمر لا يجيزه عقل ولا ترتضيه عاطفة ولا يقره ناموس، وما سادت الرأسمالية فى الأعصر السالفة إلا لذلك الجهل الذى كانت ترتع فيه الجماهير، نتيجة جهود الأمراء والأعيان الذين كانوا لا يحبون - بطبيعة نفوسهم - أن يشاركهم إنسان فيما يملكون ؛ أما وقد زالت هذه الغشاوة عن الأبصار، فالواجب يقضى على الجماهير أن تهم بإيقاف هذا النظام الذى سبب لأجدادهم كل ماسبب من شقاء ، وأن تعمم النظام « الكامل » الذى يتيح للمجتمع شيئاً كثيراً من المساواة بين بنى الانسان جميعاً !

وأنت تجد الحركة الاشتراكية فى بلاد الانجليز، قد بنيت على سوء ذلك النظام التجارى والصناعى الذى كان موجوداً من قبل القرن التاسع عشر وفى القرن التاسع عشر نفسه .

واشتراكيو الانجليز إنما أخذوا بفكرة العمل على تعميم الاشتراكية من أقوال كثير من قادة الفكر العالميين مثل: (كارليل) و(راسكين) و (مرديث) و(هاردى) و (تولستوى) و(إبسن) ، وفى ذات الوقت من (وليام موريس) و (بيرن جونز)

وقال زعماء الاشتراكية: إن هى إلا حركة للتخلص من أطماع المتنافسين الدنيئة، والخلاص من تحكم الأفراد بالظلم فى رقاب الجماعات، والفكاك من فكرة تضحية مستقبل العالم الاقتصادى فى سبيل إنقاذ الموقف الحالى .

وقالوا: إنها حركة تدعو إلى المساواة فى «الشغل والتشغيل » كما تهب القوة لمن كان من قبل عديمها ، فهى تدعو إلى إنقاذ الحمل الضعيف من براثن الذئب العقور ، تدعو إلى سيادة الرأفة والرحمة والشفقة ، تدعو إلى قيام العدل على أساس قيام حكومات اشتراكية .

وقد كانت تلك القوانين التى امتلأ بها التشريع الانجليزى فى القرن التاسع العشر ، أول بشير للمبادىء الاشتراكية بالسيادة والذيوع فى انجلترا، وقد بدأ ذلك من العصر الفكتورى.

وعلى كل حال ، فان قادة الاشتراكية من الانجليز لم يكونوا هم الذين سودوا تلك النظرة التى صارت الطبقات العاملة فى أوروبا تنظر بها الآن إلى الرأسماليين ، بل إن المسبب لها هو كارل ماركس .

كارل ماركس

كان « ماركس » رجلا منقطع الذكاء ، دقيق الملاحظة، كما كان متوقد العزم، بالغ الحماسة، شديداً جد الشدة ، صارماً رغم بعض الاضطراب فى النظام التنفيذى الذى ارتآه لآرائه ، وكان يرمى إلى غرض نبيل وعظيم ...

تستطيع أن تقول عنه ما تشاء، وأن تجمع فى شخصه كل طبائع ومعلومات الإنسانية، ولكنك لا تستطيع أن تقول عنه إنه كان من عشاق الأسس الأخلاقية المثالية التى لا يمكن أن تتحقق إلا فى العالم المثالى؛ وتقريراً للحقيقة فان « كارلس ماركس » و« مكيافيللى » أيضاً لم يتكلم أحدهما وفى ذهنه شىء اسمه الفضيلة أو الفضائل، فقد كان ماركس ينظر إلى العالم بمنظار أسود تمثل معه القسوة وينتشر فى خلاله الزور والظلم والبهتان . فلهذا العالم الذى تبدى له فى أسوأ صورة حاول وضع التشريع والقوانين .

لم يكن غرض (ماركس) أن يسود السلام العالم ، وإنما كان غرضه أن يظهر بوضوح كل تلك المساوىء والمخازى التى غرق فيها العالم كله بمختلف طبقاته ، وأن يضع لكل شىء حداً يقفه عنده، كان يرى أن العالم كومة من الأخطاء يجب أن تبيد، ولم يسبقه أحد إلى النظر للحياة الاقتصادية بتلك النظرة .

ولما كان الانجليز أخلاقيين منذ ولادتهم ، فقد أخذوا عن ماركس ما أخذوه ، وقصدوا إلى الإصلاح ، ولكن بالطرق السلمية ؛ أما الروسيون فقد أخذوا عنه أكثر من ذلك ، إذ هبوا مرة واحدة يقاومون ثائرين ضد نظام الدولة الخاص والعام ، عاملين على تسويد المساواة الكاملة ، والملكية العامة كاملة ؛ أو ما يسمونه « الشيوعية » .

كان من بين آراء « ماركس » أن قيمة الكماليات التى ينتجها العمل يجب أن تساوى كمية العمل الضرورى بذله اجتماعياً ، ولسنا هنا بصدد مناقشة هذا الرأى ، وإنما أوردناه لأن الرأى السائد عنه أنه يحوى بين طياته فكرة أخلاقية عالية .

والواقع أنه : كيف يمكن أن نقيس قيمة الكماليات بحيث تساوى كمية العمل اللازم أداؤها اجتماعياً ؟ ! إنه ليست هناك علاقة بين الضرورة الاجتماعية والعدالة الاجتماعية ، ذلك لأن الضرورة الاجتماعية تقاس بالحاجات الاقتصادية، أما ماذا يمكن أن تكون هذه الحاجات، فذلك

مايتوقف على درجة ونوع المدنية التى يسير عليها المجتمع فى أية فترة من فترات حياته، فذلك المجتمع الساذج لايمكن أن تكون حاجاته الاجتماعية إلا ساذجة ! وذلك المجتمع الخرب لايمكن أن تكون حاجاته الاجتماعية إلا خربة ، والمجتمع المغرق لايمكن إلا أن تكون حاجاته الاجتماعية مغرقة وهكذا ، كما أن المجتمع الراقى لايمكن أن تكون حاجاته إلا راقية أيضاً.

والحق أن تلك الاعتراضات التى يعترض بها ضد الشيوعية ليست اعتراضات تقوم على أساس المثل الخيالية الأخلاقية، وإنما هى اعتراضات عملية بحتة ؛ فهم يقولون مثلا: إن فى تسويد الشيوعية انعدام الكفايات تبعاً لانعدام التنافس، وإن فيه أيضاً قتلا لكل الدوافع والعوامل والمحركات التى تحدو بالعامل إلى إتقان عمله ، وحيث إن الإدارة الحكومية ستديرها وكالة من الشعب فسيصعب الحصول على الموظفين الأكفاء من حيث المهارة الفنية ، فضلا عن أن فى انتشار الشيوعية عملا واضحاً ضد قوانين الطبيعة التى سارت عليها الانسانية منذ فجر التاريخ ، والتى قامت الأدلة على إمكان الاستفادة من سريانها .

وفى فلسفة (ماركس) فكرة أخرى جديرة بالنظر، ولكن الروسيين يؤولونها تأويلا قبيحاً جداً ، فقد قال ماركس: « إن التاريخ كله ليس إلا سلسلة من التطاحن والقتال المستمر بين بعض الطبقات وبين البعض الآخر» ، فانظر إلى الشيوعيين وقد أبوا إلا أن يخرجوا من هذه العبارة « أن التاريخ يجب أن يظل أيضاً سلسلة من تعارك الطبقات !! » . ومن السهل جداً أن يدرك الانسان أن مثل هذا التخريج لايمليه إلا خيال سقيم .

وإنى أعتقد أن ماركس لم يقل هذه العبارة كفكرة من الفكر الفلسفية التى يصح أن تؤثر عنه ، وإلا فماذا يقول فى كثير من الشعوب التى لم تحدث فيها على الإطلاق حروب الطبقات ؟ ! وماذا يقول أيضاً فى تلك المجتمعات التى سارت على احترام حقوق كل فرد من الأفراد بصرف النظر عن شخصيته ؟ ! وماذا يقول فى تلك المجتمعات التى كانت فيها حرب طاحنة حقيقية بين الطبقات، ولكن أحداً ما لم يأت إلى خياله شيء عنها ؟!

وما أصعب على ماركس نفسه – لو أنه أراد أن تسجل عنه هذه العبارة – أن يصدق ماقاله عن التاريخ من أنه سلسلة من حروب الطبقات ! ! فاذا كان المجتمع الانسانى لم يكن إلا حروباً متوالية كما سجله التاريخ ، فكيف يمكن إذن أن يوجد ذلك المجتمع المثالى الذى رسمه فى كتاباته ؟ والذى قال عنه. إن المساواة الكاملة والعدل الذى لاعدل بعده يتوفران فيه دون شك ؟!

وعلى كل حال ، ومهما تكن قيمة أقوال ماركس من جهة التاريخ، فإن الذى لاشك فيه هو أن اعتراضاته على الرأسمالية كلها، ليست مبنية على أسس أخلاقية خيالية ، وإنما هى من مستخرجات تقلبات الحياة الحقيقية ، وإلا فكيف يمكن أن نوفق بين قول ماركس هذا وما يتصورونه بين طيانه من المثل الأخلاقية ، وبين قوله الآخر « الفضائل لا علاقة لها بالتقاتل

فى عالم من المادة ... وليس فيه غير المادة شىء . . . ؟ ! إنها ليست المثل الأخلاقية التى تثير طبقة فى مجتمع ضد طبقة أخرى، وعلى نقيض ذلك فإن هذه المثل هى التى تنهزم على طول الخط».

وهناك شىء آخر فى فلسفة « ماركس » يستحق أن نتعرض له قليلا ؛ ذلك هو نكرانه أن القيمة العالية فى التاريخ كله لم تكن للطبقات العاملة ، وإنما كانت وما تزال للطبقات التى تملك الأعمال وتديرها . . . وعنده وعند بعض كتاب الاشتراكية: أن التاريخ كله إن هو إلا سلسلة أخطاء متتالية فى (علم إمساك الدفاتر)،وكان من شأن هذه الأخطاء عدم الإشادة بذكر ماقامت به الطبقات العاملة من الخدمات ، ونسبة كل خير إلى الرأسماليين، وكان من نتيجة مناداة هذا البعض بهذا الرأى أن جرؤ بعض الكتاب فخرج منه تخريجاً مضحكا للغاية ، فقد قال (ج . اد . ه كول) إن العامل الذى يساهم فى إنجاح أحد الرأسماليين إن هو إلا لص يساعد لصاً أكبر منه ، دون أن يكون له من وراء ذلك قصد أو مغنم إلا التافه اليسير من المال والجاه ! وهذا التخريج رغم سخافته يروق — كما قيل لى — كثيراً من الناس . . .

والتخريج الثانى هو: أن من الواجب العمل على إعطاء القيمة العالية للعمال الآن، حيث إنهم هم الذين يقومون بالعمل فى الواقع، وليس السادة الرأسماليون ! ! وأن يسجل التاريخ للعمال ما حرموا من تسجيله لهم طوال تلك الفترة الطويلة من حياة الانسان، حيث لم يكن ذلك إلا نتيجة لهذا الخطأ فى « إمساك الدفاتر » !

وبعد، فلعل القارىء — بعد كل ما تقدم — يستطيع أن يكون معى فى الاعتراض على أولئك الذين يذمون الرأسمالية دون الاشتراكية أو العكس بالعكس . وأقول فى النهاية: إن فى التنافس بين بعض ذوى الأملاك الخاصة والبعض الآخر ، وبين المنتجين والموزعين وسائر طبقات الرأسمالية أيضاً كثيراً من المساوىء . ولكنه — إلى جانب ذلك — يعطى المستهلك ما يريده ، ووسط عديد من التجار المتنافسين ؛ فالزبون هو الملك !! ذلك لأن الزبون هو الذى يملى على التجار أنواع مايحتاجه من الأشياء ، وكمية مايحتاجه منها،وهى احتياجاته — سواء أكانت حسنة أم قبيحة، تلك التى يدرسها المنتجون فى العالم أجمع، ليقدموا له مايحتاجه فيقبل عليه ويشتريه. فينال التاجر مايريده من غلبة وربح . والمستهلك عند التجار عادة هو الرجل العادى، رجل الشارع؛ وهو فى التاريخ الاقتصادى، وفى تسعة أعشار الحالات التجارية ، الذى يقوم بأداء طائفة كبيرة من الحسنات والفوائد الاقتصادية،وذلك بإعراضه أو إقباله على زيد من الناس أو عمرو. وهو رجل الشارع الذى يثير اطماع المنتجين ، وهو الذى يقدم لهم فى النهاية تلك الثروات الطائلة التى ينعمون بها.

إن كسب المال الكثير فى العالم لا يمكن أن يكون بتحكم الرأسماليين فى حاجات الملايين ولكن بتقديم ما يريدون بأرخص ما يستطاع. فيمكنك أن تدافع عن الرأسمالية دون حرج ، فلا تذكر عنها أكثر من هذا « تقدم الرأسمالية للشعب، ما يريد الشعب، وبأقل ثمن يمكن أن يدفعه الشعب، مما يتفق مع حاجاته وحالاته ومطالبه» ...

بين المناظرين

١ — كلمة فى مقالة (المعانى الإفلاطونية)

أورد فى صفحة ٨٤٣ سنة ١٩٣٢ من المعرفة فى تعريف علم الكلام « هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة » ثم قيل « ثم توسعت دلالة الكلمة فأصبحت تطلق على النظر أو البحث بمعنى عام ، وعلى هذا النحو يتكلم المرتضى عن كلام الطبقتين » .

والصحيح أن هذا التعريف آخر التعاريف تطوراً وزمناً وأقلها صحة، فكان يجب تأخيره إلى ص ٨٤٤ فيضم إلى ما صورته « وإنما أصبح اسم المتكلمين فيما بعد يطلق على خصوم المعتزلة ممن يجمعون إلى الاشتغال بعلوم الدين الخبرة بمسائل الفلسفة » ونقله [عن ابن خلدون — كما ورد فى حاشية ص ٨٤٣ — وهو قد أدرك أول العصر التاسع للهجرة] كان مستوجباً لتأخيره ومانعاً لابتساره، وقد وجدنا مصدراً آخر فى تسميتهم هذا العلم « الكلام » نذكره لإتمام الفائدة .

قال ابن خلكان فى ترجمة أبى الحسين محمد بن على الطيب المتكلم البصرى المعتزلى « وإنما قيل له علم الكلام لأن أول خلاف وقع فى الدين كان فى كلام الله — عز وجل — أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فتكلم الناس فيه فسمى هذا النوع من العلم كلاماً، اختص به وإن كانت العلوم جميعها تفسر بالكلام ، هكذا قال السمعانى » ، وقال قبل ذلك « ولفظة المتكلم تطلق على من يعرف علم الكلام وهو أصول الدين » ، قلنا : وليس الكلام الاصطلاحى فى الحقيقة إلا « فهم الدين بالعقل السليم المهذب » ، ولذلك تكلموا على « الكون والظهور والقدم والحدوث والإثبات والنفى والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والحل والطفرة والأجسام والأعراض والتعديل والتجريروالكمية والكيفية والإمامة أنص هى أم اختيار؟ وغير ذلك من أصوله وفروعه » قبل خلافة هرون الرشيد [١] واشتد الجدل فى زمن المأمون لتفلسفه وبار ومنع فى زمن المتوكل لجهله .

ومما يؤيد أن ذلك التعريف متأخر قولهم فيه « والرد على المبتدعة والمنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة » فإن الذين كانوا أهل السنة وذوى الاقتداء بالسلف — على ما سموا به أنفسهم — قد حرموا علم الكلام ، قال أحمد بن حنبل — رض — « لا يفلح صاحب الكلام أبداً، ولا نكاد نرى أحداً ينظر فى الكلام إلا وفى قلبه مرض » ، وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي على زهده وورعه لتصنيفه كتاباً فى الرد على المبتدعة ، وقال له :

---

(١) المسعودي « ٢ : ٢٨٣ — ٤ » .

ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة كلام أهل البدعة والتفكر فيه فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث؟ وقال هو أيضاً « علماء الكلام زنادقة » ،وقال الشافعي ـ رض ـ « حكمي فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام»، وسمع يقول « لأن يلقى الله ـ تبارك وتعالى ـ العبد بكل ذنب ما خلا الشرك ، خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام »، وحكى الكرابيسى أن الشافعي سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال «يسأل عن هذا حفص القرد وأصحابه أخزاهم الله»،ولما مرض دخل عليه حفص القرد فقال له : من أنا ؟ فقال « أنت حفص القرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه » وقال « إذا سمعت الرجل يقول : الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له» ، وقال مالك « لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء » فقال بعض أصحابه فى تأويل ذلك : إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا ، وقال أبو يوسف « من طلب العلم بالكلام تزندق » (١)

٢ ـ تناقض فى مقالة الأحمدية

قال الداعية فى ص ٨٧٠ ناقلا قول نبيه الجديد « ألا لا كتاب لبنى نوع الإنسان إلا القرآن ولا رسول ولا شفيع لبنى آدم من بعد اليوم إلا محمد المصطفى ـ ص ـ »، ولكنه ينقض قول نبيه فى ص ٨٧١ منتقداً المشايخ قائلا « مع أن جميع الفرق الاسلامية تعتقد أن الاسلام لا يرجع إليه مجده العظيم إلا عن طريق النبوة بواسطة المسيح الموعود الذى يرسله الله فى آخر الزمان،فالمشايخ يناقضون أنفسهم بأنفسهم »،فإن كان نبيه قد قال « لا كتاب لبنى نوع الإنسان إلا . . . » فكتاب صاحبه لمن ؟ بل لم ؟ وإن كان قد قال « لا رسول ولا شفيع إلا . . . » ، فما مهمة صاحبهم غير الرسالة والشفاعة المحرمتين عليه بلسانه وبما كتبت يده ؟

٣ ـ وفقه «له» لا «إليه»

أوردت فى ص ٩٧٧ مقالة مختصة باللغة العربية وآدابها استعمل فيها كاتبها الكريم « وفقه إلى » مكان « وفقه له »،وليس هذا من كلام العرب الفصحاء ولا مما يجوز فيخرج على وجه من الوجوه ، لأن معنى « وفقته لكذا » جعلته وفقاً له أى لفقاً فيكونان كالشيء الواحد من لفقين أى جزئين ملتصقين والتوفيق والتلفيق من أصل واحد فى رأيى بإبدال أحد الحرفين من الثانى ، وما أكثر الإبدال فى العربية ، ومعاقبة إلى للام لا تجوز فى العربية ،

(١) حياة الحيوان فى مادة الاسد

فلا يقال « قلت إليه ونصحت إليه ». وقال فى ص ٩٨٣ عن قول ابن زيدون « تحلت به الدنيا لآلئه وسط » بضم الطاء، « والأقرب أنه بضمها جمع وسطى مؤنث أوسط ». قال مصطفى جواد « الأصل هو الصواب لأنه بمعنى أعدل اللآلىء ، قال فى مختار الصحاح: والوسط من كل شىء أعدله ومنه قوله تعالى: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » أى عدلا [1] ؛ وقد أحسن الكاتب حق الإحسان توجيه البيت « ما عنانى من سابق . . . إلى آخره ، فإن من الأدلة على صوابه قول ابن زيدون نفسه مكرراً المعنى ـ كما فى ص ١١٤ من الديوان — :

ثوى صافناً فى مربط الهون يشتكى بتصهاله ما ناله من أذى الشكل

وقال فى ص ٩٨٦ « والماضى لا يحتاج إلى الفاء إذا وقع جواباً للشرط »، قلت إلا إذا كان دعاءاً مثل قول ابن زيدون :

ومتى سعيت لنازح متعذر فوجدته سهل المرام قريبا

وبقيت فى المقالة غلطات لا شأن لها بين الفوائد العظيمة ، والتحقيقات اللطيفة ، فلم نجد وقتاً للوقف عليها ولا للإشارة إليها، ونضيف إلى ذلك أن النقد اللغوى متعب جاف.

٤ ـ «المتعطشة» ليست «عطشى»

أنا من المتساهلين فى العربية على مستعمليها ، أجيز الكلمة والتعبير لأدق الأسباب المجيزة وأضعفها ، أما إذا لم أجد إلى ذلك سبيلا فأذكر الصواب . قال الأستاذ محمد الهراوى الشاعر الفحل فى ص ١٠٣٢ من المعرفة « وفى هاتيك الجماهير المتلهفة على الشعر المتعطشة إلى تذوقه »؛ والمتعطشة هى التى تظهر العطش رياءً. فالصواب «العطشى والعطاشى والعطاش»، قال الزمخشرى فى أساس البلاغة « ومن المستعار : أنا شديد العطش إلى لقائك وبى عطش إليك » ومثله فى الكامل « ١:٢٦ » عن الأخفش بن سليمان .

٥ ـ «ذرّ» لا « ذرّة »

وجاء فى ص ١٠٥٨ « ولما مات ذرة بن عمر بن ذرة وقف على قبره . . . »؛ والذى قرأناه فى كتب الأدب « ذر بن عمر بن ذر » ونقلناه فى مجلة لغة العرب « ٧ : ٢٤٠ » سنة ١٩٢٩ عن كامل المبرد « ١ : ٨٠ » ، ولعل للكاتب المكرم مصدراً آخر يعزو إليه روايته ، فكتابة الأعلام من أهم الأمور فى التاريخ وأوجبها للعناية والتثبت.

[بغداد] مصطفى جواد

---

(١) وتسكين السين المفتوحة من « وسط » ضرورة ، أما جعل « وسط » جمع وسطى فيسبب الضرورة نفسها ويحدث خطأ قبيحاً وهو تأنيث اسم التفضيل من دون تعريفه بأل ولا اضافته الى معرفة ، وقد شذ من هذه القاعدة « أخرى » ولذلك غلطوا أبا نؤاس فى قوله :

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

بريد المعرفة

ننشر ـ ابتداء من هذا العدد ـ فى هذا الباب نبذاً من بعض المقالات التى تصلنا صالحة للنشر ، ولكننا نضطر إلى إغفالها نظراً لضيق المقام .

المرونة العقلية

« إن قوة الاحتفاظ بالفكرة القديمة التى تتشبث بالعقل — قليلا أو كثيراً — قوة كامنة لا تتحرك للمقاومة إلا إذا ظهرت أمامها فكرة جديدة ؛ وبما أن هذه القوة تختلف فى الأفراد من حيث الكمية ، فعلى قدر كميتها تكون قوة مقاومتها . وهذا يفسر لنا كيف أنه بينما يقبل البعض الأفكار الجديدة فى سهولة ، فيرحب بها ويرضاها ، ينفر البعض منها ويقاومها ، سواء أكانت المقاومة قليلة أم كثيرة

[من مقال للأستاذ محمد وهبى : ليسانسيه فى الآداب]

بين المنفلوطى وجولدسمث

« كلاهما رجل دينى ، وكلاهما أديب إنسانى . وفى اعتقادى أنهما يتفقان فى الدعوة التى تبرعا تبليغها العالم ، رغم اختلاف يسير اقتضاه اختلاف البيئة والثقافة

« كلاهما اتخذ الشعر والنثر وسيلة لتبليغ رسالته ، وكلاهما كان مؤمناً برسالته ، مخلصاً فى أديتها ، وكلاهما كان يبكى لألم الإنسانية ويحاول أن يخفف عنها بقدر ما استطاع »

[من مقال للأديب جمال الدين الشيال بكلية الآداب]

ماقيل فى قراءة المولد والقيام فيها

« قال ابن حجر فى فتح المعين عند شرح قوله صلى الله عليه وسلم « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، ما نصه : قال الشافعى رضى الله عنه : ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعا أو أثراً فهو البدعة الضالة ، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو البدعة المحمودة . فإذا كان الخلف والسلف الصالح قد سار على إحياء ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلست أرى سبباً يصح أن

يأخذ به العلويون — وهم الذى يدعون الانتساب لعلى رضى الله عنه — ليقولوا إن إحياء المولد النبوى ضلالة ؟! حقاً إنه بدعة بناءً على ماروواه ابن حجر، ولكنها بدعة صالحة على قول الشافعى !»

[من مقال للسيد محمد سعيد بن مرتع الكندى — سورابايا: جاوة]

الاسلام فى ملقا وجزائر الهند الشرقية

مقالة يرد بها السيد نصر الدين طه الأندونسى — جاوة — على مقال نشر فى «المعرفة» فى عدد يونيو الماضى، بقلم السيد طه بن أبى بكر، المدرس بسنغافورة بعنوان «كيف ومتى دخل الاسلام الهند الصينية»، يقول فيها: إن فضل دخول الاسلام تلك البلاد لا يرجع إلى العرب كما ادعى كاتب المقال الأول، وإنما هو يرجع إلى الهنود، نظراً لأن الهنود كانوا أصحاب الديانة البوذية التى كان عليها أهل ملقا وجزر الهند الشرقية، فلما أسلم الهنود وانتشر الاسلام بينهم، قاموا بالدعاية له فى البلاد التى كانت تتبعهم فى دينهم... وكاتب هذا المقال يستدل بأدلة كثيرة على صحة رأيه كوقت دخول اللغة العربية إلى تلك البلاد، ونظراً لبعض العادات التى يمارسها أهل الباطنية والمتشيعة هناك.

الخمــــول

قطعة من كتاب «مسرات الحياة» ترجمها أحمد فتحى ناصف جاء فيها: «إن من لا عمل له، لا يمكنه التمتع بمباهج الحياة، بل إنه ليئن تحت أعبائها ومتاعبها. لأن النشاط وحده هو المظهر الوحيد لجلب الفرح والسرور. وأنت لا يمكنك أن تشعر بلذة الراحة الحقيقية وتتذوق النوم اللذيذ إلا بعد التعب.»

بيريوك

قصة معربة للأديب ابراهيم فؤاد عن إيفان ترجنيف الأديب الروسى الفحل، والقصة طريفة تدور حول ما كان يعانيه الفلاحون المساكين فى الأيام الأخيرة لروسيا الإمبراطورية. وترجنيف يخالف فكتور هيجو فى وجهة نظره إلى السرقة، فبينما أحلها هيجو، هاج ضدها ترجنيف، وصرح بأن ليس هناك ما يمكن أن يسوغ السرقة على وجه الأرض.

المريض

قطعة من الشعر الفرنسى للشاعر الكبير «أندريه شينيه» نقلها إلى العربية الأديب يعقوب موسى شموش من حلب، خيالها رقيق منسجم، وثوبها يليق برقة خيالها، ولكن عشاق الأدب

الواقعى قد لايحبون مثل هذا الضرب من الشعر القصصى، لما احتوى من مغالطات ومغالاة وتصوير بطل لا يمكن بحال ما أن يوجد بين العالمين مثله.

إلى الليل

« وأخيراً تتراقص الغصون فى هوادة ولين ، وتتساقط الأوراق فوق الحشائش الخضراء ، على خرير الجداول الجارية وتغريد البلابل الشادية ، ويسيل النور والضياء فى كل مكان . هذه تحية الطبيعة عند ما يولد الصباح . . . ثم تبدأ الحركة وتنشر الرذيلة كتابها ، بعد ما تطوى الفضيلة كتابك أنت أيها الليل . . . كتابك الذى ليس فيه إلا أنات وعبرات وتأملات وذكريات . . . [من مقال للأديب أحمد كامل مرسى]

رثاء الحبيب

قصيدة للشاعر السيد صالح بن على الحامد العلوى من (سنغافورة) نقتطف منها مايلى:

عهدتك قبل ذا نطق فصيح فما لك حين تدعى لا تجيب
وأنك كنت فى أنس وأهل وأنت اليوم منفرد غريب
لئن غيبت تحت الأرض عنى فإنك عن فؤادى لا تغيب

تهنئة « المعرفة »

تفضل الأستاذ الفاضل الشيخ إسماعيل شرف بالأزهر الشريف ، فأرسل إلى « المعرفة » قصيدة عصماء يهنئها فيها باستقبالها السنة الثالثة . وكنا نود نشرها برمتها ، لولا ضيق المقام، فآثرنا نشر هذه الأبيات منها، شاكرين لحضرة الأستاذ الفاضل تفضله بها ، سائلين الله أن يحقق آماله :

***

الحمد لله فاز العلم وانتصرا وجاء « مايو » بنور يخجل القمرا
« عبد العزيز » لقد حققت أمنية حليتها درراً ياحسنها درراً
نفحت ذا الشرق من جدواك « معرفة » فاضت لأبنائه من علمكم ثمرا
لله درك يا أستاذنا ثقة فقد بلغت المنى فى أوجها قدراً
تحوى مجلتك الأفكار ناصجة شعراً ونثراً يرى بين النهى زهراً
سما بك النبل فوق الشمس منزلة وعشت فى ملكوت العلم منتصرا

اسماعيل شرف
بالأزهر الشريف

مملكة المرأة والبيت

دائرة اختصاص المرأة

يد وحدها لا تصفق، وإنما تصفع أو تعمل، ولما كانت الحياة تحتاج إلى من يصفق لها حيناً، ومن يصفعها حيناً آخر، فأنا أزعم لك أن المرأة والرجل يصفقان معاً لبشر الحياة، وينفرد كل منهما في صفعها أو العمل فيها، كل في دائرة اختصاصه.

ومن دائرة اختصاص المرأة الأولية، تدبير المنزل وإدارة شئون مملكتها القاصرة الشاملة معاً، وضمن هذا التدبير وهذه الإدارة « رعاية أطفالها » ، فهي المطالبة بالعناية بنفسها وبغيرها، لذلك نرى من الضرورة التنويه بمتفرقات مختصرة تمس مواضيع تفكيرها في مملكتها . ومساعدتها على إدارة شئونها .

ولسنا نقول إننا سنقدم لها شيئاً جديداً تفاخر به ، فربما هي تعرف أشياء هامة لا نعرفها نحن ، وربما وقفت على حقائق قاطعة في مختلف الأمور من تجاربها العملية لم نصل نحن إليها بعد ؛ لذلك يكون كل ما نرمي إليه هو تذكيرها ببعض الأشياء التي ربما تكون قد غابت عن ذهنها أو تكون في شك من أمرها.

في النظافة الشخصية :

إزالة رائحة العرق :

١ — النظافة بالماء والصابون أولا وقبل كل شيء . والشخص المصاب بكثرة العرق يلزمه الاستحمام يومياً ، ثم يضع قليلا من مسحوق البوركس تحت الإبطين وعلى كل المواضع التي توجد بها ثنيات .

٢ — يدلك الجسم بالبودرة البسيطة « تالك » Talk Powder . وإذا كانت الأرجل كثيرة العرق فيحسن غسلها كل مساء بماء ساخن وتركها قليلا في ماء فاتر مذاب فيه جزء من البوركس (نحو ملعقة شاي في لتر من الماء) .

وهذه طريقة مجربة وبسيطة ومفيدة .

في مداعبة الطفل:

لطالما حاولت الأم أن تجد سبيلا يشغل طفلها عنها بعد أن تقوم له بأداء مايلزمه حتى يمكنها التفرغ لعمل آخر ؛ ولكي تحمي نشاط الطفل الذاتي من الضياع سدى؛ ولكي تحميه من عبث

الخادمات، تستطيع تلهيته بأمثال الأشياء الآتية فى الفترة التى يقضيها بالمنزل قبل استطاعته الذهاب إلى روضة الأطفال التى لايدخلها الطفل إلا إذا بلغ الخامسة ـ حسب النظام المتبع عندنا بمصر الآن ـ .

المثال الأول :

١ ـــ عمل كرة بسيطة من ورق الجرائد المستغنى عنه أو ورق لف المشتريات .

الطريقة : يؤتى بقطع الورق، وتضم إلى بعضها البعض وتكور باليدين، ويختلف الحجم وفق حجم يدى الطفل ، ولكى يكون شكل هذه الورقية أكثر جاذبية للطفل تحيطها الأم أو المربية بقطعة من الورق الشفاف الملون، ثم تربطها بخيط ملون سميك ، بحيث يمكن الطفل اللعب بها بسرور .

ويلاحظ أن هذا لايكلفنا شيئاً مالياً، وإنما يوفر علينا ترك فضلات الأوراق على الأرض مما يضاعف عمل الخدم فى نظافة المنزل، وفوق ذلك فإن الطفل يتعود على النظافة والنظام والاقتصاد فى وقته الذهبى، منذ الصغر.

المثال الثانى :

٢ ـــ عمل عقد أو سوار من ورق الشكلاته اللامع .

بعد أن يأكل الطفل قطعته من الشكلاته ، تكلفه الأم بحفظ ورقتها فى مكان معين ، بدل إلقائها إلى الأرض، أو سلة الفضلات. فإذا ما اجتمع عدد منها، علمته كيف يأخذ كل واحدة من هذه الأوراق اللامعة ويكورها أو يجعل شكلها اسطوانياً، بواسطة أصابعه . ثم تكلف الأم نفسها العناية بتشكيك هذه الحبات فى فتلة لتكون له عقداً أو سواراً، إذا كان لايستطيع استعمال الإبرة بعد ، أما إذا كان عمره ست سنوات فأكثر فتعلمه استعمال الإبرة بنفسه .

ولتعمل على أن تشركه معها فى التنسيق واختيار الشكل الذى يحسن أن يكون عليه العقد أو السوار .

فى عمل البسكوت

فطيرة الزنجبيل :

المقادير : فنجان سكر ناعم ، نصف فنجان سمن ، نصف فنجان عسل أسود، نصف فنجان لبن ، نصف فنجان من الدقيق ، ملعقة من الزنجبيل ، ملعقة صغيرة من كربونات الصودا ، نصف ملعقة صغيرة من القرفة، ثلاث بيضات.

الطريقة :

١ — يقلب السمن ونصف مقدار السكر مدة ثلث ساعة .

٢ — يقلب البيض فى إناء آخر مع باقى السكر ويمزجان حتى يتغير لونهما .

٣ — ينخل الدقيق وتوضع عليه القرفة والقرنفل بعد دقهما ، وتوضع أيضاً كربونات الصودا والزنجبيل .

٤ — يوضع العسل الأسود واللبن بالتبادل على ما عمل أولا، ثم بعد مزجه جيداً، يوضع الدقيق وما معه، شيئاً فشيئاً، إلى أن ينتهى.

٥ — تدهن الصينية بالسمن ويوضع فيها ماعمل وتزج فى الفرن .

ملاحظة : يلزم أن يكون الفرن ذا حرارة هادئة وأن تبقى الصينية فيه نصف ساعة .

فى غسل الملابس

حفظ الألوان من الغسل :

لحفظ ألوان الأقمشة أثناء غسلها يلاحظ مايأتى :

١ — يجتنب استعمال القلويات لأنها تزيل اللون ويستعمل الصابون فى صورة مذابة .

٢ — تنقع الأقمشة الملونة لمدة نصف ساعة فى ماء وملح لتثبيت اللون .

٣ — تمرر الأقمشة فى ماء وخل بعد غسلها لأن الحوامض الخفيفة تثبت الألوان .

٤ — يجب ألا تعرض الأقمشة الملونة للماء مدة طويلة لأن الماء يزيل اللون ويزعزع الصبغة من مكانها فليتجنب نقع تلك الملابس قبل الغسل مدة طويلة .

٥ — الدلك يزعزع الصبغة من الأقمشة فيجب غسلها بواسطة الضغط بين الكفين فقط.

٦ — الحرارة الشديدة تزيل اللون بسرعة لذلك يجب :

(ا) ألا تجفف فى شمس قوية.

(ب) ألا تكوى بمكواة ساخنة جداً.

(ح) ألا تغسل بماء ساخن .

تنظيف فراجين الشعر

١ — يزال عنها الشعر بالمشط .

٢ — تنفض على قطعة من الورق لكى تزال منها القشور وتحرق الورقة بما عليها بعد التنفيض.

٣ — يوضع نصف ملعقة بوراكى وتذاب فى ماء مغلى، ثم يضاف إليها جزء من الماء البارد.

٤ — يغمس شعر الفرجون فى الماء مراراً وينفض، ويجب ألا يلمس الماء ظهر الفرجون.

٥ — إذا كان الفرجون قذراً جداً، يوضع قليل من الصابون المذاب والنوشادر فى ماء دافىء ويغمس به شعر الفرجون .

٦ — تشطف فى ماء بارد وقليل من الملح .
٧ — توضع فى الهواء حتى تجف ، ويلاحظ أن يكون ظهرها هو المستند إلى الشىء المرتكزة عليه .

تنظيف يد الفرجون :

تنظف بحسب نوعها . فإن كانت من الخشب المدهون بالورنيش تلمع بورنيش الموبيليات وإن كانت من الفضة تنظف بطريق تنظيف الفضة ، وإن كانت من العاج تنظف بالاسبيداج والليمون أو اللبن .
ومثل فراجين الشعر فراجين الملابس فى التنظيف .

الزوجة والحماة

حل عادل لمشكلة المشاكل الزوجية

أتحدث — هذا العدد — عن إحدى العقبات التى قد تعترض السعادة الزوجية فى المجتمع المصرى ، وهى الأم ، أم الزوجة أو الزوج :

إن مجرد المشاهدة البسيطة والاختلاط بعتنوع العائلات من مختلف الطبقات ، يثبت لنا أن نحواً من خمسين فى المائة من حوادث الطلاق ، وخاصة بين زواج الشباب ، لا يكون إلا من جراء سوء سلوك إحدى الأمين ، نحو أحد الزوجين .

تريد أم الزوج أن يخصها ولدها بالتقدير كله ، والإكبار كله ، والعطف كله ، وأعجب من هذا ، أنها تريده أن يخصها بالحب كله !! وتأبى إلا أن تتحكم فى ولدها — وزوجه تبعاً — تحكمها السابق فيه عند ما كان صبياً . . . وتريد إلا أن تكون صاحبة الأمر والنهى فى بيت ولدها ، لا ترغب إلا أن يكون الطبخ على هواها ، والحلوى والفاكهة على هواها ، حتى الغسل والعجن والخبز لا تريد إلا أن يكون كل ذلك على هواها . . . يعز عليها جداً أن يستشير ولدها زوجه فى شأن من الشئون المنزلية ، مجرد استشارة ليس إلا !! ونشاهد أنها فى بادىء الأمر تكظم غيظها ، ولكنها لا تلبث حتى ينضح بغيظها الإناء ، فلا تنى تتحكك بالزوجة فى التافه وغير التافه من الأمور .

والأخيرة قد تحتملها فى بادىء الأمر ولكنها لا تلبث حتى تكيل لأم زوجها الكيل كيلين ، وتزن لها الوزن وزنين !! فإذا كانت الأم من ذوات الاحساس الدقيق والعاطفة الرقيقة ، فانها تكتفى من بيت ولدها — بعد ما تقدم — بمغادرته ، إلى حيث تعيش بمفردها ، أو مع ابنتها — إن كانت لها بنت متزوجة — أو مع أبنائها الآخرين ، أو لتعيش أية عيشة تختارها . . .

أما إذا كانت من المتبجحات اللواتى ذهبت السن المتأخرة بما تبقى لديهن من الحساسية والشعور ، فانها لابد باذلة جهدها ، حتى تثير قلب ابنها على زوجه ، وتبديها أمامه فى مظهر يعنيدة (قليلة الأدب) ثم تخيره بين أمرين — بعد أن تكون « بهدلته » جيداً — : إما أن العنف زوجته ويضربها حتى تتأدب ، وإما أن يعطيها « متأخرها » ويطردها إلى بيت والدها « فى داهيتين والبحر » . . .

وهنا يتحرج مركز الابن فيرى أنه لا مفر من تنفيذ رأى والدته وسوق زوجه إلى بيت والدها ، مع أنها قد تكون وافقته خلقاً وخلقاً ، ومع أنها قد تكون سقته كئوس السعادة ملأى !

هذه أم الزوج ! . . .

فأما أم الزوجة فإنها على الرغم من خروج ابنتها من حظيرتها إلى بيت الزوجية تعتقد — فى الأغلب الاعم من الأسر المصرية ، مهما يسم التعليم فيها ومهما ترتفع درجة الثقافة — أنها يجب أن تكون حاكم ابنتها والمدبر أمورها . فهى لا تخجل أن تكلف الزوج شراء كذا وكذا من « الفساتين » لابنتها ، أما اختيار اللون فلها ، وأما اختيار القماش فلها ، وأما اختيار الزى فلها ، وليس للزوج الا أن يقنع بما يجده على زوجه ولو كان هذا الذى يجده ، يضاد ذوقه ومزاجه أيما تضاد !

وهكذا تكون أم الزوجة هى الأخرى سبباً فى نكد الحياة الزوجية ، بل ربما أدت هذه السيطرة منها إلى فصم عرى الزواج ، ذلك بأن الزوج وأمه لا يطيقان ما يريان من الحماة ، ولقد تكون فتاتها مرتاحة إلى عشرة زوجها كل الارتياح ، ولقد تكون أحبته فصارت لا تجد إلا شقاء فى البعد عنه ، ولكنها مضطرة إلى قبوله ، من أجل خاطر أمها فقط !

ولكننا لا نلوم هذه الأم أو تلك . فلو أنهما كانتا على ثقافة صحيحة ، ما كان يمكن أن تصدر عنهما مثل هذه التصرفات ، التى يأسفان عليها فى قادم الأيام ، المتسبب عنها من تعاسة خلفهما .

والذى أراه ، أن على كل من الأمين أن تعرف أن ابنها أو ابنتها قد جاء إلى العالم نتيجة عملية ميكانيكية يخضع لها كل كائن حى ، وليس لها أى فضل خاص فى هذا . تلك عملية ميكانيكية سارت عليها الانسانية منذ أقدم العصور وعنها جاءت هى ، وعندما تقدمت إلى بيت زوجها وضايقتها أم الزوج فانها لابد أن تكون فكرت فى الانفراد بزوجها فى بيت آخر مستقل . . . وما فكرت فيه هى كزوجة ، يمكن أن تفكر فيه كل الزوجات . فعليها ألا تحزن إذاً إن كان ولدها أو فتاتها يفضل أن يعيش بزوجه بعيداً عنها فى بيت جديد . . وهذا فى مصلحتها أيضاً فانه « زر غباً تزدد حباً »

فرق كبير — فى الواقع — بين أسباب الطلاق فى بلاد الغرب ، وبين أسباب الطلاق عندنا . فالطلاق هنا لا يكون لما قد يوجد من التنافر الروحى أو الذوقى بين الزوجين ، ولا لما عساه يشين أحد الزوجين من غرام معيب ، وهذه أهم أسباب الطلاق فى أوروبا ، ولكن الطلاق عندنا لا ينتج إلا عن الأم ، والواجب ألا يصدر عنها إلا ما فيه إسعاد الزيجة . وفى الحق ماذا يضير الأم ، إذا ترك ابنها بيتها إلى بيته الخاص ؟ أوهل تريد أن تظل ذات إمارة وسلطان فى وقت شبابها هى ، وفى وقت شباب ابنها أو ابنتها ؟ هذا كثير ...

« صفا »

مكتبة المعرفة

الأمواج

[من نظم الأستاذ أحمد الصافي النجفي (بدمشق) ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م]

الأمواج : ديوان له من اسمه نصيب ، فقد حوى من عالي الخيال وبديع التصوير ودقة الوصف الشيء الكثير ، في مواضيع جمة ؛ كما تدرج بالقارىء إلى منحدر أمواج الأمور حتى وصل به إلى صخرة الحقيقة وسهل الإقناع ، في عنف تارة ، وفي ليونة تارة أخرى ، وذلك في كل المواضيع سواء منها الخاص والعام ، والاجتماعي والمقرر لمشاهداته الشخصية ، مما يدل على يقظة الأديب الناظم فوق ماله من ثاقب التفكير ، وفوق ماله من تقدير في النفوس . ولم يفته — في جملة ما صاغ من حقائق — التنويه عن شدة بؤس المشتغلين بالأدب وكبير عوزهم لما يقوم بأودهم . قال :

وأدت بعصر النور فقراً قصائدي   كما وأدوا قدماً بناتهم فقرا

وهذه الإشارة ولو أنها آخر بيت نظمه صاحب الأمواج واختتم به كتابه ، فقد أوردناها في بدء تكلمنا عن الكتاب ، لما لها من وجود ثابت في جميع العصور وفي مختلف البلدان.
أما إهداء الكتاب ففريد في بابه ، فقد أهدى المؤلف المحترم أمواجه : إلى المثل العليا التي بها يحيا وفي سبيلها يموت ، وقد حدد مثله في : الحقيقة — الحرية — الرحمة .

وأسس على معنى هذه المثل سفره المحتوي على سبعة وأربعين ومائة صفحة من القطع المتوسط . والصفحة الأولى مصدرة بصورة الناظم ، وهي صورة تدل على الإرادة والعزم ، وعلى البؤس المصحوب بالضعف البدني والرضاء النفسي ، وعلى الحزن المرسوم بالاستسلام .

ويلوح من هذه الصورة أن الناظم قال الحقيقة عن نفسه في البيتين اللذين ذيل بهما صورته وهما :

أسير وظل البؤس يمشي بجانبي   كأني حليف للشقاء وذو رحم

تعلق بي حباً فهذا خياله   يلوح على شكلي ويبدو على رسمي

وهذان البيتان مقتطفان من سادس قصيدة في كتابه وعنوانها «حياتي» ومطلعها :

لئن أضعفت جسمي الخطوب وحملها   فما أضعفت نفسي ولا أوهنت عزمي

ومنها : حياتي بنفسي لا بجسمي منوطة   وقوتي قوة الروح والقلب لا الجسم

ومنها : وكم عن طريق الذل أمكنني الغنى   فعفت الغنى والذل للعز والعدم

ومنها : ولست بكسال عن السعي للغنى   ولكنني أرمي فيخطي المنى سهمي

ومنها : أما لكم في زرع أرضكم غنى   عن الشحذ أو في الكسب منأى عن الذم

على أن روح اعتزازه بنفسه هذه ، وخياله المتضارب ، ووطنيته المتقدة ، ونصحه الثمين ، قد غمر كل قصائده في مواضيعها المتنوعة . ونفسيته لا تخلو من الحقد الشديد على العالم ، وظلامه اليأس

تصبغ الكتاب كله ، وحبذا لو أن روح التفاؤل حلت محل اليأس، والابتسام للحياة حل محل العبوس لها، فسواء أعبس المرء أم ابتسم، فالمقسوم لابد واقع، ولن يزيدنا العبوس فى الحياة إلا وهناً فى نفوسنا وعقولنا وأخلاقنا ، بل لقد يقعد بنا عن الوصول إلى مثلنا العليا،وخاصة إذا كنا من الشعوب المهضومة الحقوق ، والمساءة بلا رحمة . وبينا نرى صاحب الأمواج يعتد بنفسه كل الاعتداد فيقول :

ولدت فى قوم فلم أحكهم فى الروح والفكر وباقى الصفات

ويقول فى موضع آخر:

همتى فلكها على الشهب يجرى وعلى ساحل المجرة يرسى

نراه يقول :

وما العيش عندى غير مستنقع به وقعت ومالى من جنح سوى القبر
إذا رمت منه رفع رجلى جاهداً أرى رجلى الأخرى تغور إلى القعر

ويقول فى موضع آخر :

كم عابس لحياة وهى باسمة ومن ضعاف نفوس عاتبوا القدرا

ومن هذا نرى استسلامه للقدر وإقراره بصعوبة الحياة والفشل فى مقاومة الزمن مهما بلغ بالانسان عناده .

ولقد ترى مثل هذا التباين والتناقض فى مواضع أخرى : فمثلا يقول فى قصيدة «الوحدة»

أقضى الليالى وحيداً مسامراً أرزائى .

ومنها : لم ألق لى كانفرادى من صاحب ذى وفاء

ويقول فى موضع آخر :

كثرت لدى الأصدقاء فلم أطق إرضاءهم حتى تشوش بالى
لو أننى غربلت أصحابى معاً لم يبق لى منهم سوى الغربال

ومن هذا نرى أنه إذا تناول فكرة أو موضوعا لا يكتب فيه إلا عن خبرة وتجربة فى دقة وشدة.

ولقد تراه فوق ذلك كريما فى إيقافك على خلاصة ماوصل إليه بحثه ، اسمعه يقول :

أرى العقل للوجدان إن حار يلتجى وقد حار فى عقباى عقلى ووجدانى
قضيت زمانا بالعبادات جاهداً فلم أستفد منها ولا حفظ إيمانى

ثم اسمعه يحدثك عن نفسه بحرية :

بعض شذوذى معجب للورى والبعض مكروه لديهم دنى
لولا شذوذ غمنى أمره ماجئتهم منه بمستحسن

هذا والحكيم من عرف نفسه وأقر بحاله ، ولم يقصر فى بذل معارفه فى سبيل الوصول إلى

الحق والحرية، والرحمة. وعلينا نحن أن نستخلص من شذوذه هذا الذى اعترف به، ما يفيدون من ذلك الذى غمرنا به فى كتابه « الأمواج ».

ديوان فرحات

[نظم إلياس فرحات طبع فى سان باولو فى مجلة الشرق سنة ٣٢]

أهدتنا مجلة «الشرق» الغراء ديوان الشاعر المطبوع، إلياس حبيب فرحات. وهو ديوان يقع فى نحو الثلاثمائة صحيفة من القطع الكبير، فى غلافة جميلة، وورق جيد، وطباعة أنيقة تدل بجلاء على المجهود المشكور الذى بذله المؤلف فى سبيل إظهار شعره العذب السلس، بالحلة التى تليق به.

وصاحب الديوان شاعر فى طليعة شعراء المهجر السورى فى سان باولو بالبرازيل ، وهو ينحو فى شعره، التفكير والأسلوب الجديدين اللذين خرج إلى العربية بهما شعراء المهجر فى القرن العشرين ،فتراه يتقيد بالوزن والقافية ويعنى بهما أدق العناية الطبيعية ، إذا هما لم يعرقلا سلاسة فكرته التى يدعو إليها، ويحاول أن يهبها من بديع الخيال فوق ماهى أهل له .

والأوزان والقوافى من الموسيقى، والموسيقى أم الخيال، فاذا تعارض تسلسل الأفكار مع الوزن والقافية، تراه يتنكر لهما أقطع ما يكون التنكر، ويطاردهما أشد ما يكون الطراد، انظر إليه وهو يقول:

أقول لنفسى كلما عضها الأسى فآلمها، صبراً ففى الصبر مكسب
لئن كان صعباً حملك الهم والأذى فحملك من الناس لاشك أصعب
فلولا إباء مازج الطبع لم يكن لمثلى مجىء فى البرارى ومذهب

ثم انظر إليه وهو يقول ، عابثاً بالوزن والقافية وقواعد اللغة أيضاً :

يامن يلوم على الصراحة صه فلومك لا يلائم
واعلم بأنى قد نطقت بما افتكرت ولست نادم

ولكن إلياس، هو أبو ماضى، هو أى شاعر آخر من شعراء المهجر : خيالهم متسق محبوك منسجم، لكن لغتهم يشوبها الضعف، وعروضهم فيه كثير من الخلل، والقواعد عندهم أمر ثانوى، ولقد يجدون من عشاق الشعر العربى من يأخذ برأيهم ، ولكننا نحن ممن لا يأخذون بهذا الرأى .

ولكن إذا كنا لا نحب الشعر العربى لشعراء المهجر، فاننا نحبه من إلياس فرحات فقط ، ذلك بأنه خير ما يمكن أن تجود به قريحته الفطرية التى لم تصقل ، إذ أنه لم يتلق تعليما نظامياً على الإطلاق ولا غير نظامى ، وإنما مصدر شعره الطبيعة . يقول :

يقولون عمن أخذت القريض وممن تعلمت نظم الدرر
وأين درست العروض وكيف لقنت هذا البيان الأغر

وما كنت يوماً بطالب علم فإنا عرفناك منذ الصغر؟
فقلت : أخذت القريض صبياً عن الطير وهى تغنى السحر
وعن خطرات عليل النسيم ير فيشفى عليل البشر
وعن ضحكات مياه الجداول فوق الجلامد تحت الشجر
وعن زفرات المحب الأديب يزاحمه الموسر المحتقر
وعن عبرات الحزانى الضعاف ففى عبرات الحزانى عبر !

وإلياس إلى جانب هذا قد نجح فى تصوير بعض الأخطاء الاجتماعية إلى حد كبير ، انظر إليه يصف عرساً من تلك الأعراس التجارية :

تم المبيع وسجل الصك هذا رباط ليس ينفك
دنيا كما علم الجميع بها الأطماع بالأطماع تحتك
لكن أخسر صفقة عرفت بيع الفتاة وقلبها يشكو

وله نوع آخر من الشعر لست أدرى هل جاء به فى ديوانه ليخلد عنه ، أم أورده على سبيل الفكاهة فقط ، مثل قوله :

ترجعنى الذكرى إلى الكساره إلى مقر الحب والطهاره
إلى اجتماعى ببنات الحاره نلعب طوراً بالحصى وتاره
يشغلنى معهن بالصناره !

وفى ديوان فرحات مئات المقطوعات ، فى الرثاء والحكم والأمثال والمواعظ ، وفى الغزل أيضاً ، وفى الشعر القصصى كذلك ؛ وله فيه قطع تكاد تصل أوج الكمال ، ولعل أمتع قطعه واحدة بعنوان «الحمامة» مطلعها :

ياعروس الروض ياذات الجناح ياحمامه
سافرى مصحوبة عند الصباح بالسلامه
واحملى شكوى فؤاد ذى جراح وهيامه

وشعره السياسى كثير وغزير ومتوسط النظم ، والخيال فيه غير منسجم انسجام باقى الديوان ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الأدب والسياسة ، قلما يجتمعان على بساط واحد إذ ليس كل شاعر حافظاً ابراهيم ! !

وأخيراً فديوان فرحات نموذج حى من أدب المهجر ، ونوع طريف من الشعر العربى ، لعله ستكون له الغلبة على سائر ضروب الشعر ، لسهولته وحريته ... فهو ديوان جدير بمطالعة كل أديب . وشكراً لمجلة الشرق على هديتها النفيسة .